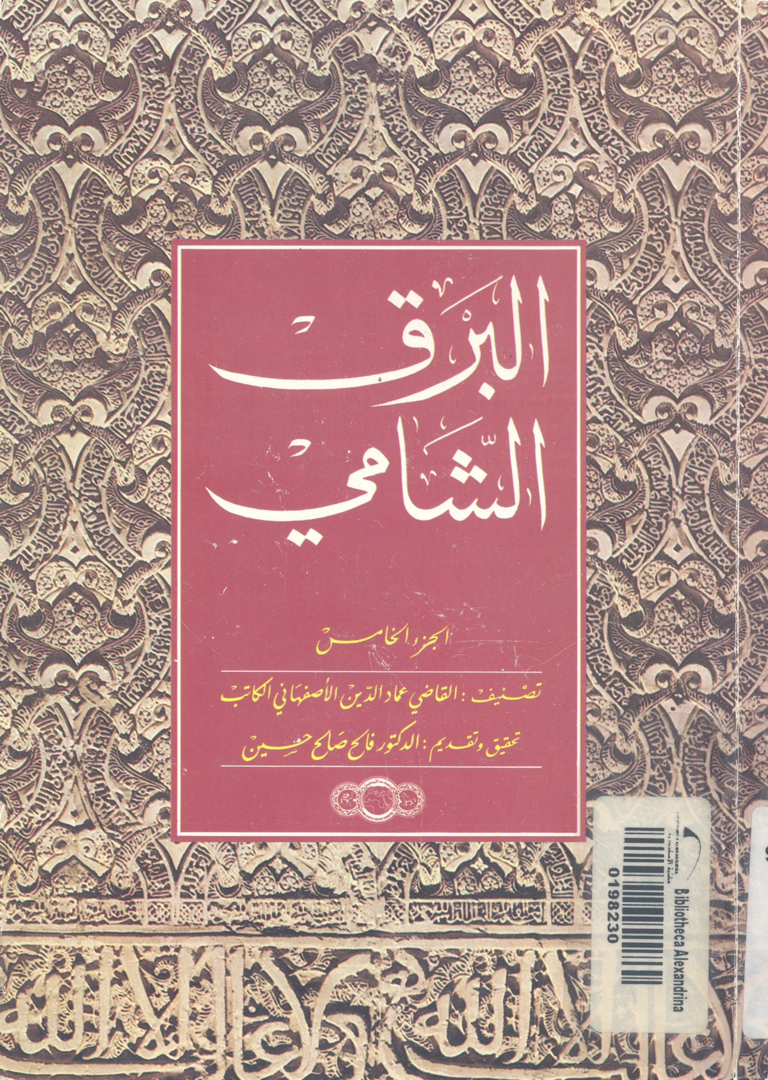


البرق الشامي

الجزء الخامس

تصنيف: القاضي عماد الدين الأصفهاني الكاتب

تحقيق وتقديم: الدكتور فالح صالح حسين


البرق
الشامي



تصنيف: القاضي عماد الدين الأصفهاني الكاتب

الجزء الخامس

تحقيق وتقديم: الدكتور فالح صالح حسين



* تحقيق د. فالح حسين؛ البرق الشامي (الجزء الخامس).
تأليف القاضي عماد الدين الأصفهاني الكاتب.

* الطبعة الأولى ١٩٨٧.

ص ب: ٦٨، عمان - الأردن
هاتف ٦٧٢٥٤١ تلكس ARABNK JO 23091/2

* تصميم الغلاف: كريم الحاج.

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات ٤٦١/ ١١/ ١٩٨٦.

شكر

بعد إتمام تحقيق هذا الجزء من كتاب البرق الشامي أود أن أقدم شكري لمؤسسة عبدالحميد شومان التي تولت تمويل تحقيقه ونشره، كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور عبد العزيز الدوري الذي تابع العمل من بدايته وتلطف مشكوراً، رغم مشاغله الكثيرة، بمراجعة النص كاملاً.

د. فالح حسين

حول كتاب البرق الشامي

يشتمل كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧هـ[١] والذي يعالج الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي ٥٦٢ - ٥٨٩هـ على عدة أجزاء لم يبق منها، كما هو معروف حتى الآن، سوى الجزئين الثالث والخامس. وتختلف الآراء في عدد أجزاء الكتاب إذ يرد أنها تقع في سبعة مجلدات[٢]، أو ستة مجلدات[٣]، ويذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه في بضعة مجلدات[٤]، بينما يذكر السخاوي في جواهر الدُّرر أنه يقع في تسعة أجزاء[٥]. وهذا الإختلاف يدل على أن البرق تعرض بعد تأليفه إلى تقسيمات متباينة،

---

(١) لم نتطرق للحديث عن ترجمة الأصفهاني تجنباً للإعادة إذ ترجم له الكثيرون بمناسبة نشر كتبه، إضافة إلى ترجمة ابن خلكان وياقوت وسواهما، ولِمَنْ يريد الاستفادة ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

ياقوت، معجم البلدان، ج ٧، ص ٨١ وما بعدها (تحقيق مرجوليوث).

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٤٧ وما بعدها.

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٣٣ وما بعدها.

ومقدمة القسم العراقي، ج ١، من خريدة القصر وجريدة العصر للأصفهاني، ص ٩ وما بعدها.

ومقدمة سنا البرق الشامي، ج ١، تحقيق رمضان ششن، ص ٧ وما بعدها.

إضافة إلى ما كتبه الزميل د. مصطفى الحياري في مقدمة التحقيق للجزء الثالث من البرق الشامي.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٥٠، أنظر مقدمة تحقيق البرق الشامي، ج ١، ص ٢٨ (طبعة ششن) ومقدمة تحقيق السنا لفتحية النبراوي، ص ١، ص ٧.

(٣) Paul Kahle, Eine Wichtige Quelle zur Geschichte des Saladin, **Die Welt des Orients**, Bd.I, 1949 (Stuttgart) P. 300.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٨٦ (تحقيق مرجوليوث).

(٥) أنظر البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٥ (تحقيق النبراوي).

فربما وجدت منه نسخ مختلفة الحجم مما دعا من تحدثوا عن الكتاب إلى الإخبار عما رأوه، وقد يكون سبب ذلك عائداً إلى أخطاء النسّاخ، في حين أن مادة الكتاب لم تكن عند أي منهم مجال اختلاف وهذا هو الأهم، فالعدد مهما زاد أو نقص تبقى القضية الأساسية هي المادة التي عالجها الكتاب[1]، لذا فإننا نميل إلى القول إن الكتاب كان يضم عدة أجزاء ولم نمل إلى التحديد المطلق[2].

أما لماذا رأى ششن أن الجزء الرابع يصل إلى أوائل سنة ٥٧٨ هـ[3] ولم يتنبّه إلى أن المعهود في مثل هذه الحالة أن ينتهي الجزء مع نهاية أحداث سنة ٥٧٧، فربما لأنه لم يدرك بأن بداية الجزء الخامس مفقودة فاعتمد على أن النسخة الموجودة من هذا الجزء تبدأ بـ (ذكر العزم على قصد حلب. . .) في حين يجب أن تبدأ بـ (ودخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة) إذ ينتهي كل جزء بنهاية السنة المنصرمة ويبدأ الذي يليه ببداية السنة اللاحقة. ثم ما الذي جعل ششن يتأكد من أن الجزء السابع عالج فترة الست سنين الباقية من مادة الكتاب وهي مليئة بالأحداث، وهل وضع العماد الأصفهاني لكتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» كافياً إذا ما علمنا أن العماد أنهى كتابه البرق بقصيدة رثاء للسلطان صلاح الدين وهي طويلة؛ عدد أبياتها مئتان وإثنان وثلاثون بيتاً، ومطلعها:

شمل الهدى والمُلك عم شتاته   والدهر ساء وأقلعت حسناته[4]

كما أنه تحدث عن أبناء صلاح الدين بعد وفاته، فيذكر أبو شامة (قال العماد في كتاب البرق: خلف السلطان سبعة عشر ولداً. . .)[5]. ومما يدل على أن البرق انتهى في سنة ٥٨٩هـ قول أبي شامة عن العماد: (وقد أشار في آخر كتاب البرق إلى الرسالة الموسومة بالعتبى والعقبى فيما جرى بعد وفاة السلطان إلى سنة ٥٩٢هـ)[6]. فهذه ليست

---

(١) المعروف أن الكتاب يعالج الفترة بين سنتي ٥٦٢ ـ ٥٨٩؛ أي الدولة النورية والصلاحية وقد افترض ششن أن تقسيم مادة الكتاب على سبعة أجزاء كانت كالتالي:

شمل الجزء الأول ـ بداية الكتاب حتى وفاة الملك العادل نور الدين، بينما تحدث الثاني عن وقائع الأحداث من وفاة نور الدين حتى سنة ٥٧٢، وعالج الجزء الثالث، وهو موجود، الحوادث بين سنتي ٥٧٣ ـ ٥٧٥. أما الرابع فتناول الأحداث حتى أوائل سنة ٥٧٨، في حين بدأ الجزء الخامس بـ (ذكر العزم على قصد حلب. . .) وانتهى بـ (ودخلت سنة ثمانين)، ويبدأ السادس بحوادث سنة ثمانين إلى آخر حوادث سنة ثلاث وثمانين، وينتهي الجزء السابع بآخر الكتاب. أنظر البنداري، سنا البرق الشامي، ج ١، ص ٢٨ ـ ٢٩ (تحقيق رمضان ششن).

(٢) يرى Paul Kahle أن عدد أجزاء الكتاب غير معروفة بالضبط؛ أي أنه شك بكونه سبع مجلدات. أنظر مقالته السابقة، ص ٢٩٩.

(٣) أنظر الهامش رقم (١) أعلاه.

(٤) أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢١٥ ـ ٢١٧.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥. (٦) أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٢٨.

من الكتاب ولكنها تبدو وكأنها ملحق أو ذيل له تابَعَ فيهـا الأحداث فترة ثلاث سنين أخرى.

ويبدو واضحاً أن الكتاب وضع بعد وفاة صلاح الدين لأن ابن خلكان يذكـر في ترجمة العماد أن أحواله ساءت بعد وفاة صلاح الدين؛ فلزم داره (وقـد ساق في أوائـل البَرق الشامي طـرفاً من ذلـك)[1]، ومن خلال مـا ذكره صـاحب الروضتـين في أخبار الدولتين يتبين أن الكتاب اكتمل في أوائل سنة ٥٩٥هـ وذلك، من خلال رسالـة كتبها القاضي الفاضل للعماد. يستفسر فيها عن كتاب البرق وينتظر اتمامه[2].

وقد ابتدأ الأصفهاني كتابه البرق الشامي بِذْكر نفسه ونشْأته ورحلته من العراق إلى الشام وأخباره مـع الملك العادل نـور الدين والسلطان صـلاح الدين ومـا جرى لـه في خدمتهما وقد سماه «البرق الشامي لأنه شبّه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها»[3].

وعندما يطالع المرء ما تضمنه الجزء الخامس من البرق يتكون لديه انطبـاع وكأن الكتاب نوع من السيرة الذاتيـة للمؤلف، بل إن عبـارة Gibb تصور مضمـون الكتاب عندما وصفه بأنه مذكرات أكثر منه تاريخاً، بل هي مـذكرات مهنيـة تعطي فكـرة عن شخصية المؤلف[4].

ورغم أن العماد يذكر في مقدمة البرق نيته في إيلاء صلاح الدين جـل اهتمامـه لكنه يقول: (وأنا أقدم في هذا الكتاب ذكر نُبَذٍ من أحوالي مع السلطان ثم أبتدىء بذكر معـرفتي بـه وخـدمتي لـه وأصف مبـادىء دولتـه إلى أن وصـل إلى الشـام وحضـرت خدمته...)[5]، ونجده يبدأ الكتاب بسنة ٥٦٢ هـ ، أي سنة وصوله إلى الشام، وليس بسيرة صلاح الدين كما يُفترض لو أن الكتاب خصص لسيرة السلطان صـلاح الدين، فهذه السنة هي سنة دخول العماد في خدمة الملك العادل نور الدين، ولم يبدأه بسنة ٥٧٠ التي تمثل دخوله في خدمة صلاح الدين ككاتب سر السلطان[6]. فـالكتاب إذن وضـع ليبحث في تاريخ الدولة النورية والصلاحية مـع اعتراف العمـاد بجميل صـلاح الدين نحوه، فكان اهتمام الكتاب بفترة صلاح الدين آيـة شكر يقدمها للسلطان بعد وفاتـه

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٥٢.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٣) أنظر ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٨٦، ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٥٠.

(٤) Gibb, Al-Barq al-Shami: The History of Saladin, Wiener Zeitschrift für die Kunde dos Morgen lands, Bd. 53, 1953/55 (Wien), p. 98.

(٥) البنداري، سنا البرق الشامي، ج ١، ص ٥٣ (تحقيق ششن).

(٦) أنظر ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٨٥ (تحقيق مرجليوث)، ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٤٩.

(من استكفاني للإنشاء لتنفيذ أوامره في حياته أكافئه بالاحياء في نشر مفاخره في مماته)[1]. وقد استطاع العماد أن يظهر مفاخر صلاح الدين السياسية والخلقية من خلال تسجيله للأحداث دون أن يشعرنا بأن الكتاب وضع ككتاب سيرة للملك الناصر السلطان صلاح الدين. فهو لم يقل ذلك نفسه، كما لم يقله من ترجموا للعماد عند ذكرهم للبرق الشامي[2]. أما العنوان الذي وضعه Gibb للمقال الذي تحدث فيه عن البرق الشامي[3] فلا يُفهم منه بالضرورة أنه قصد التعريف بالكتاب على أنه سيرة لصلاح الدين بل يُفهم من ذلك أن موضوع الكتاب يبحث في الفترة التي حكم فيها صلاح الدين الشام ومصر، ولا نتصور أن يقع Gibb في مثل هذه الهفوة خاصة وأنه معروف بما كتبه عن صلاح الدين. أما العنوان الذي نجده على الورقة الأولى من الجزء الخامس والذي يوهم لأول وهلة أن البرق الشامي هو سيرة للسلطان صلاح الدين[4]، فمن الواضح أن هذه الورقة ليست من الأصل فهي إضافة لاحقة للمخطوط بخط مختلف وأنها لا تمثل الورقة الأولى للمخطوط.

يتطرق العماد أحياناً إلى ذكر أمور عائلية تخصه وحده[5] مما يجعل المرء يؤكد على قول Gibb من أن البرق كما هو حال الفتح القسي يصنف في أيامنا ككتاب مذكرات أكثر منه تاريخياً أو مذكرات مهنية أكثر منه كتاب تاريخ بالمعنى الأدق[6]. لذا فإن العماد يبدو أحياناً كثيرة في مركز الأحداث وليس مجرد شاهد عيان لما جرى أو لما يتحدث عنه.

هذه الصورة تعطيها مادة الجزء الخامس من البرق وهي على الأقل التي تشكل جل مادة المراسلات الرسمية التي كان يسطّرها العماد باسم السلطان. والمحقق يفترض أن الكتاب بأكمله جرى على هذا النسق. حتى أنه ليخيل للمرء أن الكتاب يبدو وكأنه ترجمة للعماد، وقد تبدو النتيجة الأخيرة غريبة ولكنه رأى رأينا إثباته هنا. لكن الكتاب على كل حال ليس سيرة لصلاح الدين بل كتاب تاريخ بالمعنى الأعم (فيه من السير السلطانية الناصرية والعادلية وسائر الدوحة الكريمة الأيوبية) كما يذكر البنداري في مقدمة السنا واصفاً البرق[7].

---

(١) البنداري، سنا البرق الشامي، ج ١، ص ٥٢ (تحقيق ششن).

(٢) أنظر ياقوت، معجم الأدباء، ج ٧، ص ٨٦، ابن خلكان، وفيات، ج ٥، ص ١٤٨.

(٣) أنظر Gibb عنوان المقال السابق.

(٤) ورد العنوان بخط اضافي على صفحة العنوان الملحقة بالمخطوط وهي ليست بخط نفس الناسخ كما يلي (الخامس من سيره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب).

(٥) أنظر البرق الشامي، ج ٥، ورقة ١٢٤أ ـ ب.

(٦) أنظر Gibb المقال السابق: WZKM, Bd. 52, p. 98.

(٧) البنداري، سنا البرق الشامي، ص ١٢ (تحقيق النبراوي).

ويبدو أن العماد توسع في كتاب البرق عند الحديث عن الوقائع في فترة صلاح الدين ومما يثبت ذلك أن مختصر البرق جعله في جزئين انتهى الأول منهما مع نهاية حوادث سنة ٥٨٣هـ، أي أن القسم الأوسع من الكتاب هو الذي يبحث في السنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين، حتى ان العماد وضع كتاباً منفصلاً آخر لفتح القدس هو «الفتح القسي في الفتح القدسي». وقد يخطر بالبال أنه ما دام الأصفهاني وضع كتاباً خاصاً لهذه المناسبة فمن المنتظر أن لا يتطرق بالتفصيل لهذا الحدث في البرق الشامي، وهذه دعوى من السهل ردها وذلك من خلال مادة كتاب الروضتين الذي يمكن اعتباره اختصاراً لكتابي العماد سابقي الذكر. فأبو شامة يستمر في الاقتباس عند الحديث عن الوقائع من البرق إلى جانب الفتح القسي وهذا يعني بلا ريب أن النسخة التي أطلع عليها أبو شامة كانت كاملة تضم جميع مادة الكتاب مما يجعلنا نعود إلى قول ياقوت بأن الكتاب مكون من عدة أجزاء وقد يزيد عن السبعة، فقد ذكر السخاوي في جواهر الدرر أنه تسعة أجزاء[١] إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترة التي غطاها الجزئين الثالث والخامس. فقد استفاد أبو شامة من الكتاب عندما كان يذكره في الأغلب حين حديثه عن الوقائع حتى سنة ٥٥٩ مما يعني استعانته بالبرق إلى جانب الفتح القسي. فإنه بالإمكان معرفة الاقتباسات المأخوذة من البرق في هذه الفترة إذا ما علمنا أن اعتماده يكاد يكون كاملاً على البرق اللهم إلا ما استثناه هو من السجع المعقد المتكلف[٢] خاصة وأن أبا شامة ذكر في معرض حديثه عن مصادره أن البرق يعالج الفترة حتى وفاة صلاح الدين[٣].

أما عن نسخ البرق الخطية فلم يعرف منها حتى الآن إلا النسخة المحفوظة في مكتبة بودليان ـ أكسفورد والتي تقتصر على الجزئين الثالث والخامس. وقد ذكر Brockelmann نقلاً عن تذكرة النوادر ـ حيدر أباد ١٩٣١ ص ٨١ خبر العثور على كامل مخطوط البرق الشامي في لينينغراد[٤]، ثم تبين فيها بعد أن المقصود هو مخطوط «الفتح القسي في الفتح القدسي» للعماد نفسه، وكان الخبر ناتجاً عن الخلط بين الكتابين لنفس المؤلف[٥].

الجزء الخامس من البرق الشامي، مادته وأهميته ومنهجنا في التحقيق:

جرى العمل في تحقيق هذا الجزء اعتماداً على النسخة المصورة من البرق المحفوظة

---

(١) أنظر البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٥ (تحقيق النبراوي).
(٢) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٥، ١٥٩.
(٣) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٤ ـ ٥، أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٥٠.
(٤) Brockelmann, Geschichte der arabischen literatur, Supplement I, p. 548.
(٥) Kahle, Eine Wichtige quelle zur Geschichte Saladin, WO, Bd. I, p. 301.
وأنظر البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٥ ـ ٦ (تحقيق النبراوي).

في مكتبة بودليان في أكسفورد تحت رقم Mss Marsh 425 وهي نسخة فريدة تشتمل على ١٣٧ ورقة من الحجم المتوسط، في كل صفحة سبعة عشر سطراً في كل منها عشر كلمات في المعدل. وقد عمد الناسخ إلى وضع العناوين، التي أكثر منها، دائماً في وسط الصفحة. أما الخط فنسخي جميل سهل القراءة، مضبوط الكلمات، ويبدو أن الناسخ قد اعتمد على نسخة المؤلف الأصلية، إذ نجد على يمين الصفحة ١٣١ب عبارة «قوبل بالأصل - كذا - فصح من نسخة المؤلف. . » مما يعطي هذه النسخة الفريدة مجالاً أكبر للثقة بدقة النص الوارد.

وقد خلت المخطوطة من ذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ إلا أن أقدم مطالعة لها والتي ظهرت على الصفحة الأخيرة تعود إلى سنة ٧١٩هـ. كما لم تظهر صفحة العنوان الأصلية بل ان العنوان كتب بخط ناسخ آخر ألحقت بالمخطوطة فيما بعد. ويبدو من مطالعة الصفحة الأولى أن شيئاً من بداية هذا الجزء قد فقد، ونرى رقم ٦ مثبت على الورقة الأولى مما يعني أن المفقود من بداية المخطوطة يمثل الخمسة أوراق الأولى منه[1]، كما أن الجزء لم يبدأ بالعبارة المتوقعة ودخلت سنة ثمان وسبعين، إذ أن بداية هذا الجزء هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات إلى بلاد الجزيرة والاستيلاء عليها والنزول على الموصل والعود إلى سنجار وأخذها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة». أما نهايته فهي:

«تم الجزء الخامس من البرق الشامي بحمد الله ومنه وحسن توفيقه وعونه والصلاة والسلام على محمد نبيه وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل. يتلوه في الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين».

أما محتويات هذا الجزء من البرق الشامي الذي يعالج حوادث سنتي ٥٧٨ - ٥٧٩ فإن المادة التاريخية بالمعنى الدقيق للتأريخ تشغل الحيز الأقل بالمقارنة مع المؤسسات والكتب التي أنشأها العماد الأصفهاني في مختلف المناسبات من فتح أو محاولات صلح بين السلطان صلاح الدين وبعض الأطراف التي تعامل معها في الجزيرة الفراتية وشمال الشام أثناء محاولاته لضم هذه الأطراف إلى لوائه، إضافة إلى بعض المقتطفات من كتب القاضي الفاضل. وقد اشتمل الجزء على منشور تقليد محتسب لحلب بعد فتحها سنة ٥٧٩ من إنشاء العماد (٩٧ب - ١٠٠ب) إضافة إلى منشوري تقليد أحدهما لطبيب في

---

(١) Gibb, al-Barq al-Shämï WZKM, Bd.52, p. 95.

حلب (١٠٠ب ـ ١٠١أ) ومنشور تقليد للشيخ علاء الدين الكاساني بتولي إدارة المدارس الحنيفية في حلب والرقة (٩٦أ ـ ٩٧ب). ونود أن نشير هنا إلى أهمية المنشور الأول الذي يعتبر فريداً من نوعه حيث أنه يزودنا بتفصيلات دقيقة عن الشروط الواجب توفرها فيمن يتولى هذه الوظيفة والمهام الفعلية لا النظرية، التي توكل إليه، في حين أن كتب الفقه والحسبة بأجمعها تعطينا عما يجب أن ينظر فيه المحتسب من الناحية النظرية[1].

أما المنطقة التي جرت فيها أحداث هذا الجزء فهي الجزيرة الفراتية التي خصص لها الجزء الأكبر من الحديث، فيتحدث عن سنجار وأحوالها وحصن كيفا والرها ونصيبين وحران والموصل، حيث فصل حديثه عن المراسلات والمفاوضات التي جرت بين صاحبها وبين السلطان، ثم آمد التي أطال في سرد أحوالها، ورأس العين وسروج وحرزم. وبعدها ينتقل الحديث إلى شمال الشام فيذكر فتح تل خالد وعين تاب وحلب التي يطيل في سرد أحوالها، ثم حارم إلى أن يعود الحديث إلى دمشق، فينتقل مسرح الأحداث إلى جنوب الشام فيتحدث عن غزوة بيسان وغزو الكرك لتأديب أرناط. ويتطرق أثناء ذلك إلى بعض الحوادث التي جرت في اليمن، ووقعة الأسطول المصري مع الصليبيين في أيله، ثم تعيين السلطان للملك المظفر تقي الدين عمر على مصر للنيابة بها وإرساله القاضي الفاضل مستشاراً له، كما يكثر من إيراد بعض المكاتبات الفاضلية في ثنايا الكتاب.

ولكتاب البرق الشامي قيمة متميزة فهو كما قال عنه Gibb إن قسماً كبيراً منه روايات تاريخية مبسطة والقسم الآخر يمكن اعتباره مذكرات هي من نوع وثائق اليوميات المهنية للعماد الأصفهاني[2] إذ فيه اقتباسات طويلة من رسائل كتبت لصلاح الدين وأوامر بتعيينات لوظائف عامة ومراسلاته شبه الخاصة مع القاضي الفاضل واقتباسات من قصائد العماد وأخرى لسواه ومذكرات عن شؤونه الخاصة.

هذه المذكرات المهنية تعطي فكرة عن شخصية العماد وهي مثل نادر في الكتابة التاريخية العربية، وهذا الجمع بين الرواية التاريخية والمذكرات المهنية تعطي معلومات الكتاب ثقة كبيرة خاصة وأن المؤلف رافق صلاح الدين ولازمه منذ أصبح سكرتيره الخاص وحتى وفاته. وقد استخدم العماد صيغة المتكلم بالجمع في كتابته لتاريخ الأحداث، وتقل فيه الأخبار عن الحوادث التي لم يحضرها العماد. وقد يروى الحدث عن طريق اقتباسات من رسائله أو رسائل القاضي الفاضل عوضاً عن الرواية المباشرة وما رواه يتصف بالجدية وكأنها أحياناً تقارير موظف دقيق بعيد عن المبالغة اللهم إلا المبالغة

---

(١) سيقوم المحقق بنشر هذا المنشور في مقال منفصل مع دراسة حول مهام المحتسب على ضوئه.

(٢) أنظر Gibb المقال السابق، ص ٩٨ ـ ٩٩.

اللغوية. والمطلع على تاريخ الدولة الأيوبية وكتاب الروضتين بشكل خاص يشهد بأهمية هذا الكتاب فيما يتعلق بالتأريخ لهذه الحقبة إذ أن كتاب الروضتين المعتبر أوسع وأغنى ما كتب في موضوعه ما هو إلا تلخيص لما كتبه العماد في البرق الشامي. أما منهجنا في

أما منهجنا في التحقيق للجزء الخامس، فقد بذلنا الجهد لترك النص على حاله إلا في حالات الأخطاء الإملائية أو جعل طريقة الإملاء موافقة لطريقة كتابة العربية اليوم كإثبات الهمزة بدلاً من الياء أو حذف الألف الزائدة في حالات المد مثل «المااثر» ١٨أ «ماارب» ١١ب فجعلناهما «المآثر» و«مآرب».

ولتحقيق النص استعين بما أورده البنداري في مختصر البرق الذي يحمل عنوان «سنا البرق الشامي»[1]، إضافة إلى كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» لأبي شامة المقدسي الذي اعتمد فيه أساساً على البرق الشامي الأمر الذي سوغ لنا اعتباره أهم المصادر في تدقيق النص، هذا إضافة إلى بعض المصادر التي تعالج نفس الفترة. أما القصائد الواردة في المتن وهي ثلاث طويلة إحداها لعبدالله بن أسعد الموصلي الملقب بابن الدهان ت ٥٨١هـ (٢ب ـ ٤ب) وقصيدة العماد في رثاء فرّوخشاه (٣٤أ ـ ٣٦ب) فقد اعتمدنا في تدقيقها بالأساس على ديوان ابن الدهان وديوان العماد، أما القصيدة الثالثة فهي لتاج الدين أبو اليمن الكندي (٣٧أ ـ ٣٨أ) فقد أوردها العماد في كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر» عند حديثه عن شعراء الشام، بالاضافة إلى مقتطفات من القصائد الثلاث وردت في أماكن أخرى.

ونظراً لأسلوب السجع الذي تبدو عليه الصنعة والتكلف، والذي هو من سمات أسلوب العماد الرئيسية والذي انتقده البنداري وأبو شامة كلاهما[2]، فكان لا بد من تفسير الكثير من التعابير الواردة في الجزء الخامس وذلك بالعودة إلى لسان العرب بالدرجة الأولى. وهذا الأسلوب الذي اتبعه العماد يمله القارىء في كثير من الأحيان وكأنه يبحث عن الكلمات الغريبة بحثاً حتى ليصعب على القارىء فهم العبارات دون العودة إلى القاموس[3].

وقام المحقق باستقصاء المواقع الجغرافية الوارد ذكرها في النص ومقارنتها مع الكتب الجغرافية وخاصة «معجم البلدان» لياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ ، وإتماماً للفائدة كان استقصاء ترجمات الأشخاص الوارد ذكرهم في المتن بالعودة إلى كتب التراجم وعلى

---

(١) البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي. لأن الجزء الذي نشره ششن من السنا لا يصل إلى سنة ٥٧٨هـ. وقد انتهى البنداري من اختصار البرق في سنة ٦٢٢هـ كما ذكر هو في مقدمة الكتاب.

(٢) أنظر البنداري، سنا البرق الشامي، ص ٥٠ (تحقيق ششن)، أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٥، ١٥٩.

(٣) أنظر مثلاً ورقة ٩ ب، ٢٩ ب، ٤٨ ب ـ ٤٩ أ، ٥٣ ب ـ ٥٥ ب، ٥٧ أ ـ ٥٨ ب من الأصل.

الأخص «وفيات الأعيان» لابن خلكان ت ٦٨١هـ.

وقد واجه التحقيق مشكلة ترتيب أوراق المخطوط وخاصة في القسم الأول منه، إذ شكلت هذه القضية في البداية معضلة كبيرة إلى أن استقر الترتيب على ما هو عليه[١]. فنرى مثلاً أن الورقة ١٥أ ـ ب جاء ترتيبها بعد ٥أ ـ ب، والورقة ٩أ ـ ب بعد ١٨أ ـ ب ثم ٦، ٧، ٨ ثم ١١، ١٢، ١٣ ثم ١٠أ ـ ب ثم ١٩أ ـ ب... وجاءت الورقة ١٤أ ـ ب بعد الورقة ١٢٩أ ـ ب ليعود الرقم متسلسلاً ١٣٠أ ـ ب...

واطلعت أثناء العمل على نسخة الجزء الخامس التي نشرها ششن في اسطنبول سنة ١٩٧٩ وبعد قراءتها رأيت متابعة التحقيق وأشرت إلى ما يحسن تقويمه في النسخة وإثبات ما سقط منها، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الهوامش التي أشرت إليها عندما كان ذلك ضرورياً.

وبعد فإنه ليسعدني أن أقدم لقراء العربية هذا الجزء الخامس من البرق الشامي راجياً أن يكون الجهد الذي بذل هنا لائقاً بقيمة الكتاب ومفيداً للباحثين.

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

الدكتور فالح حسين

عمّان

أيار ١٩٨٦م

---

(١) اتفق ترتيبنا للأوراق هنا مع ما فعله ششن من قبل.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات إلى بلاد الجزيرة والاستيلاء عليها والنزول على الموصل والعود إلى سنجار وأخذها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

ولما وصل السلطان إلى الشام أظهر إلى قصد حلب صدق العزم[1]، وأنه لا بد ولا غنى[2] من استضافتها والأمن من آفتها، فقد أنهى إليه من أغراه بها وحث عزمه محثّ على طلبها، وأن المواصلة قد كاتبوا الفرنج وأنفذوا إليهم الرسول وبذلوا لهم البذول، ولو راموا حملوا الحمول، فرغّبوهم في الخروج مبادرين إلى الثغور، وهوّنوا عليهم استباحة المحظور، والاستراحة من المحذور آمنين، ليشغل[3] شغل الكفر عن الفراغ لقصدهم، وأتوا من ذلك التحريض والوعد والترغيب بما في[4] وسع جهدهم. فقال السلطان: قد جزم عليهم معزم القعود[5] وحبب إليهم تعجيل النهوض، مما لا يتم فرض الجهاد إلا به جداً. وكان حين[6] النهوض والتفويض فرغ من غزو طبريا وبيسان، وقد شكر الله عز وجل في نهضته بالاحسان، وتوجه على سمت بعلبك[7] وخيم[8] بالبقاع متبلج ضواحي مسارح الأضواع[9]، وكان قد واعد[10]/أسطول مصر أن يتجهز ٢ أ

---

(١) ششن، ص ١٢ «الاعتزام».

(٢) في الأصل «عنا».

(٣) في الأصل «ليشعل».

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ٢.

(٥) لدى ششن، ص ٢ «العقود» وجزم على الأمر: سكت. لسان العرب، جـ ٢، ص ٩٨، مادة «جزم». والقعود عكس القيام، جـ ٣، ص ٣٥٧.

(٦) في الأصل «من» ولعل الصواب ما أوردنا.

(٧) في الأصل «باعلبك»، أنظر السنا، ص ٢٠٠، الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩.

(٨) الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩ «ختم».

(٩) مفرد ضوع وهو الكروان، لسان العرب «مادة ضوع»، جـ ٧، ص ٢٣٠.

(١٠) في الأصل «دعا» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٥، وفي السنا، ص ٢٠٠ «وعد».

إلى بعض بلاد الساحل ليوافقه [1] عليه ويسير بعساكره إليه، فجاءه الخبر بأنه وصل إلى ساحل بيروت [2]، فبادره السلطان بعسكره جريدة قبل أن يفوت. فلما وصل رأى أن أمر [3] بيروت يطول، وأن مسألة حصرها تعول، وكان قد سبى الأسطول منها وسلب، وظفر من غنيمتها بما [4] طلب، فأغار السلطان على [5] تلك البلاد وأتى في تخريبها وإخرابها[6] بالمراد، ورجع بما رجا من الأثر الحميد والظفر العتيد. وأعاد الملك معز الدين [7] إلى دمشق ليقوم في سد الثغور وتسديد الأمور بالنيابة، وينهج في آرائه وآرابه سنن الإصابة. وسار لقصد الشرق، والعزب ماض والعزم قاض، والجيش من أوراق حديده وأزهار عديده في رياض، ورياح السوابق تجري بالجبال وأرزاق الخوامع [8] تُرجَى من الآجال، وأعنّة الجياد مسرعة وأسنة الصعاد مشرعة، وبحور السوابغ في تموّج وبوارق البيارق في تبوّج[9]، وللسان العاسل ذلاقة ولوجه الباسل طلاقة، وغرار الجفن متجاف وماء الفرند[10] صاف، ولخروق السماء من تسابيح النقع رقع، وفي عروق الأرض من سنابك القبّ[11] وقع، ولترائك الترك لمع، ولسبائك البيض طبع، ولذوائب الذوابل المجزوءة[12] نصب ورفع، وللحديد من الحديد قرع، وللبنود نشر، وللجنود نصر/ وللواء عقد، وللاواء وقد، وحق الهدى نقد، وباطل العدى[13] حقد، ٢ ب والشعاب سائلة والهضاب جائلة، والعراب مجليّة والجعاب ممتلئة، والحنايا متوترة والمنايا مؤثرة، وللأوتار أوتار وللأوطار أطوار، من مجرّ الرياح مراح وللجد جد (وللمزاح)[14]

---

(١) في الأصل «لوافقه» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٠.

(٢) ششن، ص ٢ «بيرت».

(٣) ششن، ص ٢ «أمره».

(٤) ششن، ص ٣ «ما».

(٥) في الأصل «في» وما أثبتناه من الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩، مفرج الكروب جـ ٢، ص ١١٦.

(٦) ششن، ص ٣ «واحراقها».

(٧) وهو عز الدين فرخشاه وقد أطلق عليه لقب معز الدين بعد حروبه مع الفرنج في بيسان وانتصاره عليهم، السنا، ص ٢٠١، أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩، «فرخشاه» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٦ «ابن أخيه عز الدين فرخشاه».

(٨) الخوامع: الضّباع، لسان العرب، جـ ٨، ص ١١٩ «مادة خمع».

(٩) بوّج: صيح. تبوّج البرق: إذا برق ولمع وتكشف وإنباج البرق انبياجاً إذا تكشّف، لسان العرب، مادة بوج، جـ ٢، ص ٢١٧.

(١٠) الفرند: وشي السيف وهو دخيل وفرند السيف: وشيه. قال أبو منصور: فرند السيف جوهره وماؤه الذي يجري فيه، لسان العرب، جـ ٣، ص ٣٣٤، مادة «فرند».

(١١) أنظر مادة قبب، لسان العرب، جـ ١، ص ٦٥٧ ـ ٦٦٠.

(١٢) ششن، ص ٣ «المجرورة».

(١٣) ششن، ص ٣ «العداى».

(١٤) في الأصل «والمزاح» والسياق اقتضى التصحيح.

مزاح، وللعتاق من رق الارتباط أعتاق، وللآفاق من سنا (السيوف)[1] ولمعان الحديد الأخضر إشراق وإبراق.

وجئنا إلى بعلبك[2] وخيمنا بمرج عدوسة أياما، وأحكمنا أسبابا وسبّبنا[3] أحكاما، ورحلنا إلى حمص عن طريق الزرّاعة[4]، ونزلنا على العاصي مذعنين لله بالطاعة. وجاء الفقيه المهذّب عبد الله[5] بن أسعد الموصلي ولقى السلطان بمدائحه وتلقاه بمنائحه، وأوردت في هذا الموضع من قصائده ما أعدّها من عوائد فوائده وهي[6]:

«من الكامل»

أعلمت بعـدك وقفتي بـالأجـرع	ورضى طلولك عن دموعي الهُمّع[7]
مـطرت غضا في منـزليك فـذاويا	في أربـع ومؤججا[8] في أضلع
لم يثن غرب الدمع ليلة غرّبت[9]	ولـع العذول بفـرط عـذل المولـع
يلحي الجفون على الـدموع لبينهم	والعذل فرط العذل إن لم تدمع[10]
دعـني ومـا شـاء التـلذذ والأسى	وأقصد بلومك من يطيعك أودع[11]
لا قلب لي فأعي الملام[12] فـإنني	أودعتـه بـالأمس عنـد مـودعي
هـل يعلم المتحـملون لـنجعـة	ان المنازل أخصبت من مدمعي[13]
كم غادروا حرضاً[14] وكم لوداعهم	بـين الجـوانـح من غـرام مـودع

(١) في الأصل «السنون»، ولعل الصواب ما أوردنا. (٢) ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٤٥٣ - ٤٥٥.

(٣) في الأصل «وسيّبنا» والتصحيح من السنا، ص ٢٠١.

(٤) أنظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٠، ابن خرداذبه، أنظر ٢٢٨، البلاذري، فتوح، ص ١٣١.

(٥) في الروضتين، جـ٢، ص ٢٩، عبيدالله، أنظر لترجمته «ديوان ابن الدهان» ص ٧ - ١٢، الأصفهاني، خريدة قسم الشام مراجعة الأصل ص ١٣٥، ص ٢٧٩ - ٢٩٤.

(٦) أنظر القصيدة في ديوان ابن الدهان، ص ٢٥ - ٣٤. كما أورد صاحب الروضتين، جـ٢، ص ٢٩ - ٣٠ بعض أبيات هذه القصيدة.

(٧) أى الجاريات، همع الدمع أو الماء: سال، لسان العرب، مادة «همع»، جـ٨، ص ٣٧٥ - ٣٧٦. بشأن الأجرع أنظر مادة «جرع».

(٨) في الأصل «موحجا» ولدى ششن، ص ٣ «مرجحا» والتصحيح من الروضتين، جـ٢، ص ٢٩، والديوان، ص ٢٥.

(٩) في الأصل «غرب» والتصحيح من الديوان، ص ٢٥.

(١٠) ششن، ص ٤ «العدل» «لبيتهم» وجاء في الديوان، ص ٢٦ «كل العذل» بدل «فرط العذل».

(١١) ورد في الديوان، ص ٢٦:

دعـني ومـا شـاء الـلدود ولامـني — وأقصد بلومك من يـطيعك أو يعي

وفي الأصل «دعي» ولدى ششن، ص ٤ «يدفعي» وفي الروضتين، جـ٢، ص ٢٩، «يعي».

(١٢) في الأصل «الآلام» والتصحيح من الروضتين، جـ٢، ص ٢٩، والديوان، ص ٢٦.

(١٣) في الديوان ص ٢٦، «أدمعي».

(١٤) الحرض: الفساد في البدن والعقل، وتأتي بمعنى المضنى مرضاً وعشقاً وهو المراد هنا، الديوان، ص ٢٦. أنظر لسان العرب، مادة «حرض» جـ٧، ص ١٣٤.

أمـروا الضحى أن يستحيل لأنهم — قالوا لشمس خدورهم لا تطلعي [19] [1]

تحمي [2] قبابهم ظبي في كلّة [3] — وتـذود عنهم أسـهم في بـرقـع

قـل للبخيلة بـالسـلام تـورعـا — كيف استبحت دمي ولم تتورعي [4]

وبـديعـة الحسن التي في وجههـا — دون الـوجـوه عنـايـة للمبـدع

بيضـاء يـدنيهـا النـوى ويحلهـا — اعراضها في القلب ألطف موضع [5]

مـا بال معتمـر بربعـك دائباً [6] — يقضي زيـارتـه بغـير تمتـع [7]

كم قد هجرت إذ[8] التواصل — مكثب[9]وضررت قادرة على أن تنفعي

ما كان ضرّك لو غمزت بحاجب — عنـد التفرّق أو أشـرت بـإصبع

ووعـدتني أن عدتُ عـودَ وصالنـا — هيهـات مـا أبقى إلى أن تـرجعي

هـل تسمحـين ببـذل أيسر نـائـل — أن أشتكي وجدى إليك وتسمعي

أو شاهدى جسدى ترى أثر الهوى[10] — أو فاسألي إن شئت شـاهد أدمعي

فالسقم أية ما أجنّ[11] من الجوى — والـدمـع بينـة عـلى مـا أدّعي

فـتيـقني[12] أني بـحبـك مـغـرم — ثم اصنعي ما شئت بي أن تصنعي

يا صاح هـل أبصرت بـرقا خـافيا — كالسيف سلّ على أبارق لعلع[13]

بـرق إذا لمـع اسـتـطار فـؤاده — ويـبـيـت ذا قـلق إذا لم يـلمـع

٣ ب

فسقى[14]الربيع الجون ربعا طـالما — أبصـرت فيه البـدر ليلة أربـع

وعـلام استسقي له سيـل[15]الحيا — يكفيـه مـا يسقيـه فيض الأدمع

---

(١) لدى ششن، ص ٤ «التمس» بدل شمس».

(٢) ششن، ص ٤، «يحمي».

(٣) بشأن «كلة»، أنظر لسان العرب، مادة كلل، جـ ١١، ص ٥٩٥.

(٤) في الأصل «تتورع» وكذا لدى ششن، ص ٤، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩، كما أثبتنا.

(٥) في ششن، ص ٤، وفي الديوان، ص ٢٧ «أكرم» بدلاً من «ألطف».

(٦) الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩ «ذائباً»، وفي الديوان، ص ٢٧ « دائماً».

(٧) في الأصل «تمنع» وما أثبتناه من الروضتين، جـ ٢، ص ٢٩.

(٨) في الأصل ولدي ششن، ص ٤ «إذا»..

(٩) أي مقرّب وردت في الديوان، ص ٢٧ «مكسب».

(١٠) الديوان، ص ٢٨ «الضنى».

(١١) أجن أستر من أجن الشيء ستره، أنظر لسان العرب، «مادة «جنن»، جـ ١٣، ص ٩٢-٩٣.

(١٢) الديوان، ص ٢٨ «وتيقني».

(١٣) بشأن «أبارق لعلع» أنظر ياقوت، جـ ٥، ص ١٨ ـ ١٩، والديوان، ص ٢٨.

(١٤) الروضتين، جـ ٥، ص ٣٠ «عفى». والجون هو النبات الذي يضـرب إلى السواد من شـدة خضرتـه. أنظر لسان العرب مادة «جون»، جـ ١٣، ص ١٠١.

(١٥) في الأصل «سبل»، ص ٦، في الديوان، ص ١٢٩ «نسقيه».

ولو استطعت سقيته سيل الغني[1] ... من كف يوسف بالأدرّ الأنفع

بندى[2] فتى لو أن جود يمينه ... للغيث لم يك ممسكاً عن موضع

كلف بأسباب المعالي مغرم ... صبّ بأبكار المكارم مولع[3]

للمعتفين[4] رجاء[5] ريح سجسج ... والمعتدين عجاج ريح زعزع

ربّ المكارم وُضّحاً لم تستتر[6] ... بدنيّة يوما ولم تتقنع[7]

ومُديم بذل النّفس غير مفرّط ... وكثير بذل المال غير مضيّع

فإذا تبّسم قال يا جود[8] اندفق ... فيضا ويا سحب الندى لا تقلعي

وإذا[9] تنمّر قال للأرض[10] ارجفي ... بالصاهلات وللجبال تزعزعي

وإذا علا[11] في المجد أعلى غاية ... قالت له الهمم الجسام ترفع

ثبت الجنان إذا القلوب تطايرت ... في الروع بعدك ألف ألف مدرّع

فَضَلَ الورى بفضائل لم تتفق ... في غيره مَلكاً ولم تتجمّع

ما رام صعب المرتقى متصاعدا[12] ... إلا وكان عليه سهل المطلع

جمع الجيوش فشتّ شمل عداته ... ما فرّق الأعداء مثلُ مجمّع[13]

لم يُثنه عن نصرِه حُلفاءه[14] ... عظم العدو ولا بعاد[15] الموضع

بجحافل مثل السيول تدافعت ... وإذا السيوف[16] تدافعت لم تدفع[17]

---

(١) الديوان، ص ٢٩ «الحبا».

(٢) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠، «بيدى».

(٣) في الديوان، ص ٢٩، جاءت «صب» و «كمف».

(٤) بشأن المعتفين، أنظر لسان العرب، جـ ١٥، ص ٧٤ - ٧٧، مادة «عفا» عفو كل شيء وعفاوته: خياره وأجوده.

(٥) الديوان، ص ٢٩، «رخاء».

(٦) الديوان، ص ٣٠، «تستقر».

(٧) الديوان، ص ٣٠ «تتمنّع».

(٨) الديوان، ص ٣٠ «للجود» وفي الروضتين، ص ٣٠ «ياجود».

(٩) ششن، ص ٥، «اذ».

(١٠) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠ «يا أرض.. يا جبال» وما أثبتناه من الروضتين.

(١١) في الأصل «علي» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠، والديوان، ص ٣٠.

(١٢) في الديوان، ص ٣١ «متباعدا».

(١٣) الديوان، ص ٣١ «تجمّع».

(١٤) في الأصل «خلفاؤه».

(١٥) ولدى ششن، ص ٥.

لم يثنه عن نصرة حلفائه ... عظم العدو ولا تعادى الموضع

(١٦) الديوان، ص ٣١ «السيول».

(١٧) في الأصل «أو لم تدفع» وكذا ششن، ص ٥.

٤ أ

من تبّـع فلكم لـه مـن تـابـع ... أوفى وأوفـر عـزة مـن تّبع(١)/

من دوحـة شاذيـة ارجت بها الـد ... نيـا لطيب شـذى لها متضـوّع (٢)

والنـاثـرين الهـام يبـرق بيضـه ... والخـارقـين مضـاعفـات الأدرع

والواصلي(٣) قصر الظبى بخطاهم ... والقـاطعـين بهـا طـوال الأذرع

قـوم إذا نقع(٤) الصـريخ تبـادروا ... نحـو الحمـام بكـل أبلج أروع

لا يغرونّ(٥) الروم بعـد ديـارهم ... ان الخليج عليك(٦) أقرب مشرع

لـو أن مثـل البحـر سبعـة أبحـر ... مـن دونهم وأردتهـم(٧) لم تمـنـع

كم وقفـة لك في الـوغى محمـودة ... أبـدا وكم جـود حميـد المـوقـع

والـطير من ثقـة بـأكـلٍ مُشبِـعٍ ... تبعت جيوشك فـوق غاب مسبع

والناس بعدك في المكارم والعلى(٨) ... رجـلان امـا سـارق أو مـدّعي

يا غيث لا تسجم، وما حل مربعي ... بنـداك الاّ ذو غـديـر متـرع(٩)

راجعت فيك الشعر بعد طلاقه(١٠) ... طمعاً بجودك، أي موضع(١١)مطمع

لـولاك لم أرض الـقنـوع وذلّـه ... من بعد طول تعزّزي وتقنّعي(١٢)

فسؤال جـودك عـزّة للمجتـدي ... ونـداك تشـريف ورفعـة مـوضـع

فـاسلم عـلى مـرّ الـزمـان ممتّعـاً ... بالملك الاعظم(١٣) والمحل الأرفع

فاذا بقيت فلست أحفل من مضى ... واذا حييت(١٤) فـما أبالي من نعي

---

(١) ششن، ص ٥ «التبع».

(٢) ويليه في الديوان، ص ٣٢ بيت لم يرد في البرق.

المـعـرضـين إذا تـعـرّض مـطـمـع ... والمـقـبـلين إذا دعـوا في مـفـزع.

(٣) ششن، ص ٥ «والواصلين» وهذا البيت لم يرد في الديوان.

(٤) في الديوان ص ٣٢ «يقع» وكما وردت هي الأصح. من نقع الصوت أي ارتفع وهي هنا بهذا المعنى، أنظر لسان العرب مادة «نقع» جـ ٨، ص ٣٦٢.

(٥) الديوان، ص ٣٢ «يغزون».

(٦) الديوان، ص ٣٢ «لديك»، ششن، ص ٥ «إليك».

(٧) الديوان، ص ٣٢ «وازدتهم». (٨) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠ «والندى».

(٩) في الأصل:

لا غيث تـنحـم ومـا حـل مـربـعي ... بـنـداك إلا ذا غـديـر مـتـرع

وأثبتنا النص الوارد في الديوان، ص ٣٣. أنظر، لسان العرب مادة «سجم» ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١٠) ششن، ص ٥ «حلاقة». (١١) الديوان، ص ٣٣، «موقع».

(١٢) ورد هذا البيت في الديوان، ص ٣٣.

لـولاك لم أرض الـقـنـوع وذلـتي ... مـن بـعـد طـول تـعـزّز وتـقـنّـع

وقد ورد هذا البيت والثلاثة التالية بترتيب مختلف عن الأصل.

(١٣) الديوان، ص ٣٤ «بعظيم ملكك».

(١٤) الديوان، ص ٣٣ «فلا».

وهذه القصيدة من أول مدائحه فيه وإنما مدحه في هذه النوبة بالحائية التي سبقت فاتفق ايرادها على الجملة التي اتفقت/ . ٤ ب

عاد الحديث إلى سياقه في اعداد العزم السلطاني واعناقه وارعاد عارض الدهر به وابراقه

ورحل ووصل إلى حَماة وأوت عساكر البلاد إلى جِماه، وكانت حماة للملك المظفر تقي الدين عمر[1] وهو معه، فأمره أن يرتب أمور ذلك الثغر ويتبعه، فامتثل الأمر وما فارقه وكفل الأمر[2] ورافقه. وسار فلما قرب من حلب تردد عزمه في المسير إليها والعبور عليها، فما شعرنا إلا برسول مظفر الدين كوكبرى[3] بن على كوجك يشير بعبور الفرات وحضور تلك الولايات.

ذكر وصول مظفر الدين واجتماعاته بالسلطان

ووصل مظفر الدين واجتمع بالسلطان وخلا به لخلابه واغرائه بالممالك وارغابه[4] وقال له: أنا مواليك ومحب معاليك ومريد تعاليك والمغالي فيك، وصديق صديقك ومُعادي معاديك. وهذه البلاد لك وليس من النصح أن لا أدلّك، وأنا لديك وبين يديك، فإذا ملكت تلك الممالك وسلكت تلك المسالك فحلب تبقى من ورائك، وأنت بعد ذلك على ايثار عزمك ورأيك، وإلا فحلب/ تشغل[5] عن الأمور ومهماتها والجزيرة ٥ أ

---

(١) هو الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدين شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة، ابن أخي السلطان صلاح الدين. كانت له وقائع مشهورة مع الفرنج توفي في التاسع عشر من رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة. أنظر ابن خلكان ـ وفيات، جـ٣، ص ٤٥٦، وابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ١١٣، والحنبلي، الشذرات، جـ٤، ص ٢٨٩.

(٢) في السنا، ص ٢٠١ «ونقل الأمراء».

(٣) في السنا، ص ٢٠١ «كوكبوري» وكذا مفرج الكروب، جـ٢، ص ١١٦، وفي الروضتين، جـ٢، ص ٣٠ كما وردت في الأصل ويزيد «صاحب حران» وهو الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد وعرف والده بكُجُك لأنه كان قصيراً، أقطعه صلاح الدين الرها مع حران وسميساط وزوّجه أخته وأبلى بلاء حسناً في حطين ونزل عن بلاده السابقة مقابل أربل وضم إليه صلاح الدين شهرزور. ولد سنة ٥٤٩هـ بقلعة الموصل وتوفي سنة ٦٣٠هـ ودفن بقلعة إربل ثم نقل إلى الكوفة لتعذر دفنه في مكة بناء على طلبه.

أنظر لترجمته ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٤، ص ١١٣ ـ ١٢١، ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٨٢، الحنبلي، الشذرات، جـ٥، ص ١٣٨، ذيل الروضتين، ص ١٦١، أنظر أيضاً ابن الأثير، الكامل، جـ١١، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٤) الأصل: وأعرابه في السنة، ص ٢٠١ «وأرغابه» وكذا لدى ششن، ص ٦.

(٥) في السنا، ص ٢٠١ «تشغلك» أنظر الروضتين، جـ٢، ص ٣٠.

وولاياتها، ولك المحبة العامة والمهابة التامة. فإذا عبرت الفرات سلّمت[1] لك الأقاليم أقاليدها، وجمعت لك طاعات العباد عبابيدها[2]، ونظمت شمل الدولة ووصلت حبلها، وألفت اشتات الكلمة واوضحت سبلها. وما زلت شوقاً إليك في حرّان حرّان، وإلى الرى[3] من ورد خدمتك ظمآن، وهي لك مبذولة وبأوليائك من اهل الدين والديانة[4] مأهولة، والرّها لا يعسر[5] أمرها، والرقة لرقك[6] وبعض حقك، والخابور في انتظار خبرك وارتقابه، وايثار ظفرك واقترابه، ودارا دارك ونصيبين نصيبك اذا ظهر استظهارك، وملك الموصل موصلك إلى الملك وثمّ عقود ثمانية تنظمها في السلك، وما هذا أوان الونا، فادن الينا وكل بعيد دنا[7] وكلٍ عنيد عنا، وهل يقدم أحد على عصيانك وأنا أنا. ثم عبر مظفر الدين إلى بلدته عائداً، ولنصرته واعداً، وبانجاده مساعداً، وباسعاده مناجداً، وجليت صورة اجتهاده وتليت سور[8] أحماده، وحلّت في مساغ المحض لا في مذاق المذق[9] مشورته المشورة، وحلّت له عقود العقول وحلّت في قلوب القبول مساعيه المشهورة المشكورة، وقرّ الجأش ووفر الجيش ووقر الحلم وفرّ الطيش وعاش الطيب وطاب العيش/. ٥ ب

ذكر وصول السلطان إلى الفرات

ووصل البحر إلى الفرات وتبدّل بالغنى فقر المقفرات، وعاشت الدنيا بدنو انتعاش العثرات، وقرب الأعداء على الأعداء وبانت في مرايا المراء منهم وجوه الترات، وحسنت الآثار في إثارة(*) كوامن الثارات. وخيمنا على الفرات[10] من غربي البيرة، وارتاعت

---

(١) في السنا، ص ٢٠١ «سلّم»، الأقاليد: المفاتيح وهي تشبه مقاليد. لسان العرب مادة «قلد» جـ ٣، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٢) في السنا «صناديدها» وفي الأصل المخطوط، ص ٢٠١ «عناديدها» والصحيح ما أثبتناه فالعبابيد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها ولا واحد له في ذلك كله. أنظر لسان العرب «مادة عبد» جـ ٣، ص ٢٧٦.

(٣) في السنا، ص ٢٠١، «الرق». أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠.

(٤) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠ «والدنيا».

(٥) في السنا، ص ٢٠١، «تعتبر» أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠.

(٦) ششن، ص ٧، «رقك» أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠.

(٧) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠ «قد دنا».

(٨) في السنا، ص ٢٠١ «سورة».

(٩) المذق ضد المحض، والمحض: اللبن الخالص لم يخالفه ماء والمحض من كل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه فهو محض أما المذق فهو اللبن الممزوج بالماء، ومذق الود: لم يخلصه. أنظر لسان العرب مادة «محض»، جـ ٧، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨، مادة «مذق»، جـ ١٠، ص ٣٣٦ ـ ٣٤٠.

(*) الأصل: إثارات، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٠) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٠، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٦ «وخيم عليها».

العدى من عدوى سطواتنا المبيرة، ومد الجسر كما امتد على الطرس[1] السطر.

وكانت البيرة قد طمع فيها صاحب ماردين فاستولى على مواضع من أعمالها وحوى اليه من حواليها ما عطّل حوالي أحوالها، فلما سمع بنا [2] تخلّى عنها وخلاها وتركها وما سأل عنها بل سلاها. فأعدنا [3] اليها شهاب الدين محمد بن الياس الارتقي [4] فاحمد في ذروتها الرقي. وشرعنا في تهيئة أسباب العبور، وعقدنا في الحل والترحال حبى الحبور، وبدأنا بنقل الاثقال إلى السفن لنحصل من مخاطرة الزحام بها في الجسر على الامن، وضرب كل منا خيمة [5] بالجانب الشرقي يحوّل اليها رحله، ويخفف نحوها ثقله. وأمددنا من معاقل الأرض[6] بعدّة من السفن، والخلق كثير، والجمع جمّ غفير، والجيش جائش والجو من قرارنا ووقارنا طائش، / والفُتُح[7] الكواسر بعثيرنا عائرة، والرُّعن[8] الجواشر من بأسنا باسره، والسماء من عجاجتنا أرض، والبحر من أمواجنا برض، ومنّا من عبّر خيله سباحة، ووجد من الزحمة راحة، ولم يجد على العبور على الجسر جسارة، فوجد ربحا وعدم خسارة. وكلّ في عبره على حذر، ومن أمره على قدر، ومن ورده في صدر، ومن صفوه متحرز من كدره، ومن عزمه على جدّ، ومن حزمه ذو جدّ، ومن عدّته وعُدّته في غدٍ، والشعاب لأسهم سهمنا جعاب وعلى الربى من سحب شجبنا رباب، والعصاب غضاب وللقنا من أسدنا غاب، ولله من عباده أبرار لنصر دينه أرباب.

١٥ أ

فلما جُزنا الفرات وحُزنا الثبات، وجمعنا من الرّجال والرحال الشتات، واغتنمنا في الطيب الاوقات، وتسلمنا البيرة والعَمق، وأوسعنا على العداة في ذلك الخرق ورعنا بغربنا الشرق، كاتبنا[9] أصحاب[10] الاطراف بالوفود للوفاق والتنحي عن مذهب

---

(١) في السنا، ص ٢٠٢، «الطريق».

(٢) الروضتين، جـ ٢، ص ٣١ «بالسلطان».

(٣) الروضتين، جـ ٢، ص ٣١ «فعاد إليها صاحبها. . .».

(٤) لم نجد له ترجمة لدى ابن خلكان ـ الوفيات ولا الوافي بالوفيات للصفدي ولم يذكره ابن الأثير في الكامل. أصله تركماني وكان هو وأجداده من حكام ماردين. أنظر ابن خلكان، جـ ١، ص ١٩١.

(٥) في السنا «خيمته»، ص ٢٠٢.

(٦) في الأصل «الأرمن» ص ٢٠٢.

(٧) الفتوح من الإبل: الناقة الواسعة الأحاليل. لسان العرب، مادة «فتح» جـ ٢، ص ٥٣٩.

(٨) الرَّعَن، الاسترخاء. أنظر لسان العرب، مادة «رعن»، جـ ١٣، ص ١٨٢. والجشر: القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم، لسان العرب، مادة «جشر» جـ ٤، ص ١٣٧، والبسر: الأعجال، مادة «بسر»، جـ ٤، ص ٥٧.

(٩) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢، «ثم كاتب السلطان الملوك بالوفود للإتفاق».

(١٠) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٧ «ملوك».

الخلاف، وانه من جاء مسلماً وللأمر مستسلماً، سلمت بلاده وصينت أطرافه وتلاده على أنه يكون من اجناده في غزو الكفر وجهاده.

١٥ ب

ذكر وصول رسول نور الدين محمد بن قرا[1] أرسلان/ صاحب حصن كيفا بالاذعان ومجازاة ما سبق اليه من الاحسان بالاحسان

وعاد رسولنا من ابن قرا أرسلان يذكر انه مذعن بالطاعة، مؤذن بالتّباعة، واصل برجاله ورحاله[2] وأشياعه وأسبابه[3]، وأجناسه وأنواعه وأوزانه، وأوزاعه[4]، وأتراكه وأكراده، وجُرده وجراده، وكُمته وكُماته، وحُمسه وحُماته، وقُبّه وقبابه، وعُربه وعرابه، وسمره وبيضه، وقضّه وقضيضه، وكواهل صواهله، وحوامل عوامله، وأنابيب صعاده، وشآبيب جياده، ومناقب مقانبه وسحائب سلاهبه[5]، وضوامن ضوامره لخصوص النصر، وكوامن ضمائره وسرائره لخلوص السر. وطلب عند وفائه بالعهد ووفاقه في الود، وقيامه بحسن البلاء، واهتمامه بصدق الغَناء ان يعان على صاحب آمد، فانه تنكّب في قصده المحامد وتجرّد في عداوته فكان[6] المعاند[7]. فشكره السلطان وأجاب سؤاله وأصاب سؤله، وأعاد إليه مع رسوله رسوله، وعرّفه بعرفه انه ما موّله إلا مأموله، وسنذكر في وقته وصوله.

١٦ أ

ذكر سيرنا إلى الرها/ وفتحها وتأمين سرحها

ثم رحلنا من البيرة والمبرّة[8] مُبرّة، وألطاف الله مستدرة في ممرّنا مستمرة، ورغائبنا لغرائب المستجيرين بنا مستجرّة[9]، ومواهبنا في مذاهب المستقرين لنا مستقرة، وفي كل

---

(١) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢ «قولا» وهي تصحيف أنظر ابن الأثير ـ الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٣.

(٢) في الأصل «ورجاله» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٢.

(٣) في السنا، ص ٢٠٢ «واشياته».

(٤) ساقطة لدى ششن، أنظر ص ٩.

(٥) ششن «سلاحبه»، ص ٩، والسلهب: الطويل من الخيل والناس ج سلاهبه. لسان العرب، مادة «سلهب»، جـ ١، ص ٤٧٤.

(٦) ششن، ص ٩، «وكان».

(٧) في السنا، ص ٢٠٢، «العاند العامد».

(٨) السنا، ص ٢٠٢، «المبرة».

(٩) ششن، ص ١٩ «مستجسره».

يوم قوم لهم في بحرنا عوم ومن سموّنا سوم، وفي كل فلق فيلق نسده[1] بالقتام، وورونق نجدّه[2] بالاعتزام، وفي كل فجر مجر[3] ولكل جمع جمر، وفي كل حال[4] من عسكر واقد[5] وعثير عاقد، وبيارق تبرق وبوارق تخفق، وسَنَا سنابك تقدح وسرى سراحيب[6] تمرح وسراحين[7] تجمح، وقنا تعتقل ومنىً تعتقد، وظبى تنتضى وربى تنتضد، وحبى تعقد وحباء [8] تفتقد، وعقود تنتقى وعقول تنتقد، وبيض تقد وبيض تعد.

ذكر النزول على الرها والمسير إلى حرّان والرقة

فنزلنا بالرّها وانس مع عقوقها برّها، واستمر أياما حصرها، وفيها الأمير فخر الدين مسعود بن الزعفراني[9] فتنمّر وتذمّر، وتربّص[10] وتصبّر، وتسمّر بها وتشمر[11] ونفّر واستنفر، ثم رأى أنه لا طاقة، وأنه لا يجد إلا فاقة، وأنه لا يعدم الفاقة فاستبدل من عبوسه الطلاقة، وأرسل/ الينا بتسليمها لسلامته ووفيناه حق كرامته. وتسلمها مظفر ١٦ ب الدين الى[12] حرّان مضافة، ووجد بها[13] في رتبة العلاء إنافة[14].

وجئنا إلى حرّان ظافرين ظاهرين، قادرين قاهرين، والدنيا دانية، والعليا زائنة، والحسنى زائدة، والجدوى جائدة، ونكب الدهر راكدة، وعين الخطب راقدة، وسحب البأس بارقة راعدة، ومثارات القتام من تحت الصلاد فوق الصعاد صاعدة. فأقمنا حتى

---

(١) في الأصل «لسدّه».

(٢) كذا في الأصل ولدى ششن، ص ٩ «مجده».

(٣) السنا، ص ٢٠٢ «فجر» والمجر: الجيش العظيم المجتمع. لسان العرب، مادة «مجر»، جـ ٥، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٤) «كل حال» مكررة في الأصل.

(٥) السنا، ص ٢٠٢ «وافد» وكذا أيضاً لدى ششن، ص ١٠.

(٦) السرحوبة من الإبل السريعة الطويلة، ومن الخيل: العتيق الخفيف - لسان العرب، مادة «سرحب»، جـ ١، ص ٤٦٧.

(٧) والسراحين جمع سرحان وهو الذئب، وقيل: الأسد. لسان العرب، مادة «سرح»، جـ ٢، ص ٤٨٢.

(٨) الأصل، «حباه».

(٩) قارن ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٣ - ٤٨٤، وابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ١١٥. الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢.

(١٠) السنا، ص ٢٠٢، «تربض».

(١١) ششن، ص ١٠، «تشمت».

(١٢) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢، وفي السنا «والي»، ص ٢٠٢.

(١٣) ششن، ص ١٠، «بها».

(١٤) السنا، ص ٢٠٢ «اناقد».

أقمنا الشعار وأتممنا[1] الاستشعار، وقضينا من رعاية الرعايا في اوطانها الأوطار، وبرّدنا حر حرّان، واستجلت من ملوكنا الوجوه الغُرّان، واستحليت ثمرات المران، واستعذبت لذات اللدان، واعتدنا السعادة واستسعدنا العادة، وطلبنا الزيادة ورمنا لمرضى البلاد بصحة عزمنا العيادة[2]، ولبيّنا في نديّ[3] الندى السيادة، واستأنفنا للابداء الاعادة[4]، وأحسنا لدى الوفادة الافادة بعد الاجازة الاجادة[5]. ورحلنا إلى الرقة بصرائم قوية مجانبة الركّة والرقة، لنقاضي غرماء الملك بديونه المستحقة، وتم الحصر والنزال[6] وفيها الامير قطب الدين بن حسان[7] ينال[8]، فدارت على قطبه الرحي[9]، فرأى من النازلين عليه جنح الدجى في رأد الضحى، ثم عرف أنه لا يطيق، ومن سكر خطبه لا يفيق،فبذل[10] اذعانا وسأل أمانا، وسلّم وسلم وعصم المال والدم وخرج بنفائس أمواله/، بعد ترك ذخائره وعدده وغلاله، وفارق وما رافق ووفى لصاحبه وما وافق. ولبثنا[11] ريثما أصلحنا الفاسد ونفّقنا[12] الكاسد، وروّضنا الماحل وروّحنا الناهل، وأعذبنا الموارد وهذّبنا المقاصد، وأحكمنا القواعد وأبرمنا المعاقد، وألنّا الشدائد وأنلنا الفوائد، ورددنا الشارد وشرّدنا المارد، وولّينا في البلد من أهل الجلد من يفي بحفظ[13] المطّرف وصون المتّلد، ونفي شرعة الشريعة من الرنق، ويلي بادالته الدولة رائقة الرونق، ويعي الأمر فيمتثله بالأوفى الأوفق، ويسنيّ[14] بشر صفاته بشر

١٧ أ

(١) في السنا، ص ٢٠٢، «وأتممنا»، استشعر القوم: إذا تداعوا بالشعار في الحرب. أنظر لسان العرب، مادة «شعر» جـ ٤، ص ٤١٣، أنظر ص ٤٠٩.

(٢) ششن، ص ١٠، «العباءة».

(٣) فلان ندي الكف: إذا كان سخياً، لسان العرب، مادة «ندى»، جـ ١٥، ص ٣١٥.

(٤) لدى ششن، ص ١٠، «الابداء للاعادة».

(٥) ششن، ص ١٠، «الإجازة».

(٦) لدى ششن، ص ١٠، «الحصار».

(٧) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٧، «صاحب منبج»، ولدى ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٤ «المنبجي».

(٨) في السنا، ص ٢٠٢ «ابن حسان قطب الدين ينال»، وفي الروضتين، جـ٢، ص ٣٢ «قطب الدين ينال بن حيان» وكذا أيضاً في مفرج الكروب، جـ٢، ص ١١٧، وابن الأثير، الكامل، جـ١١، ص ٤٨٤، ابن خلكان، وفيات، جـ٤، ص ١١٥.

(٩) في الأصل «الرحا».

(١٠) أضاف ششن بعد كلمة فبذل «بنفائس امواله»، ص ١٠.

(١١) في السنا، ص ٢٠٣، «ورفقنا».

(١٢) في السنا، «ووفقنا».

(١٣) في الأصل «بحسن» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٣.

(١٤) أنظر لسان العرب، مادة «سنا»، جـ ١٤، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

ولائه العبق، وروى[1] زند جده في منار الحق لانجياب الغسق، ويري الخلق بحسناه حسن الخلق، ويضيء نبات[2] ثباته عند اتساع خرق الخرق، ولا يهي[3] عقد حزمه في الوقائع الروائع عند انحلال عقود أولى العزم الموثق في الحق المستوسق.

فلما أتممنا المصالح وأحكمنا المناجح وأوضحنا المناهج، هززنا معاطف المرّان[4] إلى مشهد الرمّان وثنينا[5] أعنّة العراب إلى عرابان[6]، وجئنا إليها فلاة شاسعة ودوّية شاسعة، وجرنا [7] في جور تلك البريّة ببحور تلك البريّة، وحين قربنا منها تلقانا قضاتها ورؤساؤها، وخرج الينا رجالها ونساؤها، وأظهروا بقدومنا البشر والبشاشة [8] والبر والهشاشة/ . ١٧ ب

وكان عند قربنا من المدينة يوم الزّينة، فنفسنا بحبور حضورنا عن النفوس الحزينة، وخيّمنا على ظاهرها، ونزلت بأرضها سماء السماح بأزهارها وزواهرها وأصحرنا بصحرائها، فبدا كل وجه حسن وبان، وكل ضرّ بذلك العراء عرا عرابان [9] بان، فرفعنا منهم الرؤوس ووضعنا عنهم المكوس، وضربنا على الضرائب وفللنا نيوب النوائب، وثلمنا مضارب المضار وهدمنا معارج المعار، وشفينا أوام الأوامر، وعفّينا مناهج المناهي، وروّينا ظمأ الضمائر، وسوينا دواء الدواهي، وعدم متاع المتاعب وأمن مصاع [10] المصاعب. وتواصلت أخبار وصولنا الخابور، وهبت فيها[11] قبول اقبالنا بادبار الدبور، وشاع العدل وذاع، ورتّبنا على قانون الدولة العادلة الاوضاع، وعمرت[12] الأعمال وصلحت الاحوال، وفتحت من رأس عينها[13] عينها، وأصلحت

---

(١) في الأصل «ورى»، ششن، ص ١١، «وروى» والماء الرّوى: الكثير. لسان العرب، مادة «روى» جـ ١٤، ص ٣٤٦.

(٢) ششن، ص ١١، «وتضيء بنات».

(٣) يهي: يضعف. أنظر لسان العرب، مادة «وهي»، جـ ١٥، ص ٤١٧.

(٤) في السنا، ص ٢٠٣، «الزمان».

(٥) في السنا، ص ٢٠٣، «وأثنينا».

(٦) أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٤٢، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٧، وابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٤، وهي عند ياقوت «عربان» بليدة بالخابور من أرض الجزيرة. أنظر ياقوت، معجم، جـ ٤، ص ٩٦.

(٧) لدى ششن، ص ١١، «وجزنا». والجور: ترك القصد في السير أو الميل عن القصد. لسان العرب، مادة «جور» جـ ٤، ص ١٥٣.

(٨) لدى ششن، ص ١١، «واظهروا بقدمنا البشرى». (٩) ششن، ص ١١، «عربان».

(١٠) المصع: التحريك، والمصاع: المجالدة والمضاربة. لسان العرب، مادة «مصع»، جـ ٨، ص ٣٣٧.

(١١) السنا، ص ٢٠٣ «فيه». (١٢) ششن، ص ١١، وعمر».

(١٣) السنا، ص ٢٠٣ «عين رأسها» وهي إشارة إلى فتح رأس العين، بلدة في الجزيرة إلى الشرق من حران تقع بينها وبين ماردين. أنظر ياقوت، جـ ٣، ص ١٣ - ١٤.

بالطاعة والتباعة بيننا وبينها، وبلغت الخيرات إلى مداها وانتهت الركاب إلى منتهاها، حتى سكن سكون دور دورين[(١)] واستنزعنا ماكس ماكسين[(٢)]، وطلعت شمس الانس [(٣)] للشمسانية[(٤)] وأشرقت الآفاق بالأنوار السلطانية، وتحصن بعزّنا الحصين[(٥)]، وفدانا الفدين[(٦)]، وثبت المجد للمجدل[(٧)]، وأخذ [(٨)] للبزاة الشهب منّا قنص الاجدل [(٩)]، وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التنينير[(١٠)] وانتظمنا عليها في الزحام نظم/ ١٨ أ النثير، ونشر عبورنا بها نشر العبير.

ذكر الوصول إلى نصيبين

ولما جزنا الخابور وأتممنا العبور، أخذنا الطريق إلى نصيبين يسرة، واستخرنا الله في قصدنا واستجدينا منه نصره. ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث، وسلكنا في مسالك سهول وأوعاث، وأزلنا جدبها وجورها بغيث وغياث، وعزائم حثاث وصرائم[(١١)] ذات انبعاث، على أن الانفس من خوف الالتباث لوخمها ذات التياث[(١٢)]، ودخلنا المدينة وانزلنا بها السكينة وجئنا إلى قلعتها وقد تحصنت، وبمنعتها تحسّنت، وسائر اسوارها مصفوفة، وعرائس مجانيقها مزفوفة. واشفقنا في حصرها من سفك الدم وهتك الحرم، فوكلنا بها من يمنع من الدخول والخروج، وسلطنا والى[(١٣)] اللجاج على واليها اللّجوج، فمني بمصاب المصابرة، وعرف انّه لا محيص من المحاصرة، فأرسل بعد مضي برهة من

---

(١) بلد في الجزيرة الفراتية. قارن الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢.

(٢) بلد بالخابور. أنظر ياقوت، جـ ٥، ص ٤٣.

(٣) شش‌ن، ص ١٢ «الأس».

(٤) بليدة بالخابور. أنظر ياقوت، جـ ٣، ص ٣١٢.

(٥) بليدة على الخابور، أنظر ياقوت، جـ ٣، ص ٢٦٧.

(٦) قرية على شاطىء الخابور بين ماكسين وقرميّسياء. ياقوت، جـ ٤، ص ٢٤٠، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢.

(٧) اسم بلد طيب بالخابور إلى جانبه تل عليه قصر وفيه أسواق كثيرة. ياقوت، جـ ٥، ص ٥٦ - ٥٧.

(٨) في الأصل «واحد».

(٩) الأجدل: الصقر. لسان العرب، مادة «جدل» جـ ١١، ص ١٠٣.

(١٠) في السنا «التنين»، ص ٢٠٣، ياقوت، جـ ٢، ص ٥٤، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢ «التنبنير» وجاءت لدى مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١١٨ كما في المتن.

(١١) جمع صريمة وهي القطعة الفخمة من الرمل تنصرم عن سائر الرمال. لسان العرب، مادة «صرم»، جـ ١٢، ص ٣٣٩.

(١٢) الالتياث: الاختلاط والالتفاف والتاث فلان في عمله أي أبطأ. أنظر لسان العرب، مادة «لوث» جـ ١، ص ١٨٥ - ١٨٧.

(١٣) السنا، ص ٢٠٣، «الى».

الأيام في الاسلام والاستسلام، فتسلّمناها بما فيها من أخاير الذخائر، وأثرت من احسانا أحسن المآثر، وعولنا في تولّي نصيبين على حسام الدين أبي الهيجاء السمين[1]، فتولاها تولي المكين الأمين. وكنا قد ولّينا الخابور جمال الدين خوشترين[2] / . ١٨ ب

نسخة فصل من منشور أنشأته له على حروف المعجم
بعد الخطبة

أوله: الحمد لله المتعالي جلاله، المتوالي افضاله، القديم كماله العميم نواله. نحمده حمد من اعتصمت بكرمه آماله، وانتظمت بنعمه احواله، ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد نبيه الذي امتدت باشراق الهدى وارهاق الضلال ظلاله، وعلى آله وصحبه الذين هم أعلام الحق واركانه وأطواده وجباله. وبعد فانا لما نفترضه لله من شكر شامل النعماء، والمتوالي المتواصل الثناء من الالاء، والتحدث بما أتمّه علينا من النعم والمواهب وانجحه لنا بفضله من المطالب، وافاضه من سجال المكرمات واصفاه من رداء المبرات المبرّات. ما نزال نستزيل بما نستزيده من طوارف ألطافه طوارق الأحداث، ونستهلّ ما يحصل من التوفيق حزون الاوعار والاوعاث، ونستفتح بتأييده في النصر كل رتاج[3]، ونستوضح بارشاده في طلب النفع ودفع الضر كل منهاج، ونقدّم من أمراء دولتنا كل مصافح للصفاح، وكل أسلٍ بأسه يهزم العدى قبل الكفاح، وكل أبلج سامي الهمة أبلخ[4]، وكل أشمّ ماضي العزمة أشمخ.

وهذا/ جمال الدين أيده الله ذو البأس الشديد والبيت المهيد، والعزيمة المعروفة ١٩ أ بالمضاء والنفاذ، والنهضة التي لم تزل في مقارعة أعداء الله دائمة الاغذاذ، والمخالصة الثابتة على الاستقراء والاستمرار، والمناصحة الناصعة المشرقة الانوار والاعتزاء إلى الخدمة القاضية له بالاعتزاز. والانتماء إلى العبودية الشافعة له وعد النجاح بالنجاز. وهو

---

(١) أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٤.

(٢) قارن الروضتين، جـ ٢، ص ٣٢.

(٣) الرتاج: الباب العظيم وقيل هو الباب المغلق. لسان العرب، مادة «رتج» جـ ٢، ص ٢٧٩.

(٤) في الأصل «أبلج»، أنظر ششن، ص ١٣، والأبلخ هو العظيم في نفسه والبلخ: التكبر، والطول. لسان العرب، مادة «بلخ»، جـ ٣، ص ٩.

الأثير الأثيل الأساس والكمّي الكميش[1] ذو الشدة والبأس، والقوي الضافي الرياش والجريء الرابط الجأش، وقد اصطفيناه وأصفينا له مشارع الاختصاص، وأضفينا عليه مدارع الاخلاص، وأفضنا عليه ملبس الاكرام الفضفاض، وأغزرنا لريّه مورد الأنعام الفيّاض، وأجزلنا له النعمة لكونه لها بالشكر مرتبطاً، وأفضلنا عليه بالمزيد ليصير بامداده مغتبطاً، وحفظنا فيه الحقوق[2] لكونه من ذوي الحفاظ، ورضينا مقاصده في غيظ الأعداء بالاحفاظ، ووفرنا له حفظ الاصطفاء والاصطناع، وأظهرنا فضل مكانته في المعيشة والاقطاع، وقرنّا الموهبة في حقه بالسبوغ، وأدنينا لأمله فيه صنائعنا أمد البلوغ، ورفعنا له الفوارع من العوارف، وأكدنا توالد النعم عنده بالطوارف، لتصبح مطالع أحواله الخوالي[3] مشرقة، واشتات مصالحه وأسباب مناجحه متألفة متألقة، ويده لذخائر أعراضه في السعادة/ متملّكة، والنعمة إليه لسكونها بفنائه متحركة، والموهبة له شاملة، والمنّة عليه كاملة، والمنائح منّا نحوه متواترة الامداد متوافرة الأقسام، والرغبة في رفع قدره وأسماء ذكره نافذة الأحكام مستمرة الأيام، وقد أجرينا له من الوظائف والاحسان ما يوضح ذكره من الديوان.

٩ ب

ذكر الوصول إلى الموصل والنزول عليها

ولما توفر نصيبنا بنصيبين واجتلينا من مشرق الظفر النصر المبين، وكانت الحشود مجتمعة، والوفود مزدحمة، والعقود منتظمة، والسعود ملتئمة، والجحافل حافلة، والعواسل[4] عاسلة، وذوائب الذوابل منشورة، وعوالم العوامل محشورة، والصواهل الصوافن للالجام والاسراج، والضوامر الضوامن للاقدام في الهياج، والمذاكي الجياد والصلادم[5] الصلاد، وجراد الجرد المرسلة على منابت الهام، وحمام المريشات الطائرة

---

(١) الكميش: العزوم الماضي السريع في أموره، لسان العرب، مادة «كمش»، جـ٦، ص ٣٤٣.

(٢) لدى ششن «بالحقوق»، ص ١٣.

(٣) في الأصل «الحوالي».

(٤) العواسل: جمع عاسل وهو الذئب، لسان العرب، مادة «عسل»، جـ ١١، ص ٤٤٦. للصلاد أنظر مادة «صلد»، جـ٣، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨.

(٥) جمع صلدم: وهو الفرس القوي الشديد، لسان العرب، مادة «صلدم»، جـ ١٢، ص ٣٤٢.

بكتب الحمام، وطيور السهام النافذة إلى أوكار الابصار، ونسور[١] الحوامي الناهضة بمثار العثار، وعقبان البنود في المطار، وسيدان الجنود للغوار، وسراحين السراح[٢]، واكفاء الكفاح، ولدّات اللدان، والمتنمرون المتمرّنون بالمران، والحمس[٣] المساعير، والاسد المغافير، والمقرّنات المقرونات، والمسرجات/ والسربجيات[٤]، والبيض واليلب[٥]، والبيض والقضب[٦]، والسمر السلب[٧]، والجيش اللّجب والشأن العجب، والجبال السائرة والنبال الطائرة، وغدران الزعف[٨]، وأقران الزحف، وجداول البواتر، وجنادل الحوافر، ورياح السوابق النكب، وبحار السوابح[٩] القُبّ. ٦ أ

وقطعنا أعمال بين النهرين بأنهار متدفقة وأزهار متألقة، وبحار طامية وهضاب سامية، وهواضب ساجية وسحائب هاضبة، فكسونا عرى العراء، وأسونا جرح الاواء، واثرنا غبار الغبراء، وأدرنا صحاف الصفاح وأطرنا جناح النجاح، وأزرنا الرعية زور الرعاية، وأمرنا بالعدل والاحسان في تلك الولاية، ثم جزناها[١٠] إلى أعمال البقعة[١١] وتبوأ شاهنا بتلك الرقعة. ثم سرنا إلى بلد[١٢] وأشرفنا على دجلة وأظهرت من فيض بحورنا الخجلة.

وكنا اوردنا خيلنا في أشهر من تلك السنة نيل مصر والفرات ودجلة العراق، وأهدينا بهدانا الإفاقة إلى الآفاق، فأصغت الينا المسامع وصيغت منا الصنائع، ومالت نحونا المطامع وسالت من خوفنا المدامع، وتوافدت الجيوش واستأنست الوحوش. وتواصلت الينا مقطعوا البلاد وترادفوا امداداً بعد الامداد. ففي كل صباح يطلع

---

(١) ششن، ص ١٤، «نشور».

(٢) في الأصل «السراج».

(٣) الحمس من الحماسة وهي المنع والمحاربة، لسان العرب، مادة «حمس» جـ ٦، ص ٥٧.

(٤) في الأصل السربجيات مفرد سربج وهي المفازة الواسعة بعيدة الأرجاء، أما السريجيات فهي ضرب من السيوف، وهي أكثر ملائمة للمعنى. أنظر لسان العرب، مادة «سربج»، ومادة سرج جـ ٢، ص ٢٩٨.

(٥) اليلب: الدروع وقيل الدّرق والبيض: تصنع من جلود الإبل وتجعل على الرؤوس، لسان العرب، مادة «يلب»، جـ ١، ص ٨٠٦.

(٦) القضب: جمع قضيب: وهو السيف اللطيف الدقيق، لسان العرب، مادة «قضب»، جـ ١، ص ٦٧٩.

(٧) فرس سلب القوائم: خفيفها في النقل أو طويلها، ورمح سلب: طويل وكذلك الرجل والجمع سلب، لسان العرب، مادة «سلب»، جـ ١، ص ٤٧٢.

(٨) الزعف: الموت، مادة زعف، جـ ٩، ص ١٣٤.

(٩) السوابح: الخيل، لسان العرب، مادة «سبح»، جـ ٢، ص ٤٧٠.

(١٠) في الأصل «حرناها» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٣.

(١١) من أعمال الجزيرة، أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٤٧٢.

(١٢) من مدن الجزيرة، أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٤٨١.

علينـا من الدارعـين صباح، ويفـوز لهم منا قـداح، ويـرى لهم من زنـاد أرعـابنـا[1] وفق الاقتـراح اقتـداح. ومن ثم صممنـا عـزم الـوصـول إلى المـوصـل وبشّـرنـا

٦ ب الصوادى /بقرب المنهل، وأطرنا الأطواد برياحها الأربع، وسرنا اليها بقصد المصيف[2] والمربع، وقربنا منها في مراحل متقاربة، وهواجـل[3] بالصـدى متجاوبـة، وهوادى في الوهاد كأنها آكام، وضوارى من الأساد لهـا من القنا آجـام[4]، ومذاكي[5] كـأنها في الجـري أرام. وفي المـروق سهـام، وعتـاق لهـا في المجـال حـلاب، وعـراب لهـا بالتصهال[6] اعراب. وقد رمدت[7] بما أثارته[8] الأسد عين الغـزالة[9]، وبـطشت من ليل العجاجة بضوء[10] النهار يد الإزالة. وعادت تلك البرارى من مراكز رماحنا بساتين، ومن مـراكض جيادنـا ميادين، فـالليوث معتقـلات ثعابـين، ممتطيـات من السـراحيب سراحين[11] وكأنها من لبس الحديد رياض بأيديها من القواضب قضب رياحين، وأسراب الضمر اسرار ضمائر المضامير وجري المذكيات في غلائها يعاف ركض اليعافير[12]. وتجدّد بنا مراح المراحل وامتلأت هوادج الهواجل، وقضيت منّا منى المناهل، وصحّت فينا عقائد العقائل، ووهت معاقد المعاقل، وزهيت بأيدينا مناصب المنـاصل، وتـوفرت من فـوقنا أقسـاط القساطـل، وسفر لشـوقنا فضـاء الفضائـل، وكفلت بنصرنـا ذوات الذوابـل، وحفلت ببرنا فواض الفواضل، وحسنت لهبوبنـا شمائـل الشمائل[13]، وعلت بوثـوبنا افاضة الافاضل وهتنت[14] سحبنا مواحي المواحل[15]. وسكنت بركوبنا نوازى النوازل

٧ أ وأقدمنا/ وكلّنا جحاف الجحافل، فتّاك بالقرن المُقاتـل، ما ينهنهنـا لواذع العـواذل وقد أغنتنا كثرة الناصر عن اتّخاذ الخاذل. فلما قربنا من الوصول كبّرنا تكبير من ظفر بالسـؤل.

---

(١) لدى ششن، ص ١٥ «ارعائنا».

(٢) في الأصل دون تنقيط وما أثبتناه من السنا، ص ٢٠٣.

(٣) الهواجل: المفاوز، أنظر لسان العرب، مادة «هجل»، جـ ١١، ص ٦٨٩ ـ ٦٩٠.

(٤) في الأصل «آجا» ولدى ششن، «آجال»، ص ١٥، والسياق يقتضي التصحيح.

(٥) الخيل. أنظر لسان العرب مادة «ذكا»

(٦) ششن «بالتصحال».

(٧) في السنا، ص ٢٠٣، «دمدمت».

(٨) في السنا، ص ٢٠٤، «إشارته».

(٩) في السنا، ص ٢٠٤، القراه».

(١٠) في السنا، ص ٢٠٤ «العجاج بصفو».

(١١) في السنا، ص ٢٠٤، «سراجين».

(١٢) اليعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب، لسان العرب، مادة «عفر» جـ ٤، ص ٥٨٥.

(١٣) ششن، ص ١٦، «الشمأل».

(١٤) هتنت السماء: صبت وقيل هو مد المطر فوق الهطل والهتنان: المطر الضعيف الدائم، لسـان العرب، مـادة «هتن»، جـ ١٣، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(١٥) ششن، ص ١٦، «مواجي المواجل».

وتقدّم السلطان في الأمراء ذوى الآراء ودار حول السور. وعُدم تحذّب الحدباء، وعيّن لكل مقدّم مقاماً ولكل مقدام [1] اقداماً. فنزل هو وراء البلد وتقي الدين [2] شرقية بأهل الجلد، وأخوه تاج الملوك [3] بورى عند باب العمادية [4]، ونسفنا الجبال بريح بأسنا العادية العاديّة، وضايقنا الاسوار أشد مضايقة، وعالفنا [5] رحالنا أحدّ معالفة، وقربنا الاسواء إلى الاسوار وأدرنا الدوائر بالدار، وسبكنا في نار الحرب تبر البتّار [6]، وهتكنا بيد الأيْدِ أستار الأعمار. وصاحب الموصل حينئذ اتابك عز الدين سعود بن مودود بن زنكي [7] وهو لمن عتبه وشكا يُعتِب ويُشكي، وتولّى نائبه مجاهد الدين قايماز [8] حفظ البلد بأحسن تدبير، وتلقّى كلّ ما قابله من العسر بوجه تيسير [9]، واستقبل العبوس بالبشر [10] والبؤس بالنّعمى واليسر، وشرح صدره وروّح سره. وكان قد كاتب الديوان العزيز للايعاز بإعزازه وإعانته على أعوازه، وله موعد إنجاح وإنجاد عند الصاحب مجد الدين فتقاضى بإنجازه.

ذكر وصول رسل دار الخلافة للشفاعة ورد المواصلة/ بالمصلحة في المصالحة الى الطاعة

٧ ب

ووصل الينا الخبر بأن رسل دار الخلافة واصلون، وفي أمر الموصل شافعون

---

(١) في السنا، ص ٢٠٤، «مقدم».

(٢) في مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢١، «الملك المظفر تقي الدين ـ صاحب حماه ـ».

(٣) في السنا، ص ٢٠٤، «الدين» وهو تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب كان أصغر أخوته وله ديوان شعر ولد في ذى الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة وتوفي في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة أثناء حصار حلب. أنظر ابن خلكان، الوفيات، جـ ١، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٢. وسيرد خبر وفاته في الصفحات التالية من هذا الكتاب.

(٤) في مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٠ «العمادى».

(٥) في الأصل «عالعنا» أنظر ششن، ص ١٦.

(٦) ششن، ص ١٦ «التبار».

(٧) أبو الفتح وأبو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر أتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين توفي في شعبان من سنة تسع وثمانين وخمسمائة، للتفصيل عن ترجمته أنظر ابن خلكان، الوفيات، جـ ٥، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٨، ابن تغري بردي، النجوم، جـ ٦، ص ١٣٦، الشذرات، جـ ٤، ص ٢٩٧.

(٨) أبو منصور قايماز بن عبدالله الزيني الملقب مجاهد الدين الخادم. فوض إليه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل أموره فأحسن القيام بواجبه وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة في قلعة الموصل. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ٨٢ ـ ٨٤، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٤٤.

(٩) في السنا، ص ٢٠٤ «يسير».

(١٠) في الأصل «بالبسر».

سائلون، وهم صدر الـدين شيخ الشيـوخ[1] وشهاب الـدين بشير ومعهـما من خواص الديوان جمع كثير. فتلقاهم السلطان بالصّدر الرّحب والبشر العذب والخلق السهل غير الصّعب، والسلم البكر من عوام الحرب والخطاب المتوجه لصرف وجه الخطب. وكنت إلى جنب السلطان له مسايـراً، واليه ولـه[2] في المهام نـاظراً منـاظراً، والمـوكب مشهود والمذهب مقصود، والمطلب موجود، والطالع مسعود، والشارع محمود، والملقى مودود، والملق مردود، ولواء الاقبال معقود، ورواء الادبار مفقود، وشعائر الدولة الامامية المشرقة في أيامنا البيض[3] سود، والبنود غابة من فوقها عقبان ومن تحتها أسود. وما كان أشرح صدري بلقاء الصدر وأتم بشرى بطلوع البدر، وطاب برؤيته الريّ والـريّا، وطـالعت بدنّوه طلعة الدنيا، ولقيت الحسنى بحسن تلك اللقيا، وبقيت أروّض مواحلي[4] بغيث تلك السقيا. وشُهد الموسم وعُهد المغنم، وأحمد المقدم ونفي المغرم، وشفي المعزم وغني المعدم، وظهر المَعلم وشهر المُعلِم وذكر الشرف وشرف الـذكر، وشكـر السلف وسلف الشكر، وزاد العرف/ وزال النُكر، وصح الكسر وصحا السكر، وبان منّا العذر وبان عنهم الذعر، وأمر القضاء وقضي الأمر، وسكن الدهـر وخَمد الجمـر. وشاع أن شيـخ الشيوخ قد وصل في الصلح وإغلاق باب الفتح[5]، وحص قوادم الحصر، وشيم صوارم النصر، وبرد حرّ الحـرب، ورد خبط الخطب وتفليـل نيوب النـوائب، وتقليل شـوائن السوائب، وتذليل الجوامح وتعديل الجوانح، وتدمـير الشنان وتـدبير الشؤون، وتـزبيل الاحزان وتسهيل الحزون، وتأليف النفوس النافـرة وتوظيف النفـائس الوافـرة، وإطفاء الوقود وإخفاء الحقود، وإغماد السيوف وإخماد الحتوف، ووضع الاوزار ورفع الاوتـار، ورحض الأوضـار[6] ورفض المضارّ، وإزاحـة العلل وإراحة الشغـل، وايضاح السبـل وانجاح الأمل، وسد الخلّة وتسديد الخلل، وفصل الخطاب ووصل الأسبـاب، وتلفيق الكلم وتوفيق الكرم، وتقرير السلم وتقريب الحلم.

٨ أ

ووصـل رسول مـظفر الـدين قزل أرسـلان حسن الجانـدار[7] فحبا الاحسـان،

---

(١) صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل كان من رجال الخليفة الناصر لدين الله في بغداد ذكره ابن الأثير في عدة مواضع، الكامل، جـ ١١، ص ١١٨، ٤١٠، ٤٢٥ وابن خلكان، وفيات، جـ ٧، ص ٨٨.

(٢) ساقطة لدى ششن، ص ١٧.

(٣) ساقطة لدى ششن، ص ١٧.

(٤) ششن، ص ١٧ «سواحلي» والمواحل هي الأراضي الماحلة من انقطاع المطر. لسان العرب أنظر مـادة «محل» جـ ١١، ص ٦١٧.

(٥) في السنا، ص ٢٠٤ «الفتح» وكذا لدى ششن، ص ١٧. أنظر لسان العرب مادة (فتح).

(٦) الوضر: الدرن والدسم. لسان العرب مادة «وضر»، جـ ٥، ص ٢٨٤.

(٧) ذكره ابن الأثير، الكامل، جـ ١٠، ص ١٩٦.

واجتمعت رسل الآفاق داعين إلى الوفاق، فقال الذين لاذوا بنا(١) من البلاد من الاجناد الاتراك والاكراد هؤلاء غدا يصطلحون وتندمل قروحهم على ما يقترحون، ونحن نحظى بـالاخفاق وحـرمان الارزاق، ونبـوء بالشقـاء والشقاق وسـوء سمعة النفـاق، ونقع في الحضيض ولا تقع بنا الحظوظ، ويقطع/ اقطاعنا الموصول المحفوظ. فأخذوا أمان البلد ٨ ب ودخلوا، وكما طلعوا لنا عنّا أفلّوا، واعتذروا بأننا نشبنا ونسبنا إلى الخلاف لو اننا اليكم نسبنا. ووافقهم جماعـة من أصحابنـا طمعوا منهم في العـطايا والخلع، وهـذه من أيسر جنايات الطمع. ونحن نصرّح باباء(٢) المصالحة، والاستواء على المكافحة، وترك قبول الشفاعة، واستفراغ المجهود في شغل الحصر وبذل الاستطاعة. والناس يقولون: هذا لا يستتم وان هذا الشعث لا يدوم بل يسترمّ. وفي كل يوم نناوب القتال ونعاقب النزال، والملك المظفر تقي الدين يحمل من جانبه ويبلى، ومن وسعه في الجلاد لا يخلّي، ويجرى في مضمار النضال وهو السابق المجلّي. وتاج الملوك أخو السلطان في كل حلبة وجلية، نوبة يبارز ويحاجز ويناجز، ويفترض ويفترس، ويحترز ويحترس، ويجتلب ويختلس، والاقران تقترن، والشجعان تضطعن، والعثرات تقترع، والنعرات تـرتفع، وجمـرات اللّظى(٣) تضطرم، وغمرات الوغى تقتحم ونجوم النصال تنقضّ، ورجوم النضال ترفضّ، وشيخ الشيوخ ينهى وينكر ويردد التوبيخ ويكرّر، ويعدّد ويفنّد ويقرّر التقريع ويؤكد، ويصدر بالتغضب ويرد، ويقول: كيف احظر المحظور ولا احذر المحذور، وأنا جئت في التوسط والمنع من التورط، ولا رضى من التسخط، وهذا/ الفعل الممقوت إذا غبتُ لا يفوت فان ١١ أ كان لي قبول وعليّ اقبال ولعقد حلولي لهذه العُقد انحلال، فتصبّروا وتربّصـوا واسكنوا ولا تحرصوا، حتى ارسل من اليوم إلى القوم، وأتكفل في متاع هذه المتاعب برفع السّوم، وأحسنوا بترك مـا لا يحسن، وانزلـوا إلى اللين عن النزال الـذي يُحسن، واقبلوا تقبلوا واعدلوا عما انتم فيه تعدلـوا. فقلنا له: السمع والطاعة والحب والكرامة، ومـا أحسن مرادك إذا أردت السِّلم والسلامة. وتحولنا إلى جانب لا يبعد على الرسل طريقه ولا يفرق على البعد فريقه.

وأرسل شيخ الشيوخ إلى القوم صاحبه وذكر مطالبه، فشرعـوا يندبـون كل يـوم رسلهم ويملأون بالمراسلات الخادعة سبلهم، فخـرج أول يوم جمـال الدين محـاسن مع أخي(٤) النقيب الشريف واستفتحنا فيما عراهم بالتقريع والتأنيب. وكـان حضورهم في

---

(١) في الأصل «لنا» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٤.

(٢) في السنا، ص ٢٠٥ «نصرح باب».

(٣) في الأصل «الظبى»، أنظر السنا، ص ٢٠٥.

(٤) في السنا، ص ٢٠٥، «أخ».

خيمة شيخ الشيوخ عنده، وقد خلا بهم وتخلّاً[1] بهم وحده، فأنفذ إلى السلطان من عرّفه وصولهم واستدعى منه ثقاته الذين يسمعون فصولهم. فتقدم إلى القاضي الأجل الفاضل[2] والِيّ والى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى[3] بأن نحضر ونحصي كل ما يقولونه ونحصر، وننهي ما نسمعه بفضله وفصّه، ونتلوا ما نعيه بظاهره ونصّه. فاذهبوا ذلك اليوم بالشكايه ولم يوصلوا مبدأها إلى الغاية، ثم قالوا: ندخل ونخرج غداً بالحديث

١١ ب المبين/ والامر[4] المعين ولا نخرج عن الممكن. وجاءوا ضحوة الغد مستقيمين في جدهم على ذلك الجَدد، وذكروا مطالب متكثّرة ومآرب متعذرة، واقترحوا إعادة البلاد المأخوذة وقصدوا بها تفليل الحدود[5] المشحوذة، واننا نعود إلى الفرات ثم نتكلم فيما يعود بجمع الأشتات، وراموا بذلك اذهاب الاوقات. ومكثنا على هذه السنن، وتفسيخ العقود وتمسيخ الزمن قريباً من شهر لا ننتهي إلى أمر مستقر، وهم يقصدون الخدع والختل، وشيخ الشيوخ ينسبنا إلى أننا لا نؤثر الفصل. فدخلنا في كل ما أرادوه، وزدنا في جواب سؤال ما زادوه. وانفصل الأمر على أن ردّت[6] علينا حلب، ونرد على صاحب الموصل كل ما طلب.

وكان قد عرف الأجلّ[7] الفاضل فحوى مقالهم ودعوى محالهم[8]، وأن وجه

---

(١) ششن، ص ١٩، «تخلا».

(٢) أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني الملقب مجير الدين والمعروف بالقاضي الفاضل كان وزيراً للسلطان صلاح الدين أبدع في صناعة الإنشاء واشتهر من خلالها. ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة في مدينة عسقلان بفلسطين وكان أبوه قاضي بيسان فنسبوا إليها وتوفي في سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة. وقال عنه ابن خلكان «كان من محاسن الدهر وهيهات أن يخلف الزمان مثله». أنظر لترجمته، ابن خلكان، وفيات، جـ ٣، ص ١٥٨ ـ ١٦٣. ابن العماد الأصفهاني، خريدة، قسم مصر ـ ١ ـ ص ٣٥، المقريزي، الخطط، جـ ٢، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ وأخباره لدى ابن الأثير، جـ ١١، كثيرة وكذلك في الروضتين ومفرج الكروب، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٥٦، الشذرات، جـ ٤، ص ٣٢٤، والنويري، نهاية الارب، جـ ٨، ص ١ ـ ٥١ وله ديوان شعر مطبوع، تحقيق أحمد البدوي، القاهرة ١٩٦١، طبقات الشافعية ـ السبكي، جـ ٤، ص ٢٥٣.

(٣) أبو محمد عيسى بن محمد الهكاري الملقب ضياء الدين، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وكان أحد الأمراء بدولة صلاح الدين. كان مدرساً بالمدرسة الزجاجية بمدينة حلب فاتصل بأسد الدين شيركوه وصحب صلاح الدين فاعتمد عليه. وتوفي في عكا سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم نقل ودفن بالقدس. أنظر لترجمته ابن خلكان، الوافي، جـ ٣، ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، جـ ٦ ص ١١٠ وأكثر ابن الأثير وصاحب مفرج الكروب من ذكره. المقريزي، السلوك، جـ ١، ص ١٠٣.

(٤) السنا، ص ٢٠٥ «الأثر».

(٥) في السنا، ص ٢٠٥ «تقليل الجدود».

(٦) ششن «يردوا»، ص ١٦.

(٧) ششن، ص ١٩ «الأديب».

(٨) السنا، ص ٢٠٦ «مجالهم».

صلاحهم وصبح صلحهم لا يؤذن بالاسفار والسفور، فانقطع (١) بعد أيام بعذر ذكره عن الحضور. وكنت احضر أنا والفقيه عيسى للسماع والانهاء والتحمّل والاداء، ثم انقطع الفقيه عنهم وتأفف (٢) منهم، واستمر ترددى ولم أجذب عن المهم يدى، فوجدوا بذلك مهلة وأصابوا لظمائهم بوردهم وصدرهم نهلة، وهم في أثناء ذلك يستنجدون الاملاك ويستجدون الاشراك، وينصبون الحبائل ويطلبون المقاتل، ويجلبون المخاتل، ويستفسدون بالأطماع، ويسترشدون بالخداع، ويلتمسون وساطة الاطراف، / ١٢ أ ويظهرون الوفاق ويذهبون في السر (٣) مذهب الخلاف، حتى صفونا من اكدار الغرباء وعفونا عن اوزار الجبناء.

ذكر دخول شيخ الشيوخ إلى الموصل

ولم يزل يتمخّض الزّبد وينتقض العقد، ويتمحّض الصواب ويتفذلك الحساب، حتى استقر ان يدخل إليهم شيخ الشيوخ لابرام العقد المفسوخ واحكام العهد المنسوخ. وظهر أن وردهم صفو وأن وعدهم من الخلف (٤) خلو، وأن حقهم صحيح وان صدقهم صريح، فمضى لإيلافهم واحلافهم ومري(٥) أخلافهم ورفع خلافهم. فظل وبات عندهم يومه وليله وأجرى في مضمار ختلهم خيله، وأراهم مَيْله ووفّاهم كيله، وسمع حديثاً حديثاً ردّ عليه الغطاء ذيله، ووجد للخُلف مجالاً ولم يجد للخِلف محلاً الاّ مُحالاً. ورآهم متفرقين في طرق(٦) التلوّن والتلوّم، غير مجتمعين على سلوك النهج الأقوم. وانكروا(٧) كل ما ذكره رسولهم وان سوى ما سأله(٨) سؤلهم (وقالوا): فان صلاح الدين ان اراد وفاقنا ووافق مرادنا ورحل عنا ورد بلادنا فنحن(٩) نخلي بينه وبين حلب، ولا يطلب أيضاً عليها اسعادنا، فان لعماد الدين زنكي أخينا معنا يمينا، فكيف يجد منا عليه معينا؟ فان رضيتم بما سألنا وإلا فما(١٠) سمع الناس وما قلنا. / وكان ١٢ ب

---

(١) ششن، ص ٢٠ «وانقطع».

(٢) السنا، ص ٢٠٦، «تأنف».

(٣) في الأصل (السوء)، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٤) السنا، ص ٢٠٦ «الخلاف» ولدى ششن، ص ٢٠ «طريق».

(٥) المري، مسح ضرع الناقة لتدرّ. ومرى الشيء وامتراه: استخرجه، لسان العرب مادة «مرا»، جـ ١٥، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٦) السنا، ص ٢٠٦ «طرف».

(٧) ششن، ص ٢٠ «واكروا».

(٨) السنا، ص ٢٠٦ «سوى ما شاء».

(٩) في الأصل «ونحن».

(١٠) ششن، ص ٢١ «فان».

المستقر[1] مع الرسل أنهم يسلّمون الينا حلب ويستعيدون منا البلاد، ونعقد معهم الوداد ويحضرون معنا الجهاد. ثم ندموا على ما قدموا[2] من التقرير، وأخذوا في غيره من التدبير ولم يكن عرضهم له مرضياً فانصرف مغضباً مغضياً. وخرج إلى بغداد متوجهاً وعلى نكر[3] مكرهم متنبهاً، فجاؤا[4] اليه وتعرّضوا وتضرّعوا وسألوه وتشفعوا وقالوا: تعود وتعيد ما سمعته وتحكى من المعنى ما استعملته، فلعلك تأتي بالعلل بعد النهل، وترد بلطفك من عنف علينا وصعّب إلى المنهج الاسهل، فرجع بغير ما رجا، واستكشف كذبهم الحجى، وما اضوأ صباح ما جد فيه الماجد لو ان ليل جدّهم ما دجا. فلما اجتمع بالسلطان استعفى من الكلام، واستوفى حديث ما أبصره وسمعه من الاقسام، فقال له: هذه أشهُر شِراف وميامن بقدومك طراف، وقد عزمنا ان نرحل ونهب لوصولك الموصل. وكان نزولنا عليها في رجب ودخل شعبان وامتد الزمان، وحدثت على تلوّنها الصرف وتصرف الحدثان.

ذكر الرحيل إلى سنجار[5] وحصارها وفتحها وسبب قصدها

١٣ أ كان من بسنجار من العسكر الموصلي مدة مقامنا على الموصل يقطع دوننا/ طريق الواصل، ويخيف إلينا نهج السابل، ويغاور ويراوغ ويبلغ ويبالغ، ويمنح الغِيَر[6] ويمنع المِيَر، وينفخ في ضرم الضرر، ويقف حذاء الحذر، وينكي وينكب ويركب ويكرب. فأمر السلطان ابن اخيه الملك المظفر[7] عمر ان يمضي لحصر[8] سنجار وقسر من جار، فسار في الاسد والغاب والخُمس (الغضاب)[9]، والصمّ الصلاب والغلب الغلاب، والبرق والرعد والسحاب، والقب والقباب والعتاق والعراب، والخضرم العباب والعرمرم الجوّاب، وصباح الصحاب وجماح الأصحاب، والسمر الدقاق والبيض الرقاق الغلاظ الرقاب. ونهض في عجيجه وعجاجه، وخرصانه وزجاجه وبحوره وأمواجه،

---

(١) السنا «المقرر»، ص ٢٠٦.

(٢) في الأصل «ثم ندّموه على ما قدّموه» وما أثبتناه من السنا، ص ٢٠٦، ولدى ششن، ص ٢١ «ندموا على ما قدموه».

(٣) الأصل: «مكر» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٦.

(٤) في السنا، ص ٢٠٦ «فحلوا».

(٥) من مدن الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين نصيبين. أنظر ياقوت، جـ ٣، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٦) بشأن الغير، أنظر لسان العرب مادة «غير»، جـ ٥، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٧) في السنا، ص ٢٠٧ «الملك المظفر تقي الدين».

(٨) في الأصل «بحصر» والسياق يقتضي التصحيح، أنظر ششن، ص ٢١.

(٩) في الأصل (العضاب).

وجموعه وافواجه، ولجبه وضجاجه، وارتجائه للفتح وارتجاجه، وامتراجه بالحتف وامتزاجه. وخفقت كواسره وتدفقت مواطره، وبرقت بواتره ورعدت قساوره، وهاجت زماجره وماجت زواخره، ودجت بالعثير سوافره، وسفرت بالستور دياجره، وترتبت ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين[1] عساكره. وصبّح بمنزلة بارنجان[2] قريباً من سنجار عسكراً من الموصل اليها مجردا فأحاط به وبجمعه مشردا، وأخذ خيلهم وعددهم وشتت عددهم[3] ومددهم، ووكل بهم من ردّهم إلى الموصل رجّالة، ونالوا في عثرتهم منه إقالة، واحتبس عنده/ مقدّمين محترمين مكرمين، وكتب بخبرهم الينا وقال: قد وفينا بما ١٣ ب
علينا. فاغتنموا استضافة سنجار فانه غنيمة وخير ما تصمم له عزيمة. فرحلنا ومعنا رسل دار الخلافة، ومطالع المطالب مؤذنة بالانارة[4] والانافة، وفي طرقنا الأمن وأمامنا إلى المخالفين طوارق المخافة، واستطبنا المغدى والمراح لنا في مراحلنا واستعذبنا مناهب مناهلنا، فأوصلنا من المواصلة الآلاء إلى مواصلنا. وكانوا في كرب بقربنا ففرجنا عنهم ضيق كربنا. ولاح سنا سنجار بعد ليال، ونزلنا على عيونها وطرقتها الخيل طروق خيال، واقتسمنا المنازل حواليها وولّينا الوجوه اليها. وكان فيها شرف الدين[5] أخو صاحب الموصل فاحتمى منها بالمعقل، ومعنا نور الدين بن قرا ارسلان[6] صاحب حصن كيفا[7]، وكان حق قدومه بتقديمه أبدا يوفى، فانزلناه في أنزه الرياض وأنضرها وأفرج البساتين وأعمرها، فأذنت نزولهم بنوازلها والحاق معالمها بمجاهلها، فإن عساكرنا لا تعدو[8] الجدوى ولا توجد العدوى، ولا تستبيح محرما، ولا تستجبّ مغرما. وعسكر دياربكر[9] يستحلي الحرام ويستحلّه، ويتملّى بكل ما يكره ولا يملّه. فقطعوا أشجارا ووصلوا أشجانا، ورمّوا جدراناً وبنوا بنيانا وخربوا عمرانا، فكم غصن نارنج للنار جني، وكم شجرة اترج عَلِيهَا بالاجتثاث. وكان يسؤني/[10] ذلك المرأى ويسرني ان ١٠ أ

---

(١) في الأصل «جناحان» وفي السنا، ص ٢٠٧ «وجناحا».

(٢) قرية قريبة من سنجار. ياقوت، جـ ٢، ص ٣٢٠.

(٣) السنا، ص ٢٠٧، «عدوهم».

(٤) السنا، ص ٢٠٧ «الانابة».

(٥) لدى مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٣ «شرف الدين أمير أميران هندوا بن مودود بن زنكي نائباً بها عن أخيه».

(٦) السنا، ص ٢٠٧ «رسلان».

(٧) لدى ششن «كيفسا» ص ٢٢ وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. أنظر ياقوت، ص ٢، ص ٢٦٥.

(٨) ششن، ص ٢٢، «تعدوا».

(٩) أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٤٩٤.

(١٠) في الأصل «يسوني».

أنـأى وأنهي إلى السلطان اجتـراء القـوم واجتـراحهم ومـرامي فسـادهم وكـان المرام صلاحهم، فيغتم ويمتعض ويرتمي إلى ذروة الاباء ويرتمض، وينفّذ ويمنع ويوبخ ويقرع. وكان نور الدين بن قرا أسلان كريما حليما لنهج الخير مستديما، ومن جنوده قبائل الكرد والاكـراد أكدار الـوِرد، فالتـزمنا [1] بهم ضـرورة وكانت حـدودهم فـي الجنايـات مطروره.

من كتاب أنشأته إلى الديوان العزيز بشرح الحال عند نزولنا على سنجار وذكر سبب قصد الموصل وذلك في العشر الاوسط من شعبان

بعد الدعاء على العادة أصدر الخادم هذه الخدمة ومطالع خدماته بأنوار طاعاته مشرقة، وأيام عمره بذكر ما شمله من عوارض المواقف المقدسة وشكره مستغرقة، والعساكر الاسلامية الإمامية كثيرة كثيفة، وآفاق النصر وأعلامه منيرة منيفة. ولما وصل سيدنا الأجل العابد صدر الدين سيد الطوائف شيخ الشيوخ ادام الله سموه، عرف الخادم قدر المعرفة بارساله اليه من معدن الرسالة، / وقام باحلال ما عيّن لاجلاله من مقر الجلالة، والتثم الارض وامتثل الفرض، واذعن الأمر إذعنّ، وأيقن من النصر ما ظنّ[2] وعلم أن الظفر مُضافره[3] والقدر مُظاهره، والنُّجح مُصاحبه ومُسامره، والربح فازت به متاجره، وأن مولانا أمير المؤمنين الامام الناصر لدين الله[4] صلوات الله عليه ناصره. وصادف وصوله وصول الخادم إلى قرب الموصل، وتهيؤ أسباب فتحها المؤمل، وأقبل اليها لينزل عليها بجد جديد وحد حديد، وهيبة رائعة وهيئة رائقة، وعزمة في ابطال الباطل وتحقيق الحق صادقة، ونشاط نشأ من حميته بحمى[5] الدين، واحتياط رآه في تملكها للمسلمين. فان القوم قد اجترأوا على الاسلام باسلامه، واجترحوا كسب الذم في فض ذماره ونقض ذمامه، واستنصروا بالنصارى وبذلوا لهم البذول منقودة وموعودة، واخرجوا من الفرنج إلى ثغور الشام جنودا محشورة[6] وجموعا محشودة[7]، وهم إلى الآن في حصنهم الذى لا حظّ لهم منه الا عاجل الخسار، وحصهم الذي يحثو في وجوه اعتزازهم باغترارهم ترب الصّغار. وتقدم الخادم بعزائم ماضية وصرائم قاضية، ونيّة خالصة منه بغير ونيّة، وخيفة[8] ظاهرة منهم بغير خفّية.

---

(١) ششن، ص ٢٣ «والتزمنا».

(٢) ششن، ص ٢٣ «ضن».

(٣) ششن، ص ٢٣، «متضافرة».

(٤) هو الخليفة الناصر بن المستضيء الذي ولي الخلافة في بغداد ١١٨٠ - ١٢٢٥م/ ٥٧٦ - ٦٢٢هـ.

(٥) ششن، ص ٢٤ «حمة يحمى».

(٦) (٧) لدى ششن «محشودة، محشورة» ص ٢٤ أي معكوسة عن الأصل.

(٨) ششن، ص ٢٤، «خفية».

فلما وصل صدر الدين دفع في صدر نشاطه، وقبض بما جاء فيه من الأمر المطاع على يد انبساطه. وذكر أنه مأمور بما يراه من مصلحة المصالحة، وسد عزم باب/الفتح بما عزم عليه من المفاتحة. فقرب الخادم من الموصل ليقرّب[1] مسافة التوسط، وليأخذ في اظهار الحجة على القوم من معاندة الحق والمواربة عنه بالاحوط، وترك القتال ارتساماً للامر واحتراماً للشهر واتباعاً للاشارة الصدرية. وبقيت رسلهم مترددة في كل يوم بمطالب لم تخطر من قبل ببالهم، ولم يدر أيسرها في امالهم. فما زالت تستنزله من مطلب بعد مطلب، وتسلك به في مذهب بعد مذهب، حتى نزل بحكمه على اغراضهم المشتطة، فاستقالوا بها من العثرة واستقلّوا من السقطة. وطالت مواصلة المواصلة بالمخادعات، ورقّت الحال بهم عن الشفاعات والضراعات إلى المدافعات، وهم في اثناء ذلك يراسلون الجوانب ويواصلون الاجانب، ويتوسلون بالاكابر والأصاغر، ويلبسون من بواطنهم من الخلاف خلاف ما لبسوه بل لبسوه في الظواهر. ويشيعون حديث الصلح حتى يخافهم من نيّته الاعتصام بالخادم، ويسعون بكل فن في[2] استفساد النيّات وتغيير العزائم، حتى انتهت مطالبهم وانتبهت مطامعهم، ووعت حديث من يعزّهم من رسل الاطراف الجبلية مسامعهم.

١٩ أ

دخل صدر الدين إلى الموصل لاحلافهم على ما استقرت عليه خاتمة الحال فيعرف انه كان محالاً[3] منهم على المحال، فنفض يده من صلاحهم وانفضّ رجاؤه/ من فلاحهم، وعلم ان جناح جناحهم آخفى وجه نجاحهم وعثر على اتضاحهم في افتضاحهم. وعاد منهم وهم على عادتهم العادية واطماعهم المتمادية، وقد اعتزوا بمن يعدهم ويمنيهم «وما يعدهم الشيطان إلا غرورا[4]»، والآن فلم يتركوا بينهم وبين الخادم طريقا للصلح والصلاح معمورا. وقد ترك الموصل في العاجل اكراماً للشفاعة والتزاماً للتباعة، واشتغل بسنجار لينظمها في السلك ويضيفها[5] إلى بلاده الداخلة في منشور الولاية والملك. فقد كان عسكر سنجار مدة مقامه على الموصل يواصل قطع السبيل، ويمنع السابلة من جلب الميرة في الكثير والقليل، واذا فتحت زالت المخاوف، ودنت المقاصد والمقاطف. والعزم مصمم على انه لا يفارق هذه البلاد بمشيئة الله وعونه حتى يستوعبها فتحا، ويطلع بها على غبّ ظلام الظلم من العدل صبحا، ويعيد الكلمة الاسلامية واحدة، ويخرس ألسنا للنعمة الامامية جاحدة.

١٩ ب

---

(١) ششن، ص ٢٤ «لتقرب».

(٢) ششن، ص ٢٤ «من».

(٣) ششن، ص ٢٥ «مجالا».

(٤) سورة النساء آية ١١٩.

(٥) في الأصل «ويظيفها» وفي السنا، ص ٢١٧ «يضمها».

وعلى الجملة فان الخادم لم يصل بجميع عسكره فإنه رتّب بدمشق شطره وجاء ببعضه، وبعد أن استناب من يقوم بالجهاد وفرضه، وعبر الفرات فلم يصل إلى بلد إلا تسلّمه سلما، وتولاه حلما وتملّكه سهلا ولقي به أهلا، فكأنما وصل إلى بيته ورعيّته، وأجناده مستبشرون بخدمته، كذلك الى الموصل/ لم يشهر سيفا ولم يقصد لعدوه من فتح حتفا. ٢٠ أ

ولما وصل الرسل وجرى حديث الصلح خاف الناس من استتبابه، وقدم كل منهم على مكاشفة المواصلة واشفق من عقبى الأمر وعقابه. فمنهم من شرع في اصلاح أمره معهم، ومنهم من حذر على اهله فأخفى شخصه لئلا يسلمهم للظلمة ويدعهم، على أن الخادم لم يكن متكثراً بما جاء منهم في الابتداء ولا متأثراً بمن فارق في الانتهاء، وهو في نصر الله وتأييده قوي الرجاء.

واتفق وصول الكتب من اليمن باستشعار حطّان(١) في زبيد(٢) من الجماعة الذين ندبوا فمضوا اليها وغلبوا، ووصلت(٣) أيضاً كتب مصر بظفر الاسطول وعوده بالسؤل. فختمت الكتاب إلى ديوان العزيز بالخبرين وجلوت فيه سنا الظفرين بفضل منه وهو:

ومن جملة نعم الله التي نحمده على اتمامها ونسأله في مزيدها ودوامها، وصول(٤) المبشر من اليمن بفتح زبيد وان حطّان بها أبق اباق العبيد، وأن الكلمة فيها قد اتحدت(٥)، والقلوب قد اتفقت، والعصبة العصيّة تفرقت، ومطالع الدولة بأنوار الطاعة الامامية أشرقت.

٢٠ ب وقد كان الخادم جهز إليها جيشاً من مصر لتمهيد أمرها وتقوية ثغرها/ ، واخراج من خرج بها منها، وابعاد من بعد عن رشده عنها، فجرى الامر على وفق المراد. واستن الغرض في مسلك النجاح وانتظم في سلك السداد، والحمد لله على ذلك حمداً يديم لنضارته وغزارته حلي الأزديان وحلب الازدياد. ومن جملة البشائر الواصلة من مصر

(١) هو أخ المبارك بن منقذ استنابه أخوه عندما فارقها وذلك أن توران شاه كان قد عينه نائباً عنه في زبيد فاستناب هذا أخاه بإذن توران شاه على زبيد ثم حاول حطان العصيان وتحصن في بعض القلاع عندما جاء طغتكين إلى اليمن فاستنزله وقبض عليه وسجنه في بعض القلاع ويبدو أنه قضى نحبه مسجوناً. ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ١٤٤.

(٢) مدينة في اليمن أحدثت أيام المأمون اختطها محمد بن زياد الزيادي من ولد زياد بن أبيه عندما ولي اليمن للمأمون في سنة ٢٠٤ للهجرة. أنظر ياقوت، البلدان، جـ ٣، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) في الأصل «فوصل» والسياق يقتضي التصحيح.

(٤) في الأصل «ووصول».

(٥) في الأصل «اتخذت» قارن السنا، ص ٢٠٧.

عود الأسطول نوبة[1] ثانية إليها كاسراً كاسباً غانماً غالباً بعد نكايته في اهل الجزائر[2] بالخسائر، وبعد إخراب ما وجده فيها من الاعمار والعماير. ومن جملة ما ظفر به في طريقه بطسة[3] من مراكب الفرنج تحمل اخشاباً منجورة إلى عكا ومعها نجّارون ليبنوا منها شواني[4]، فأسر النجارون ومن معهم وهم نيف وسبعون. وأما الاخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفي شرها المؤمنون[5]. وللخادم عسكر في المغرب قد عسكر، وبلغت[6] أقصى أفريقية فتوحه[7]، وعاود به شخص[8] الدين في تلك البلاد روحه[9].

ذكر كتاب إلى الأمير عثمان عز الدين الزنجاري[10] متولي عدن في ذلك الزمن، وفيه شرح ما جرى من الاحوال في طريق مصر والغزوات المنوطة بالنصر، وعبور الفرات وأخذ/ الولايات الى ان رحلنا من الموصل ونزلنا على سنجار ومن رشد في القصد ومن جار، وانما قصدت ايراد[11] هذه الكتب لاشتمالها على شرح النوب

٢١ أ

فصل:

وأما احوالنا فهي على ما يسرّ الاولياء ويسوء الأعداء، وقد سبقت اليه المكاتبة

---

(١) ششن، ص ٢٦ «نوبتا».

(٢) في الأصل «الجراير بالجراير» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٨.

(٣) في السنا، ص ٢٠٨ «بطشه» والبطسه جمع بطس أو بطسات وهي مأخوذة عن الاسبانية وتعني السفينة الكبيرة والأصل أن تستخدم للحرب وقد تستخدم للتجارة. وترد أحياناً بطشة فقد ذكر ابن واصل خبر إعداد بطشة عظيمة في بيروت من قبل السلطان صلاح الدين (وأودعها أربعمائة غرارة قمح ووضع فيها الجبن والبصل والغنم وسائر ما يحتاج إليه وذلك لإدخالها إلى عكا أثناء حصار الفرنج لها سنة ٥٨٧ هـ (فركب في تلك البطشة جماعة من المسلمين وتزيوا بزي الفرنج وحلقوا الحاهم ووضعوا الخنازير على سطح البطشة) فهي كما قلنا سفينة كبيرة تصلح للتجارة والحرب. أنظر ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، المقريزي، السلوك، جـ ١، قسم ١، ص ٧٧.

(٤) السنا، «سوارى» ص ٢٠٨. والشواني: نوع من السفن الصغيرة.

(٥) ششن، ص ٢٧ «المؤمنين».

(٦) في السنا، ص ٢٠٨، «وبلغ».

(٧) في السنا، ص ٢٠٨ «فتوجه».

(٨) في السنا، ص ٢٠٨ «بهاء».

(٩) في السنا، ص ٢٠٨ «روجه».

(١٠) ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٠ «الزنجيلي».

(١١) في الأصل «بايراد».

بوصولنا من مصر إلى الشام لاعلاء كلمة الاسلام، وما جرى لنا من الغـزوات في هذه السنة المباركة، وما تلقيناه بالشكر من ألطاف الله المتداركة، وما من الله به من الفتـوح التي تفوح بأرج الرجاء أرجاؤها، وتبوح بسرّ السـرور لأوليائنا آلاؤهـا، وتبني اركان الدولة المشيدة أبناؤها، وتنبي عن مناهج العز ومباهج الفوز أنباؤها، وما تهيأ في طريق مصر عند قدومنـا من اعجاز الفـرنج وازعـاجها وارهـاقها إلى الـذل وارهاجهـا، فانها اجتمعت إلى طريقنا فألجأناها إلى الحصـار واعجزناها عن الاصحـار[1]، ووطئنا منهم الرقاب والأعمال، وأذهبنا منهم الاموال والامال، واضرمنا عليهم ديارهم نارا وملاناها خيبة وخسارا وذلة وصغارا.

وجئنا إلى دمشق واستأنفنا الغزوات، وكررنا إليهم النهضات، وأمضينا في قتالهم

٢١ ب ورقابهم المرهفات والعزمات/[2] فتارة ازرناهم البؤس في بيسان[3]. وروّينا من وريدهم النصل والسنان، وتارة أتيناهم بالبوار في بيروت، وقدنا بل سقنا إلى سقر[4] منهم اولياء الطاغوت. ثم وصل الخبر بأن المواصلة مواصلوا الافرنج في الاتفاق معها، وأشاروا على الكفر بأن تحشد جموعها وتجمعها، ويتفقوا على قصـد بلادنـا، والدفـع لما يـدهمهم من قصدنا بلادهم وجهادنا، فانه لما توفي ولد نور الدين رحمهما الله في حلب كنا بمصر وجاء اليها صاحب الموصل واستولى عليها، فقلنا لهم ان هذه حلب وأعمالها جارية في مثـالنا وتقليدنا من أمير المؤمنين صلوات الله عليه فخافوا عقبى هذا الخطاب، ولاذوا من الكفر بأوهى الاركان وأوهن الاسباب. فرتبنا بدمشق من يقوم بفرض الجهاد وقوينـاه بالعـدد الوافية والاعـداد، ومضينا إلى جـانب الفرات ببحـر من الجيش جائش عبـابه، سـامية هواضبه وهضابه، وعبرنا الفرات والبلاد ملقية إلينا مقـاليدهـا، والاقدار منجـزة لنا في الفتوحات مـواعيدهـا، والممالـك مفتوح لنـا رتاجهـا، مسلوك فيها الينـا بوفـود النصر منهاجها. فما جئنا إلى بلدة الا تسلّمناها سلما وأوسعنا رعيتها وأجنادها عدلا لم يروه من قبل وحلما، وكأنا واصلون إلى اوطاننا وأوطار اهليها، وقد أعدنا السكون إلى ساكنيهـا

٢٢ أ وأزلنا دوائر الظلم عن متدبريها[5]. / فكم كان لمتوليها فيهم من أيام ظلم أضوء[6] منها سود الليالي، ومواسم سوء في الرعية يقتضي حرّها ببرد الجمر الصالي. ففتحنا وما فدحنا وملكنا وما انتهكنا واستوى بنا وما استعلينا، وحطنا جميع مـا به أحـطنا، وتسلمنـا وما

---

(١) ششن، ص ٢٧ «الأخصار».

(٢) ششن، ص ٢٧ «الغرمات».

(٣) مدينة بالغور الشامي بالأردن (بين حوران وفلسـطين) وإليها ينسب القـاضي الفاضـل وزير صـلاح الدين. ياقوت، معجم، جـ ١، ص ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٤) «إلى سقر» ساقطة لدى ششن، ص ٢٧.

(٥) في الأصل «متدبرها» ولدى ششن، ص ٢٨ «متديرها» والتصحيح موافق للسياق.

(٦) أي أكثر إضاءة. ولدى ششن، ص ٢٨ «اضاؤا».

اسلمنا الرعية إلى الحيف، وحزنا الجزيرة وما فارق الجفن عرار السيف، وأخذنا البيرة[1] وسروج[2] والرها[3] وحران[4] والرقة[5] والمجدل وعرابان وسائر بلاد الخابور من حد رأس عين الى منتهى بلد دورين، وجئنا وتسلمنا نصيبين[6] وقصدنا ملوك الأطراف فمنهم من كشف معنا للمخالفين وجه الخلاف، ومنهم من راسل بالشفاعة والاستسعاف. وسرنا إلى الموصل والنصر عذب المنهل والخصم بادي المقتل، فتلقتنا رسل دار الخلافة المعظمة خلد الله سلطانها وشيد بالنصر أركانها وغيرها[7] هنالك، وهم سيدنا الصدر الكبير صدر الدين شيخ الشيوخ وفي خدمته الاجل شهاب الدين بشير ورسل قرا[8] أرسلان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط[9]، وما منهم إلا من شفع وسأل وضرع. وسألنا شيخ الشيوخ صدر الدين ادام الله بركاته على الاسلام والمسلمين ان نترك القتال فتركناه احتراما له واعظاما. وشرع في التوسط تكفلاً بالمصلحة وإلتزاماً، وظهر انهم يطلبون المصلحة والمصالحة ويدعون الفتنة ويأمنون المكافحة، فأعضل دواؤهم/ وبرح في الضلال خفاؤهم. ٢٢ ب

ورحلنا عن الموصل ونزلنا على سنجار لننظمها في السلك ونضيفها إلى الملك، واكرمنا الرسل بالافراج عاجلاً عن الموصل، وحضرنا سنجار والنصل ماضي المنصل. والحمد لله على ما اتاحه الله لنا من الفتح القريب والنصر المعجّل والظفر المؤمل. وكلما يتجدد عندنا بعدها من الفتوح المرجوّة والنعم المحبوبة المحبوّة نكاتبك به لتأخذ من المسرة بأسنى الاقسام[10]، وتستدني إلى النّجح مرامي المرام. وأنت تعلم تطلّعنا إلى تلك الاحوال والاخبار، وتوقعنا لورود الانباء المبشّرة من تلك الديار، وتعرّفنا مجارى الامور بها على الايثار، فواصل بمطالعاتك وأشرح فيها الأحوال شرحاً تشرح به الصدور ويظهر به على وجوه الايام من بشر بشراه السعود ان شاء الله تعالى، وكتب لعشر بقين[11] من

---

(١) وهي بلد ذات قلعة حصينة بين حلب والثغور الرومية. أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٥٢٦.

(٢) وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر، ياقوت، جـ ٣، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٣) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. ياقوت، جـ ٣، ص ١٠٦.

(٤) مدينة شهيرة في الجزيرة بين الرها ورأس العين على ضفة نهر بليخ الشرقية، ياقوت، جـ ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٥) من مدن الجزيرة المشهورة تقع على الجانب الشرقي من الفرات. ياقوت، جـ ٣، ص ٥٨ - ٥٩.

(٦) من مدن الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، ياقوت، جـ ٥، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٧) أي أحوالها المتغيرة. أنظر لسان العرب، مادة «غير» جـ ٥، ص ٤٠.

(٨) في الأصل «قزل» والصحيح «قرا» مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٣.

(٩) «هي قصبة أرمينيا الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة وببردها في الشتاء يضرب المثل «كذا وصفها ياقوت، جـ ٢، ص ٣٨١.

(١٠) ششن، ص ٢٩ «الاقتسام».

(١١) في الأصل كتبت كلمة «خلون» ثم شطبت وكتب بخط آخر «بقين».

شعبان من المخيم المنصور على سنجار.

ذكر الاحوال السنجارية الجارية في قدح
زناد الآراء المتوارية الوارية

ولما أنخنا على سنجار رسخنا بالحجى وفسخنا بالحجار، وفصمنا اسورة الاسوار،
٢٣ أ واستفتحنا الاستفتاح بالرسائل، وعددناه من أحسن الوسائل/، وقرّبنا من السور من يكلمهم فكَلَموه وافهمناهم الرشد فما فهموه، وناظروا بألسنة[١] النصال ونظروا بأعين المصال، ونزوا بالنزال ونبوا بالنبال، وتجلّدوا على الجلاد وتبلّدوا عن مصالح البلاد، واستدنوا زيارة الزيارات وعربدة العرّادات، وايثار الجروخ وايثار الجروح، والميل إلى الفضول والكيل من الفضوح، والمكايلة بصاع المصاع والمسائلة برقاع القراع، والمقاولة بفصاح الصفاح، والمجادلة بمراح الرماح، والمجاوبة بلسان السنان والمخاطبة بخراص الخرصان، والمجاذبة بعنان العناد، والمجابنة للسدى والسداد، والتقعقع بشنان الشنان والتزعزع بعران[٢] الرعان، والمواربة عن الصحيح والمواثبة بالقبيح. ولجّوا وألحوا وإلى الالتجاج في لجة اللجاج، ورد من هاج الهياج إلى المنهاج، وقامت الحرب على اقدام المجانيق، وأداروا بخُلف الخُلف عن دار الوفاق درّ الافاويق، فحنت الحنايا وقست القسي، وصرخت الصخور واحمرّت البيض، وانتجع النجيع وحاضت الذكور وضجّ الحديد واحتدّ الضجيج، وطار العجاج وثار العجيج، ونشأ النشج وشجا الاضطراب واضطرب الوشيج، فقدم المنجنيق وهدم النيّق[٣] الوثيق، وعضّت بسن الجور سنجار
٢٣ ب وفضت منها بالاحجار، ونضبنا ونضبنا وصبنا وأصبنا وأثرنا وأرثنا وشعّبنا/ وشعّثنا، وصدقنا القتال وصدعنا وعقرنا الرجال وقرعنا، وخرقنا الخندق وضيّقنا المخنق، وحجزنا القلق بالنقع وفلقنا الحجر بالوقع، ووسعنا الخرق عن الرقع، وأشعنا الصواعق في ذلك الصقع، وأغرينا النقاب[٤] برفع نقاب السور وهتك حجاب[٥] المستور. ودخل رمضان فقلنا: شهر مبارك وبرّ متدارك، وأيام أيامِن وليالي محاسن وساعات سعادات وآناء أناة. وقد تعين استفراغ المجهود في الاستغفار واستمراء المقصود على الاستمرار. ففترنا ونحن في زى الارهاب وسكنّا مظهرين التحرك للارعاب، وفي كل يوم نجتمع للايهام ونستمع منهم رسالات السهام، ونحترز من اراقة دم واستباحة محرم، فطال عليهم الامد وضاق

---

(١) في الأصل «بالسن» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٨.

(٢) أنظر لسان العرب، مادة «عرن» جـ ١٣، ص ٢٠٢، رعن، ص ١٨٢.

(٣) النيق: أرفع موضع بالجبل وقيل النيق: الطويل من الجبال. لسان العرب، مادة «نيق»، جـ ١٠، ص ٣٦٤.

(٤) في السنا، ص ٢٠٨ «النقابين».

(٥) في السنا، ص ٢٠٨ «مجابه».

بهم الجلد، وتمادت المدد فسكنوا إلى السكون وركنوا إلى الركون ووكنوا في الوكون. ووكلوا بثلم السور أقواما يتناوبون على الحماية، ويبلغون في التحفظ من النكاية الى الغاية. فجاءنا ليلة من أخبرنا ان الحراس نيام، وان نارهم برد وسلام، فندب منّا اليهم انداب وجمح عليهم لأصحابهم أصحاب، فجاؤوهم وفجأوهم ويغتوهم وبعثوهم وضبطوهم وربطوهم واخذوهم وجبذوهم، وانقضوا عليهم انقضاض البزاة على القنص، واغتنموا في قبضهم انتهاز الفرص. وجاءوا بهم وهم من المقدّمين/ المقدمين ٢٤ أ والاعلام المعلّمين. فأصبح الذين بسنجار[١] بادى الانكسار متفادى الانحسار، قد عرف العقبى واعترف بالعتبى وأزال الجدوى وأحسن[٢] في التقاضي واقتضى الحسنى، وفزع بعدما عرف، ورفق بعدما عنف، واستأنف الرضى وقد أبى وأنف، ولانت شدّته وهانت عزّته وبانت حدّته، فأجيبت دعوته وأصيبت حظوته، وأثيبت بالرغبة رغبته وخبيت بالحب والحيا محبته. وسيّرت اليه هدايا وتحف وعطايا وزلف لكونه من أولاد أتابك[٣]، وقد تلافى ما جرى منه وتدارك، وشرف أصحابه وخرج عن العطاء الحساب حسابه. وخرج من سنجار بكوسه[٤] وعلمه وجنده وحشمه، وعبيده وخدمه، وضاله وسلمه، ونعمه ونَعمه، وسيفه وقلمه، وحظاياه وحرمه، وبزاته ورخمه، ورعاته وغنمه، ومسرجه وملجمه، ومغنمه ومغرمه. وأخلى لنا المدينة وأسكناها[٥] السكينة، وخرج الينا أعيانها، واشتدت بنا أركانها، وصافحنا على الصفاء ايمانها، وحسن بنا ظهورها وظهر احسانها، وفتحت لنا جنانها واستبشر بنا رضوانها، فراح رعاياها فرحين برعايتنا، أمنين بهدونا مؤمنين بهدايتنا، داعين لدولتنا واعين لدعوتنا، سارين بسيرتنا قارين بمعدلتنا، منتصفين من الليالي بأيامنا، مستسعفين/[٦] آلاء انعامنا. وما اسرع ما أعدنا ٢٤ ب عمارتها وأجدنا[٧] اجارتها، واستجلينا بالمباهي مباهجها، وأخلينا من المناهي مناهجها، وتعلت عن المعار معارجها، وتحلّت بالمسار مسارجها، وأنارت وأفاقت بالمعالي معالمها، وذرّت ودرّت في المعاني مغانمها، ودخلنا جنّة دانية قطوفها، عالية عروشها، زاكية عروسها، حالية نقوشها، آنسة بنا وحوشها. وألقينا رئاستها لصدورها بني يعقوب، فأتيناهم[٨] من كرامتهم سؤلهم المحبوب المخطوب، وعوّل السلطان منهم في القضاء على

---

(١) هو شرف الدين هندوا أميرها الذي سلم القلعة للسلطان. أنظر مفرج الكروب، جـ٢، ص ١٢٣.

(٢) ساقطة لدى ششن، ص ٣١.

(٣) في السنا، ص ٢٠٩ «الأتابكية».

(٤) الكوس: الطبل. لسان العرب، مادة «كوس»، جـ ٦، ص ٢٠٠.

(٥) في الأصل «واسكنا» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٩.

(٦) لدى ششن، ص ٣١ «مستعينين».

(٧) في الأصل غير منقوطة.

(٨) لدى ششن، ص ٣٢ «فأتينا».

نظام الدين نصر بن المظفر فإنه كان اعرفهم بحكم الشرع المطهّر. وأنشأت لـه تقليدا وخلّدت ذكرهم به تخليدا.

ونسخة ذلك:

أجل الولايات شأنا واعلاها سلطانا ولاية الشرع التي بها تستقيم[1] الامور ويستنيم اليها الجمهور، وعلى دعائمها ترتفع معالم الحق، وبمنارها تنكشف مظالم الخلق، وبأنوارها تشرق مطالع الهدى وباظهارها تخفق مطامع الهوى. وانا لما نفترضه من متابعة الشرع، وملاحظة احكامه بالاحكام في الاصل والفرع، ما نزال نحافظ على معينه العذب الصافي من الكدر والأجون[2]، ونتوخى حراسة الدهماء بهدية المتبوع وحكمه المشروع على السكون/ ، ولا نولّي منصب الشرع الا من يقوم بحقه ويحيط الاذى عن طرقه ويمزق حجب الخفاء عن واضح افقه. ٢٥ أ

ولما كان القاضي الأجلّ العالم الأوحد نظام الدين أبو القاسم نصر بن المظفر[3] بن محمد بن يعقوب ـ أدام الله توفيقه ـ موفقاً للسداد مصيباً في الاجتهاد، متحلياً بالنزاهة مجلّياً في حلبة النباهة، متعلّياً في ذروة الوجاهة، مرتدياً برداء العفاف جامعاً محاسن الأوصاف، خبيراً بأحكام الشرع وقضاياه مخصوصاً بمزاين الفضل ومزاياه. وهو من البيت المؤثل على الرئاسة والعلم، والمحتد الزاكي الأرومة في المجد الوافي القسم، عوّلنا عليه في تولية القضاء بمدينة سنجار والحكم بين اهلها، والنظر في الخصومات وفصلها، واتباع سنن الشريعة وايضاح سبلها، فليتول ذلك بحكم يفرّق بين الحق والباطل وعلم يوضح للهدى[4] أبين الدلائل، ونفاذ يدحض به شبهة المبطل، ويسفر بنوره وجه الحق المتهلل، ورأي تعلو به للشرع رايته، وثبات[5] تثبت به حجته وتقوىً تقوى باستشعار اهبتها هيبته وتكمل أبهته، وخشية لله عز وجل يحسن بلزومها بهجته، وتسمو بسيماها منزلته. مراقباً لله في كل ما يحله ويعقده، ويصدره ويورده[6] ويقصده ويعتمده، ويعلمه ويعتقده مستقيماً على الجدد اللاحب[7]، غير مائل عن سنن الواجب، مسوياً في مجلسه/ ونظره بين الخصوم، منتصفاً من القوى الظالم للضعيف المظلوم، كاشفاً أسرار الشريعة في الفسوخ والعقود، مثبتاً في تثبيت السجلات والعهود، ٢٥ ب

(١) ششن، ص ٣٢ «يستقيم».

(٢) الأجن: هو الماء المتغير الطعم واللون. والجمع أجون. لسان العرب، مادة «أجن»، جـ ١٣، ص ٨.

(٣) ششن، ص ٣٢ «المظفرين».

(٤) ششن، ص ٣٢ «الهدى».

(٥) ساقطة لدى ششن، ص ٣٣.

(٦) ششن، ص ٣٣ «ويوده».

(٧) ششن، ص ٣٣ «اللاهب» اللاحب: الطريق الواضح. أنظر لسان العرب، مادة «لحب»، جـ ١، ص ٧٣٧.

معتبراً ببينات الورود وأمانات الشهود، معتمداً على الثقات العدول، عاملاً بالدليل المنقول والقياس المعقول، واثقاً بالله تعالى في توفيقه لتوثيق أحكامه، ونظم أمره في حفظ أمر الشرع على نظامه، مقتنعاً بما هو مجرى[1] له من المعيشة والاقطاع، صائناً به ضياء عمله المنزه[2] من الضياع بدنس الأطماع. وسبيل الولاة والنواب أيدهم الله احترام جانبه وتسهيل مطالبه ومساعدته على استخلاص الحقوق، والتنكيل بالظّلمة اهل الفسوق والعقوق، وحبس من يرى حبسه إلى أن يخرج من عهده الحق المتوجّه عليه، ومعاضدته على كل ما يعضد الشرع ويقوى باحكامه قواعد أحكام يديه.

فصل من منشور برئاسة سنجار لرئيسها من بني يعقوب [3]

وهو ذو المُوات السالفة لأسلافه الكرام المستدعية منّا فيه احياء ... رات والموالاة التي تقضي خلوصها له من عموم نعمتنا بخصوص/ الموالاة. وقد رأينا أن نؤنس عنده ٢٦ أ أبكار النعم بعونها ونقرّ عيون المعالي منه بإنارة مطالعها وغرارة عيونها، ونفوّض إليه تدبير مدينة سنجار وقلعتها، والزعامة على أهلها ورعيتها، والرئاسة التي لم تزل في بيته ثابتة القواعد، والولاية التي أضحت له منا بصفو ولائه صافية الموارد، والنظر في الأعمال نظر المستقل المستبد، والنهضة في مصالح الخدمة نهضة المجتهد المجدّ، وبسط اليد للرعايا [4] بالعدل والاحسان، وتولّي أمورهم بالإحكام والاتقان والاستنامة للاستنابة عنه في المعاملات الى ذوي الكفاية والأمانة، والاعتماد في الأعمال دقيقها وجليلها وكثيرها وقليلها على أهل النزاهة والصيانة، وله اليد الطولى في التنفيذ والامضاء والاعادة للمصالح والابداء، واظهار شعار الدولة باتباع الشرع، والمحافظة عليه في الأصل والفرع واحياء سنة العدل، وردّ المناجح المتشتتة والمناهج المتشعثة الى جمع الشمل. فليتول ذلك بنفاد ماضي الغرار، ومضاء مضيء المطلع منير المنار، ونهوض بأعباء التدبيرات مضطلع، وفكر على عواقب التصرفات في مبادئها مطلع. مستشعراً تقوى الله التي تقوى بها العزائم، وتبنى على دعائمها المكارم، وتجلى بحليتها الفضائل وتحلّى برتبتها العواطل/، مقتدياً بعاداتنا العادلة، وسيرتنا الفاضلة في خفض الجناح للرعية بالرعاية، ٢٦ ب والغلظة على اهل الضلالة والغواية، واثابة المحسن باحسانه، وردع المسيء عن عدوانه، وضم نشر الخاصة والعامة بنشر المعدلة، وانزال كل منهم فيما يستحقه من المنزلة،

---

(١) ششن، ص ٣٣ «مجرى».

(٢) ششن، ص ٣٣ «المنزهة».

(٣) هو الأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر. مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٤، أنظر أيضاً ابن الأثير، الكامل، جـ ١، ص ٤٨٨، توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان صلاح الدين قد زوجه أخته. ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ١١٥.

(٤) أضيفت كلمة «على» في الهامش قبل «للرعايا» بخط آخر ولا محل لها.

واستدناء من أبعده جور الظّلمة بانصافه، وايناس من نفّره العنف وشرّده العسف بالطافه، واستمالة النازحين من الاعمال بحسن السيرة، واستمداد توفيق الله بخلاص النيّة واصفاء السريرة. وليقدم الاهتمام بالعمارات التي تؤذن بوفور البركات، ونمو الثمرات وحفول[1] اخلاف الارتفاعات، معتمداً فيها على أولى الكفايات مستعيناً بالله عز وجل في كل ما يضعه ويرفعه ويقتفيه ويتبعه ويقتضيه من المهام ويمضيه، ويحكم من القواعد ويحكم فيه.

ذكر تولية الامير سعد الدين مسعود بن أنر في سنجار

كان الأمير سعد الدين مسعود[2] بن أنر مسعوداً أنار سعده، وسار بالذكر الحسن حمده[3]، وأبرّ جدّه وبرّ في الاعمال جدّه ومضى حدّه، ووري زنده. ولم يزل سامي القدر نامي الفخر كريم الفضل، عديم المثل، جميل الفعال، جزيل النوال، كثير الفضائل، غزير/ الفواضل، قد جلاه حسن خلقه على القلوب بالقبول، كأن لشمائله نشوة الشمول، وما أسمح ملقاه وأسمى مرقاه، وأبلج محيّاه وأرجّ ريّاه، وأبهى وأبهج رؤيته ورؤياه، وأوفر زينته، وأوقر زنته في سمته وسمته، وأرزن حصا حصافته واهتن[4] سما سماحته. ٢٧ أ

وكان لي صديقاً كريم المغيب والمحضر، حميد المورد والمصدر، ناجح الوسيلة راجح الفضيلة، والسلطان يعتمد عليه في اعلانه واسراره واظهاره وإضماره وإيراده واصداره. وأخته ابنة معين الدين أنر في حبالته[5]، وأهله في كفايته وكفالته. فلم يختمد الا عليه ولم يسلّم مدينة سنجار وقلعتها إلا إليه، واولاه وولّاه وألفاه على الهمة فأعلاه، وعوّل منه على كاف كافل، ووصاه بتأليف كل جاف جافل، وتنبيه كل غاف غافل، ودلّه من المكارم بما يؤمن فيه انفاض فاضل باتجاه جاهل، وانساء سائل عن أسناء نائل، وحذره من اسعاد عادٍ أو ابعاد عادل، وحكّمه وقدّمه ووطّأ قدمه، وحكّم سيفه وقلمه وأعلى علمه، وأنفذ كلمه، وأبقى عنده من خواصه من استحمد شيمه واسترفد في النجح دِيَمة.

---

(١) الحفول: التجميع وهو كالتصرية: بأن لا تحلب الشاه أياماً ليجتمع اللبن في ضرعها. أنظر لسان العرب، مادة «حفل»، جـ ١١، ص ١٥٧.

(٢) في السنا «وكان الأمير سعد الدين أنر سعود». وورد الاسم في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٣ كما ورد في الأصل.

(٣) في السنا «بجده»، ص ٢٠٩.

(٤) ششن، ص ٣٥ «اهتز» والهتنان: المطر الضعيف الدائم. ومطر هتون: هطول. أنظر لسان العرب، مادة «هتن» جـ ١٣، ص ٤٣٠.

(٥) السنا «حيالته»، ص ٢٠٩، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٣ «في حبالة السلطان».

ذكر الرحيل صوب نصيبين وانفصال شيخ الشيوخ صدر الدين/ في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ٢٧ ب

ولما قضينا بسنجار الآراب تقاضينا الآراء وشاورنا الامراء، فقالوا قد توسطنا الشتاء والصواب الاقامه بمكان حتى ينقضي فصله، وتتفرق(١) أشتات الشتاء ويجتمع العسكر وينتظم شمله، وحينئذ نستأنف الفتوح، ونستزيد من الله بزيادة الشكر برّه الممنوح. فاذا نزعنا بُرَد البرد، نزعنا حرد الطرد، واحتبينا(٢) رداء العجاج وأجبنا نداء الهياج، وأخفنا روع الروع، وشفينا روح الطوع(٣)، وأزرنا القوم بالوقم(٤)، وأعدنا الصحة إلى ذى السقم. فرحلنا إلى نصيبين للراحة مصيبين، وأقمنا حتى ودّعنا شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير، وكلاهما لنا بما يفضي إلى الصلاح ويقضي بالنجاح مشير، وحصل في القلوب من الوحشة بالغيبة(٥) الصدرية تأريث(٦) وتأثير. وركبنا معه حتى توجه سائراً إلى العراق، وعدنا من الوداع وداعي الهم يخلف فرق الفراق، وشكا أهل نصيبين ما هاج من نصبهم بأبي الهيجاء(٧) فاستملنا (٨) الينا بصرفه رجال الرجاء. واستصحبنا المذكور معنا ورحلنا وكل من بالبلد ودّعنا، وجئنا إلى دارا"(٩) فديّرت(١٠) دورها لنا بالحافلات وتلقانا أميرها صمصام الدين بهرام الارتقي فأذن طالعه بسعوده/ ٢٨ أ الافلات، فأكرمناه واحترمناه وأرفدناه، وأرفدناه ووصلنا كتاب شيخ الشيوخ بشرح اموره، ووصوله الموصل وعبوره، فكتبنا جوابه وعظمنا خطابه.

فصل من الكتاب الذي أنشأته إليه بتاريخ خامس عشرين ذى القعدة سنة ثمان وسبعين من حرّان

وردت المكاتبة الكريمة ففضضناها عن بشر بهيج، ونشر أريج، وكرم وفيّ، ووفاء

---

(١) ششن «وتفرق»، ص ٣٥.

(٢) ششن «اجتبينا»، ص ٣٥.

(٣) ششن «الطود»، ص ٣٦.

(٤) الوقم: جذبك للعنان. وقم الدابة وقما: جذب عنانها لتكف. ووقم الرجل وقما: أذله وقهره وقيل رده أقبح الرد. لسان العرب، مادة «وقم»، جـ ١٢، ص ٦٤٢.

(٥) في الأصل «بالغبة». أنظر لسان العرب مادة «غيب».

(٦) التأريث: الاغراء بين القوم، وإيقاد النار وإذكاؤها. لسان العرب، جـ ٢، ص ١١١.

(٧) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٣ وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٤. «أبي الهيجاء السمين» وكان صلاح الدين أقطعه نصيبين لما فتحها فشكاه أهلها لصلاح الدين لظلمه لهم فعزله. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٨.

(٨) وفي السنا «فاستملنا إليه بصرفه رحال الرجاء» ص ٢٠٩.

(٩) وهي بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين في الجزيرة. أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

(١٠) ششن، ص ٣٦ «قد صرت».

كريم، وأنس وافد وولاء مستنيم، فأهدى نورها الناضر [1] نور الناظر، وباح سرها السائر بسرور السرائر، وتكفل موردها العذب بارواء الارواح، وشفى ظمأ [2] الضمائر، وتهلّل وجه الاستبشار لوجه بشرها السافر، وجدّد القلب لأريحيتها عهده بالارتياح، وتلقى الصدر تحيتها الصدرية بالانشراح، وغضّ دونها طرف الوقار، واهتز نحوها عطف الافتخار، وشوّقت الانفس إلى طيب أنفاس تلك النفحات، وأقوات استعدادها واستعدادها من تلك الاوقات. فلقد كانت مطالع الانس بضوء بَهَجه[3]

٢٨ ب وضوع أرجه زاهره عاطره، ومباهج النفس للمباهاة بشهوده[4] وشهادة/ بهائه وافية وافرة. وتأملنا مواقع انامله الكريمة فألفيناها من نسخ غوادى المعاني مفوّفة الرياض، ومن حياء هواضب المكارم والمعالي مفعمة[5] الحياض. وعلمنا ما ذكره من ايثاره ما يعود بالصلاح ويؤذن بالنجاز والنجاح. وإنّا لّما ضيّقنا عليه مجال القول بأحد القسمين لم يروجها لنظم الامر من الجانبين، فاستخار الله في سيره، ووكل الامور إلى الله في تقديره. ولقد كان المجلس السامي يحسن ظنّه بالمواصلة، ويشير علينا بمقاربتهم والرجوع إلى السلم عن محاربتهم، ونحن نقول: ان هؤلاء يضمرون خلاف ما يظهرون، ويُسرّون ضد ما يعلنون، وإنهم يحلفون ويحنثون ويقسمون بالله جهد أيمانهم[6] وينكثون، وليست هذه بأول مرة من غدرهم وجولاتهم في مكر مكرهم وروغانهم بخدعهم وخترهم. فما زال بنا حتى نزلنا على إقتراحهم، وأضربنا على اجترائهم واجتراحهم، فحملوا ذلك على أنهم قد خَدَعوا وأمنوا[7] ما كانوا فيه من الرعب وطمعوا ونكلوا عما قالوا، وعثروا وما استقالوا. وعرف سيدنا حقيقة الأمر، وأطلع منهم على سرّ الشر، وبان له منّا وجه

٢٩ أ العذر، ومنهم وجه الغدر، وأيقن ان مقصود القوم/ مدافعة الايام، والمغالطة بتلك الاقسام، والتشبث من جانب الاجانب بمن لا ينجيهم من الغرق، والاعتلاق[8] منهم بما يكون لهم وثاقاً لهم في ورطات العلق. فما فارق الا بعد ان علم أنهم لا يفلحون وانهم للصلاح لا يصلحون.

---

(١) في الأصل غير منقوطة ولدى ششن «الناصر»، ص ٣٦.

(٢) في الأصل «ضما» وكذا لدى ششن، ص ٣٦.

(٣) ششن، ص ٣٧ «بهجته»، وأنظر لسان العرب مادة «بهج».

(٤) في الأصل «بسهوده» وكذا لدى ششن، ص ٣٧.

(٥) ششن، ص ٣٧ «منعمة».

(٦) الإشارة لسورة الأنعام، آية رقم ١٠٩، النحل آية ٣٨، النور، آية ٥٣، فاطر، آية ٤٢.

(٧) العبارة «وآمنوا ما كانوا فيه... عما قالوا» مكررة في الأصل ولكنها مشطوبة ووردت لدى ششن مكررة، ص ٣٧.

(٨) لدى ششن، ص ٣٧ «واعتلاق».

ولما كتب الينا في الطريق من الموصل يشير علينا بحكم عوده معهم إلى حسن الظن بهم، ثم أننا نتمهل ولا نعجل، وأننا نبّين لهم طريقنا عن سلوكها لا نعدل، عرفنا ان القوم مقيمون على العادة العادية وانه لا مطمع في عمارة رسوم صلاحهم العافية(١).

ذكر الوصول إلى حرّان وذلك في أوائل ذى القعدة

ثم وصلنا إلى حران، والقينا بظاهرها الجران، وأقمنا للاستراحة، واشتغلنا بشكر نعم الله المتاحة المناحة. وسار الملك المظفر تقي الدين بعسكره (٢) وعبر الفرات إلى حماه، وعاد كل متغرّب عن بلده إلى مشواه، وأقمنا بالمخيم بظاهر حرّان في الخواص من ذوى الاستخلاص في أحلى حالة، وأجلى جلالة، وأدل هداية، وأهدى دلالة، وأسعد جد، وأجد سعد، ونحن من تأييد الله ونصره على أصدق وعد. وقلنا ان الدهر قد اطمأن والامر قد ارجحنّ، / والحروب قد وضعت اوزارها، والخطوب قد رحضت أوضارها(٣)، والقلوب قد رفضت استشعارها وفرضت(٤) شعارها، والجنود قد عاودت أوطانها، والنفوس قد أحمدت آثارها، واعتمدت ايثارها، والجفون قد راجعت غرارها، والسيول قد واصلت قرارها، والخيول قد اعريت عن سروجها، والذيول قد جرت بالمرح في مروجها، والعتاق قد أعتقت من رق الاجراء، والرقاق قد أغمدت لحق المضاء، والحنايا قد انحلّت عقود اوتارها، والمنايا قد اعتلّت عقود أوتارها، والمضارب ملائمة اغمادها، والمضارب ملازمة أوتادها، والنوب مضروبة، والقضب مقروبة، والالوية ملوّية، والاعلام مطوّية، والبنود محلولة، والرماح مركوزة، والصّفاح لا مسلولة ولا مهزوزة، والخيم قائمة، والديم دائمة، والدنيا ساكنة، والسكينة دانية، والهموم نائية، والهمم وانية، والاذيال من تحتها الاقدام والايدى من فوقها الاكمام، والدروع متعوّضة بالفرا، والعيون متعرضة للكرى، ولا مبالاة بالعدى، ولا اكتراث بمن راح أو غدا، وأهل الموصل مع من وازرهم في حشد وحشر وطي ونشر، ورفع ونصب وجرّ(٥)، وإضراء جمع، وإضرام جمر، ومجاولة مكر. وإظهار أيد، وإضمار كيد، والاستنجاد بمغاوير غور ونجد، /والاستزادة من عمائر عمرو وزيد، والاختلاط بصحبة صاحب خلاط(٦)، والاستجذاب من الأطراف والأوساط، واستنفار الأنفار، واستنصار

٢٩ ب

٣٠ أ ب

---

(١) أي المندرسة.

(٢) ششن «بعسكر» ص ٣٨.

(٣) العبارة «والخطوب قد رحضت أوضارها» سقطت من ششن، ص ٣٨.

(٤) في الأصل «فرصت».

(٥) ساقطة لدى ششن، ص ٣٨.

(٦) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٣ «اخلاط». أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

الأنصار، واستدرار الأخلاف لاستمرار الخلاف، ومصافاة[1] الاضراب بضرب المصاف، والمحالفة علينا، والمخالفة الينا. وقد اغتنموا لتفرق جوعنا الجموع، واعتزموا الينا لرجوعنا الرجوع، ونحن مع قلّتنا ثابتون، وفي حلّتنا نابتون، ولجانبي خلتنا كابتون[2] ومهابتنا عظيمة، ورهبتنا مقيمة، ورعبنا في القلوب بالازعاج ساكن، وخوفنا للنفوس للاظهار كامن. وهم يعتقدون اننا إذا سمعنا بجمعهم نتفرّق، وقبل الاشتمال بالمأزق[3] شملنا يتمزق، وأننا نتأخر ولا نتقدّم، وانّا على ما فرّطنا في حقهم نتندّم فاستحال تخيلهم واختلّ تخيّلهم. وسيأتي ذكر ذلك.

فصل من الإنشاء الاجلّي الفاضلي في جواب ما وصل من المثال الديواني صحبة القاضي ضياء الدين ابن الشهرزوري[4] والاستطراد في وصف المثال بذكر المواصلة مما مثّله لي فكتبته بخطي/ ٣٠ ب

الخادم يذكر أنه ورده[5] بل أورده من منتدى الديوان بل من افق الاحسان كتاب مرقوم بل سحاب مركوم، أثبت في الأسماع بل أنبت في الطباع، العقد النقي بل العقد التقي، وأهدى إلى البصائر الصادقة بل أبدى الابصار الرامقة أى شائقة أنس، بل أى شارقة شمس، فأضاء الفضاء بنوره وضرب بينه وبين الظلماء بسوره، فاستقلت ملوك المعاني على سريره، ودخل الفهم جنّته ورفلت اليد في حريره، ونقلته عينه في الحال إلى[6] ضميره، فأنست معانيه بما هنالك من عقائد اختصاص وموارد اخلاص مستقرة في حيث لا تجرى كل الاسرار، ولا تسرى كل الانوار، ولا تستودع إلا عقود التكليف، وخواطر التعريف، فألقت عصاها ولقيت من أطاعها وما عصاها، وحلّت حيث حلّت، وحلّيت حيث جلّت، فهي المرآة غير أن الصدا مصدود عن صفحتها، وهي القبس الا ان الليل والنهار سواء في وصف قدحتها، وهي الفلق الا أن العيون دائمة الاستمتاع

---

(١) ششن، ص ٣٨ «مصافات».

(٢) في الأصل «كاتبون» والمقصود هنا مغيظون ومحزنون. أنظر لسان العرب، مادة «كبت»، جـ ٢، ص ٧٦.

(٣) في الأصل «بالمارق».

(١) هو ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري تولي قضاء دمشق بعد وفاة عمه القاضي كمال الدين الشهرزوري في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة، ثم عزل عنها وتولى مهمات السفارة إلى بغداد مدة ثم تولى نظر الأوقاف بدمشق إلى أن غادرها وقدم الموصل وتولى القضاء بها سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. وانتقل إلى بغداد ثم إلى حماة فتولى القضاء بها إلى يوم وفاته في النصف من رجب سنة تسع وتسعين وخمسمائة ونقل إلى دمشق ودفن بها. وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وخمسمائة بالموصل وقيل بل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. انظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٥) في الأصل «أورده» والسياق يقتضي التصحيح.

(٦) لدى ششن «على»، ص ٣٩.

بلمحتها، وهي الروض الا ان أنفاس النسيم منافسة في العبارة عن عبير نفحتها، وهي المذكِّرات للانفس بالله الا أن أسطرها سلوكها وحروفها درر سبحتها. وما زال الخادم الى مثل هذه الفقر فقيرا/، وبها على نفسه بصيرا، واذا أنعم بتسييرها اليه عدها نعيما، واذا ملكها رآها ملكاً كبيرا. وما ترد واردة من الدار العزيزة التي بنت عزها يد الله وغيرها منسوب إلى بناء البنان الا أمضت البصائر واسترهفتها، وأحمت أنوف القنا على اعداء الله فاستر عفتها. فالخادم قد بورك له في صقال خاطرة بأوامرها التي لها يأتمر، وقد لزم ما بورك له فيه فهو وان اضجر لا يزال مستبداً بهذه الطريقة، مستنداً إلى هذه الحقيقة، دون ولاة الاقطار وامراء الأمصار الذين لا يطالعون الدار العزيزة إلا اذا مسّهم الضر فدعوها لجنبهم(١)، وإذا عتبوا على الدهر قارضوها لأجل عتبهم. واذا تأملت هذه اللطيفة واعتبرت افعاله وافعالهم نظرة شريفة علم أن الخادم قد أعطى الدار العزيزة قياد سكونه وزمام حركته، وأن اوامرها به نافذة في مملكتها، ولا يضيف إلى نفسه فيقول في مملكته، فرسله على ايوانها، وكتبه في ديوانها، وجهاده(٢) تحت رايتها السوداء، واجتهاده في رفع كلمتها البيضاء. والخافقان قد خفقت فيهما(٣) الويتها ففي المغرب منها مثل ما في المشرق، ونفذت فيهما أقضيتها فأطاع المُنجِد كما أطاع المُتهِم، وسلم المُشيم(٤) كما سلم المُعرق. وإذا ولاه أمير المؤمنين/ ثغراً لم يبت في وسطه وأصبح في طرفه، وإذا سوّغه بلداً هجّر في ظل خيمته، ولم يقم في ظل غرفه(٥)، واذا بات بات السيف(٦) له ضجيعا، واذا أصبح أصبح معترك القتال له ربيعا. لا كالذين يغبّون أبواب الخلافة اغباب الاستبداد، ولا يؤامرونها في تصرفاتهم مؤامرة الاستعباد، وكأن الدينا لهم اقطاع لا ايداع، وكأن الامارة لهم تخليد لا تقليد، وكأن السلاح عندهم زينة لحامله ولابسه، وكأن مال الخلق عندهم وديعة، فلا عذر عندهم لمانعه وحابسه، وكأنهم في البيوت دُمىً مصورة في لزوم جدرها، لا في مستحسنات(٧) صورها، راضين من الدين بالعروة اللقبية، ومن اعلاء كلمته بما يسمعونه على الدرجات الخشبية، ومن جهاد الخارجين على الدولة باستحسان الاخبار المهلبية، ومن قتال الكفار بأنه فرض يقوم به طائفة فيسقط عن الاخرى في آخرها، ومن طاعة الخلافة بذكر اسمها والخروج عن سيماها. فالله تعالى

٣١ أ

٣١ ب

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وإذا مس الإنسان الضرّ دعانا لجنبه﴾ سورة يونس، آية ١٢.

(٢) ششن «وجهادها»، ص ٤٠.

(٣) ششن «فيها»، ص ٤٠.

(٤) المشيم والمعرق: الذي في الشام والعراق. أنظر لسان العرب، مادة «شأم»، جـ١٢، ص ٣١٥-٣١٦. مادة «عرق»، جـ١٠، ص ٢٤٨.

(٥) في الأصل «عرفه».

(٦) ششن «السفر»، ص ٤٠.

(٧) ششن «متحسنات»، ص ٤١.

يعلي يد الامام حتى(1) يخفض أيدى الظلم المستطيلة، ويمكن في الارض بسطتها الى أن ترفع العثرات عن هذه الامة المستقيلة. والخادم كما يشكر الاقبال عليه يشكو الاعراض عنه، / وذلك ان المواصلة ما فزَعوا(2) إلى دار الخلافة إلى أن فُزعوا، والا فطالما طمع اولهم كما طمعوا، وقديماً دُعوا إلى طاعتها فما سمعوا، وسمعوا فما اتبعوا، حتى ان الاولين منهم علّموا أولياء الدولة من الأتراك ضد ما جبلت عليه اخلاقهم من عقوقها، وسنّوا لهم إضاعة حقوق الله باضاعة حقوقها، ولا يربّى الصغير الا على ما ربّي عليه الكبير، ولا ثبتت جناية الأول إلا بما جناه الاخير. وقد كانت دولة العجم بالعراق استعلت ثم استقلّت وهبّت ثم وهنت، فتعبت رجال الليالي والايام وأولو تدبيرات السيوف والأقلام بدار الخلافة، إلى أن ضرّحوا(3) القذى عن موردها، وأبعدوا الاذى عن معهدها، واستقلت الخلافة وحدها، ولزمت الامور حدها. وما يبغي من يبغي على الخادم الا أن يعيد دولتهم جذعه، ويقول فيهم بالرجعة، وان شُكّ في هذا القول في الايام الستة فالخادم يستشهد بيوم الجمعة، حيث تعلو(4) بالموصل اسماء طرداء الخلافة مقارنة لاسمها وتشاهد احكامهم نافذة مع البعد والانقياد مع القرب الا لحكمها. واذا كانت المواصلة قد تقطّعت بهم الاسباب، وأوصلهم حساب الحرب إلى العقاب، «وتبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَّبعوا»(5)، وتفرّق الذين اجتمعوا/ بعدما جُمعوا، ففريق(6) فرَّ نازحاً، وفريق قرَّ مصالحاً، وفريق على البعد يواصل مستصلحاً ومتطارحاً، وفريق فُتح بلده الذي كان التقليد له فاتحاً. ولم يبق للمواصلة الا ان يأووا إلى جبل «الا انه لا يعصمهم من الماء»(7) ويتعللوا بسراب بقيعة(8) لا متعلل فيه الا ظماء. ومعلوم انهم إذا اجتلبوا(9) تلك الجهة أعادوا طائر نفاق الى عشه، واسترجعوا خاتم ملك فربما رجع الأمر جارياً على نقشه.

(1) ساقطة ششن، ص ٤١.

(2) في الأصل قرعوا. . . فرعوا.

(3) الضرح: التنحية، لسان العرب، مادة «ضرح»، جـ ٢، ص ٥٢٥.

(4) في الأصل «يعلوا».

(5) أنظر سورة البقرة، آية رقم ١٦٦.

(6) فى الأصل «فريقا» وأصلحت بخط آخر.

(7) الإشارة إلى سورة هود، آية رقم ٤٣.

(8) الإشارة إلى سورة النور، آية رقم ٣٩.

(9) في الأصل غير منقوطة.

ذكر الحوادث في سنة ثمان وسبعين، وانما اوردناها حتى إذا فرغنا منها وصلنا الحادثة في فتح امد[1] بعد هزم الاحزاب بالسنة الاخرى، ومنها وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بدمشق في آخر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين

وانما أخرّت ذكر[2] وفاة معز الدين وان تقدم تاريخها ووصل الينا عند عبور الفرات صريخها، لسردي [3] الأحوال على سياقتها، وإفراد حادثته بالذكر لسكرة الليالي بها، وتعذّر افاقتها/وفقر الايام من بعده الى مثله وفاقتها. فانه بعد انفصالنا عنه بالشام لازم الجهاد بحدّ الاجتهاد وصدق الاعتزام، فوعك في نهضة من نهضاته، ونهك بمرضة أعضلت خلاف ما اعتاده من مَرَضاته[4]، ولما اشتدت عليه عاد الى دمشق منيباً الى الله في طلب مرضاته، وانتقل من حومة الشهادة إلى حمى السعادة، ومن مقام الدوائر إلى دار المقامة، ومن استبقاء المحن الى منح الاستقامة، ومن حضيض المهالك إلى حظوظ الممالك. ومن غار الاغترار الى مقر الاستقرار، ومن معاطن المعاطب الى مذاهب المواهب، ومن حياة الفناء الى فناء الحياة ومن جناب [5] الدُهاة الى جنّات الهُداة، ومن منازل العدوى إلى مناهل الجدوى، وانتقل من الاتراب الى التراب ومن المتربة الى الاتراب، ومن الرتبة إلى التربة، ومن الوطن إلى الغُربة. فتبا للدهر ما تبقى نيّاته على بنيه، ولا تلي نكباته[6] بالسوء سوى مُوَاليه. لقد فجعت الدين والدولة به ملكاً هماماً، وسيداً قمقاماً، وأسداً ضرغاماً، ومقدماً مقداماً، ماجداً [7] ما جدّ في الامر الا بلغ وغلب، وما [8] سعى في نُجح الا ظفر بما طلب. ولم يزل المستشار المؤتمن والمستجار المتمكن، والسمح السخي والذّمر [9] النّحى والاريحي الحيي والالمعي اللوذعي[10]. / وكان السلطان يقطع برأيه ويصل ويكلأ[11] به الثغور واليه يكل،

(٣٣ أ) (٣٣ ب)

---

(١) مدينة هي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً. أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٥٦ - ٥٧ فقد ذكر شيئاً من أحوالها هناك.

(٢) ششن «ذكرت»، ص ٤٢.

(٣) ششن «لسير»، ص ٤٢.

(٤) في السنا، ص ٢١٠ «أعضائه».

(٥) ششن، «جانب»، ص ٤٢.

(٦) في السنا، ص ٢١٠ «بكبواته».

(٧) في الأصل «ماجد» أنظر السنا، ص ٢١٠.

(٨) في السنا، ص ٢١٠ «ولا».

(٩) الذمر: الشجاع، لسان العرب، مادة «ذمر»، جـ ٤، ص ٣١٢.

(١٠) ششن، ص ٤٣، «الودعي».

(١١) السنا، ص ٢١٠ «ويكلأ الثغور إليه ويكل».

ويستبد إلى استبداده، ويستند باسناده. رآني يوما بين يدي السلطان وهو يأمرني بفصول اكتبها ومقاصد في مجاوبات مخاطبات أرتّبها ومذاهب متنوعة أجنّسها وأهذبها. وأنا ساكت مصغٍ، وساكن غير لاغ ولا ملغ. فعجب مني في السكوت والسكون، واطراقي وترك استفهامي عن طرق تلك الفنون، فلعبت به مرّجمات الظنون. فقمت وكتبت الكتاب، ونظمت تلك الاراب، ورتّبت الابواب، واعجبت بانشائي وأنشأت العجاب، وكسوت كل معنى لفظ الفضل وختمت كل قضية بفص[1] الفصل. وزدت وزنت وعيّرت بحصا الحصافه ما وزنت وجئت بالكتاب مسطوراً، وبالادب منشوراً، وبالفضل منثوراً، فأقرأه معز الدين فرخشاه فقال: لله درك من فضلاء[2] الكتّاب وتلا «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب»[3]. ولقد كان له في عقودى اعتقاد، ولنقودى انتقاد، ولأمورى افتقاد، وعلى حضورى اذا غبت عنه اتّقاد. وكان من أهل الفضل ويفضل على أهله، ويغني الكرام عن الابتذال بكرم بذله. ومن أخصّ خواصّه وذوى اصطفائه

٣٤ أ واستخلاصه الصدر/ الكبير العالم تاج الدين أبو اليمن الكندى[4] أوحد عصره، ونسيج وحده، وقريع دهره، وهو علّامة زمانه، وحسّان احسانه، ووزير دسته، ومشير وقته، وجليس أنسه، ورفيق درسه، وشعاع شمسه، وحبيب نفسه، يروى بصوب روائه، ويروى صواب ارائه. ولي في هذا الملك قصائد ملكت مقاصدها، وحسنت بعوائد حسناه عوائدها، وكانت منائحه بواعث القرائح ودواعي المدائح، ولو اوردت ما مدحته به لافردت به ديوانا، ورفعت في سوق الفضل بنقوده النضارية ميزانا. ولكنّي اورد قصيدة هائية موسومة بجواهر الفقر وفرائد الدرر منظومة، مدحته بها في أول[5] سنة صحبت فيها السلطان الى مصر وهي سنة اثنتين وسبعين ووردت بها من فيض فضله العذب المعين. وعارضها تاج الدين أبو اليمن بكلمة بديعة في وزنها ورويّها[6]، وحسن ريّها[7] وطيب رياها وريّها فأما كلمتي فهي[8]:

«من الكامل»

---

(١) في السنا «بنص»، ص ٢١٠، أنظر لسان العرب مادة «خصص».

(٢) في الأصل «فصلاء» والتصحيح من السنا، ص ٢١٠.

(٣) سورة النمل، آية ٨٨.

(٤) هو زيد بن الحسن بن زيد الكندي ولد سنة ٥٢٠هـ وتوفي بدمشق سنة ٦١٣ وعمره ثلاث وتسعون سنة ودفن بها. انظر لترجمته ابن خلكان، وفيات، جـ ٢، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٢، ذيل الروضتين، ص ٩٥. ياقوت، معجم الأدباء، جـ ١١، ص ١٧١، ابن تغري بردي، النجوم، جـ ٦، ص ٢١٦، ابن العماد الأصفهاني، الخريدة، قسم الشام، جـ ١، ص ١٠٠.

(٥) في الأصل «اولى» وهي خطأ نسخي.

(٦) في الأصل «ريها» وهي تصحيف وفي الروضتين «رويها»، جـ ٢، ص ٣٤.

(٧) في الأصل «زيها» والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤.

(٨) وردت القصيدة في الخريدة، بداية، ص ١٢٠ ـ ١٢٨.

بَـيْنٌ أَمرّ حـلاوة العيش الشّهي — وهوىً أحال طلاوة[1] الزَّمن البَهي
وَصَبـابةٌ لا أستقـلّ بشـرحهـا[2] — عن حَصْـرها حصر البليـغ المُدَرَه
أأحبتي ان غِبتُ عنكم فـالهـوى — دانٍ لـقـلـب بـالـغـرام مـولّـه
أنهي اليكم أنّ صبـري مُنْتَهٍ[3] — بل مُنتَهٍ والشـوق ليس بمُنتَه[4] /
أمـا عقـود مـدامعي فلقـد وَهَت — وأبـت عقـود الـودِّ مني أن تَهي
ولقد دُهيتُ[5] ببينكم فاشتقتكم — يـا مَنْ لمشتـاق ببينكم دُهـي
ما زِلتُ عندكُمُ بأَرضى[6] عيشة — وبـقيت بعـدَكُمُ بعيش أكـرِه
أَرعى نجـومَ الليلِ فيكم سـاهرا — لنجـوم[7] دمع أوجهـا في الاوجُـه
أمـا الهـوى فـأنـا مُـدِلٌّ عنـدكم — عـوفيتم منـه بـقلب مُـدلـه[8]
أبْـدت دمـوعي منـه مـا لم أُبـدِه — ويُـدِهت منه أسى بمـا لم أُبْـدَهِ
خَـطْب الفراق شُـدِهتُ منه وإنّني — للنـائبـات أشـدّهـا لم أُشْـدَه[9]
نظرى إليكم كان إثمدَ[10] ناظرى — وبقيت أمري خلف جفن[11] أمرَهٍ[12]
وإذا ألمّ خـيـالُـكـم متـأوّبـاً — لاقـيـتُـه بـتـألّم المُـتَـأوِّه
في شـوقكم أبدَ الـزمـان تفكّـري — وبـذكـركم عنـد الكـرام تفكّهي
لو قيل لي: ما تشتهي من هذه الـد — نيـا؟ لقلت سـواكم لا أشتهـي
مـا كـان أرفَـهَ عيشتي والـذّهـا — من ذا الـذى يبقى بعيش أرفَـه؟
ومن السفـاهـة انني فـارقتكـم — من أين ذو الحلم الـذي لم يَسْفَهِ؟

٣٤ ب

---

(١) خريدة، بداية، ص ١٢٠، وديوان الأصفهاني، ص ٤٤٧، «غضارة».
(٢) في الأصل «بشرجها» والتصحيح من السنا، ص ٢٠٠ والروضتين، جـ٢، ص ٣٤.
(٣) في الأصل «منتناء» وما أثبتناه من الروضتين، جـ٢، ص ٣٤ ولـدى ششن كما هي في الأصـل، ص ٤٤، خريدة، بداية، ص ١٢٠ «منتأ».
(٤) كذلك في الخريدة، بداية، ص ١٢٠، وفي الروضتين «بمنتهى»، جـ٢، ص ٣٤.
(٥) الروضتين «ذهبت»، جـ٢، ص ٣٤ وما أثبتناه هو الصحيح. أنـظر الخريـدة، بدايـة، ص ١٢٠، ديوان الأصفهاني ص ٤٤٧.
(٦) ديوان الأصفهاني، ص ٤٤٧، «بأرخى».
(٧) خريدة، بداية، ص ١٢١ وديوان الأصفهاني ص ٤٤٨ «بنجوم».
(٨) هذا البيت والأبيات التي تليه وردت في الخريدة، بداية، ص ١٢٠ ـ ١٢١ بغير تواليها هنا.
(٩) لدى ششن، ص ٤٤ «ما لم أشده» والأصل كما أثبتناه.
(١٠) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، وقيل، هو نفس الكحل. لسان العرب، مادة «ثمد»، جـ٣، ص ١٠٥.
(١١) في الأصل «مغن».
(١٢) والمره ضد الكحل. لسان العرب، مادة «مره»، جـ١٣، ص ٥٤٠.

وعقاب أيلة[1] ما يفارق[2] جلّقا[3] أحـدٌ الـيهـا غـير غـرٍّ أبْـلَه
حلبت[*] غروب الشأن[4] مني غربةً في بـلدةٍ شـأني بهـا لم يَـنْـبُـهِ
مـا لي ومصر وللمـطامـع[5] انمـا مَـلَكَت قيـادى حيث لم اتنـزّه
لا تنهني يـا عـاذلي فـأنـا الـذى تَبِـعَ الهـوى وأتى بمـا عنـه نُهي /

٣٥ أ

قـد قلتُ للحـادى وقـد ناديتـه في مهمةٍ[6] : اقصر وصلت مَهٍ مَهٍ
حتّام جَـذْبُـك للزمـام فـأرخِـهِ فلقـد انَختَ الى ذَرَى فرّ خشه
قـد لُذتَ بـالُمتـطوِّل الُمتفضـل الُمـ تَـكـرِّم الُمتَـحـلِّم الُمـتَـنـبِّـه
نُجح الرّجاءِ جواب قصـدى بابَـهُ مهما هممتُ له بِجـوبِ[7] المَهْمَهِ
مِلك يجيبُ خـطابَ كـل مؤمِّـلٍ ويجير من[8] عضِّ الخطوب العُضّه
من لم يُجِبْ بسـوى نعـم سُؤَّالَـهُ ولُمعْتَـفيـه بـلا ولـن لم يَجْبَـه
متكـرِّمٌ بـالـطبـع لا مُـتَكَـرِّه شتّـان بـين تَـكَـرُّمٍ وتـكـرُّه
بِيَـديـه نُجحُ المـرتجي واليه قصـ ـد الملتجي ولـديـه رُشـد الأتْيَه
احسـان ذى مجد وهمَّة محسن[9] مجدٍ وتقـوى عـابـد متـأَلِّـه[10]
مـا بـارقٍ ذو عـارض من وَدْقِـه ورعـودِهِ في نـادبٍ ومُقَـهـقِـهِ
هـام يَظَلُّ الـروض من أمـواهـه في الـزهـر بـين مُذَهّبٍ ومموَّه
فالأرض[11] من حُلَلِ الربيع أنيقه والـرّوضُ من حَلْيِ الشقـائق مُزْدَهِ
أَجدى واسمَحَ من يـديه فَجـودُها عنـد الغيوث إذا انتهت لا ينتهي
لا عـزَّ الّا عنـدَ عـزِّ الـدين مـو لانا[12] الأجلِّ أخي الفخار الأنْبَهِ

---

(١) أيله هي مدينة العقبة حالياً ذكر ياقوت بقوله «مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام»، جـ ١، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٢) ششن «تفارق»، ص ٤٥.
(٣) أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.
(*) ديوان الأصفهاني ص ٤٤٨ «خلبت».
(٤) ششن، ص ٤٥ «الشازه».
(٥) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤ «والمطامع».
(٦) المهمه: المفازة البعيدة، لسان العرب، مادة «مهه»، جـ ١٣، ص ٥٤٢.
(٧) في الأصل «بحوب» وما أثبتناه من الخريدة، بداية، ص ١٣٢، ديوان الأصفهاني ص ٤٤٩.
(٨) في الأصل «عن» والتصحيح من الخريدة، بداية، ص ١٢٢، ديوان الأصفهاني ص ٤٤٩.
(٩) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤ «ماجد».
(١٠) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤ «متأوّه».
(١١) ديوان الأصفهاني ص ٤٥٠ «فالروض».
(١٢) خريدة، بداية، ص ١٢٣، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٠ «مولاي».

يَهَبُ الالــوف لمجتــديــه وظَنُّــه ... ان قـد حَباهم (١) بـالأقـلِّ الأتْفَـهِ

أنتم بـني أيــوبَ أكـرمُ عصبــة ... هذا الزمانُ بفخر سؤددكم (٢) زُهي

وأولوا وجوه بـل صدور من نـدى ... مـاء البشاشـة والسمـاحـة مُوَّه/ ٣٥ ب

عَذُبَتْ (٣) مواردُكم وطابت للورى (٤) ... وصَفَتْ فلم تـأسن ولم تَتَسنَّـهِ

مــا يــدّعـي مَلِكٌ بلوغ محلّكـم ... الاّ تقـولُ (٥) له مسـاعيكم: صـهِ

والناصر الملك الصلاح هـو الذي ... الاّ بــه الـلزبـات (٦) لم تتنهنــه

لاهِ عن الــلاّهي بــدُنـيــاهُ وعن ... اعـلاء (*) دين الله يومـاً مـا لَهي

فات الكرام (٧) عُليً وان لم يظفروا ... منهــا بغـيـر تـشَبُّـثٍ وتَـشَبُّــه

ان الملوك تخلّفــوا وسبقـتهـم (٨) ... أين السَّــوامُ من العِتــاقِ الفُـرَّه

راجـيكُـم مـن داءِ كــلِّ مُـلمَّــة ... يَشفى وَعـدّ سمـاحكم لم يُشْفَـه

وعــدوكم من مهـربٍ من يُنْجِـه ... ووليّكم من مــطلب لم يُنْجَـه (٩)

ان يجحد الشاني (١٠) عُلاك فما (١١) ... ترى اشراقَ عينِ الشمس عينُ الأكمَهِ

ولَــرُبَّ مَجْــرٍ رائــعٍ حَمَــلاتُــه ... وتَخَـالُه في الـزحَف سيل مُدَهْـدَهِ

يَقرى العواسلَ من فرائس أُسـدِه ... لحْـما بنــار البيض مُشعَلَةً طُهي

مَتَحَتْ بــه قلْبَ القلوب ذوابــل ... أشبهن (١٢) أشـطانا بـأيـدى مُتّـه

والأسمر (١٣) العسال يحكي ناحلا ... متلوِّيــاً مـن سقـمــه لم ينـقــه

واللّهــذم الـرعّـاف يشبــه معلماً ... حضر الوغى وأصابه جرح صهي (١٤)

---

(١) ششن، ص ٤٦ «حياهم».

(٢) خريدة، بداية، ص ١٢٣، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٠ «سؤددهم»

(٣) ششن «عذوبت»، ص ٤٦.

(٤) في الأصل «للعدى» وفي خريدة، بداية، ص ١٢٣ «للورى».

(٥) ششن «يقول»، ص ٤٦.

(٦) اللزبات: الشدائد جمع لزبه وهي الشده. لسان العرب، جـ ١، ص ٧٣٨.

(*) ديوان الأصفهاني ص ٤٥١ «إعزاز».

(٧) خريدة، بداية، ص ١٢٤، ديوان الأصفهاني ص ٤٥١ «فاق الملوك».

(٨) في السنا «وسبقتم ابن»، ص ٢١١ وفي خريدة، بداية، ص ٢٤ ديوان الأصفهاني ص ٤٥١، «وسبقتم».

(٩) لدى خريدة، بداية، ص ١٢٤ وعدوكم في مهرب لم ينجه ... ووليكم في مطلب لم ينجه

(١٠) في الأصل «الساني» والتصحيح من السنا، ص ٢١١.

(١١) في السنا، ص ٢١١ «فهل».

(١٢) ششن، ص ٤٦ «شبهن».

(١٣) خريدة، بداية، ص ١٢٤، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٢ «فالاسمر».

(١٤) اللهذم: الحاد من كل شيء وسيف لهذم. لسان العرب، مادة «لهذم»، جـ ١٢، ص ٥٥٦. ورد هذا البيت =

وهو الذى تـرك العدَى من رُعبـه ... يـوم اللقاءِ بصَـدْمهِ في وَهْـرَه(١)
بـك أصبحت رايـاتُـه منصـورةً ... يـا سيِّدا عَنَتِ الـوجـوهِ لـوجهـه
٣٦ أ لك في الشهامة والصرامـة موقف ... لصفـاتـه اعجـازُ كـلّ مُفَـوَّه/
ما الصارم الهنـدى(٢) غير مُكَهَّم ... والبـاسـلُ الصنـديـدُ غــير مُنَفَّـه
وإذا عزمت تـركت اعـداء الهدى ... مـا بين هُـلاَّكٍ وحَيْرى عُمَّـه
يـا حلفَ جـودٍ للغيـوث مُخَجِّـلٍ ... أبـداً وبـأسٍ بـالليُّـوثِ مُجهجَـه
مولاى مِنْ مَدْحي سـواك توجّعي ... وإليـك من دون الملوك تـوجُّهي
أَهَبُ الثنـاءَ لمجـدِ بيتك طـائعـاً ... وأبيعُـه لسـواك بَيْـعِ المُكْـره
مـدحُ الجميـع مـوجَّهُ ومـديحُكُم ... في الصّدق والاخلاص غيرُ مُوجَّـه
يفـديـك مغـرورُ الـزمـان بِلَهْـوِه ... وَلَهـاه(٣) غَـرّار السـراب بلَهْلَهِ
مـولاى مصرُ أخملَتْ قـدرى فكُن ... باسمي جُزيتَ الخَير(٤) خيرَ مُنَـوِّه
شَـرَهي على العليـاءِ جرّ معـاطبي ... أَمِنَ المعـاطَبَ كـل مِنْ لم يَشْـرَهِ
ولقـد تملّى(٥) بـالسعـادة ذو غنى ... عـن شقـوةِ المتـطلّب المُتَـطلّه
اين الكـرامة لـلافاضـل عنـدكم ... ان لم تكن(٦) عند الكرام فأين هي
لبّى نـداءَ نـداكَ لُـبُّ رجـائـه ... فازجر ملمّ اليـأس عنه وأنـدَهِ
أعليت في مصرٍ مكـاني بعـدمـا ... خفضت(٧) بـه ولِقَـدره لم يُؤبـه
طلعت نجـومُكُم الثَّـواقبُ للورى ... زُهـراً وانّي كالسهى عنـه سُهي
عـرِّف بعرفِـك منه مـا لم يعـرفـوا ... نبـأً ومن(٨) سِنـةِ التغـافـل نَبِّـه
جَبَرتْ يد الإفضال منه مكـاسـراً ... من فضـليَ المتكسِّرِ المتكـدّه(٩)
٣٦ ب فضـلي خَلوتُ لأجله من حـظوة ... هي للاريب كنبت مَرتٍ أَجْلَه(١٠)/

= في خريدة، بداية، ص ١٢٥، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٢.
والأبيض الـرعـاف يشبـه مـدنفـا ... ألف الضّنى وأصـابـه جـرح صهي

(١) في الأصل «وهده» أنظر خريدة، بداية ص ١٢٥ وديوان الأصفهاني ص ٤٥٢.

(٢) شِشن، ص ٤٦ «السندى». (٣) ششن، ص ٤٧، «ولها».

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ٤٧.

(٥) في الأصل تملأ، وفي الخريدة، بداية، ص ١٢٦ «علّى»، أنظر ديوان الأصفهاني ص ٤٥٣.

(٦) ششن، ص ٤٧، «يكن».

(٧) ديوان الأصفهاني ص ٤٥٣ «خفقت».

(٨) خريدة، بداية، ص ١٢٧، «ديوان الأصفهاني ص ٤٥٣ «وعن».

(٩) في الأصل:
جبرت يـد الأفضـال منك مكاسراً ... مـن فـضـلي المتكسر المتـلده
أنظر الخريدة بداية ص ١٢٧، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٣.

(١٠) في الأصل «لنبت مرت» وما أثبتناه من الخريدة، بداية، ص ١٢٧. والمرت: مفازة لا نبات فيها وقيل المرت =

الفضـلُ مشتعلٌ بنـار بـلائـه — والحظُّ مشتغـل بـأخـرقَ أورهِ
أعـرِ التأمُّـلَ فقـه شعـرى مُنْعِـما — لا يشعـر الانسان مـا لم يَفْقَـه
وتَمَـلَّهـا غَـرّاء جـامعـة لكـم — في النّـعت بـين تَمـدّح وتَمَـدّه
يهـتز ذو الحسنى لجلوة[1] حسنهـا — وتَجـلّ عن تحسين كـلّ مُـزَهْـزَهِ
أفـواهُ أهـلِ الفضـل نـاطقـةٌ لهـا — بالفَضل إن قيست بشعر الأفوه[2]
وانْ العقولَ لَهَتْ بها[*] فـلأنَّها[3] — محـمّيـة عـن كـل معـنى لَهْـلَهِ
صهبـاءُ تـودِعُ سـامعيهـا نشـوةً[4] — وتعيرُ عَـرْفَ المسـك للمُستنكِهِ[5]
فـوليُّهـا بتشـوّف وتشـوّق[6] — وحسـودهـا بتشـوّر وتـشـوّه
دم يـا ابن شاهنشاه مَلْكـاً سيـدا — مُتَـوشّحـا بـالسؤدد الشـاهنشهي
متملّيـاً بهـرام شـاه[7] مُمَتّعـا — منـه بشـاهٍ[8] سَيّـدٍ شَهْـمٍ شَهي
لـو شـاهـد اليَمَنِيّ جبهـةَ يُمنِكُم — مـا ظـل مُفتخـراً بخيـل الأجبـه

وهذى نظمتها على وزن قصيدة لبعض أهل العصر مطلعها:
العز في صهوات خيل الأجبه.
وأوردتها[9] في كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر».

وأما القصيدة التاجية التي نظمها على وزنها ورويّها تاج الدين أبو اليمن[10] فهي: / ٣٧ أ
«من الكامل»

= الأرض التي لا نبات فيها وإن أمطرت. لسان العرب، مادة «مرت»، جـ ٢، ص ٨٩. أنظر بشأن «جله» لسان العرب، جـ ١٣، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦. وفي الديوان ص ٤٥٤ «للأديب».

(١) في الأصل «بجلوه» أنظر خريدة، بداية، جـ ١، ص ١٢٧، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٤.
(٢) الإشارة إلى الأفوه الأودى الشاعر.
(*) ديوان الأصفهاني ص ٤٥٤ «لها».
(٣) لدى ششن، ص ٤٧ «لأنها».
(٤) أنظر خريدة، بداية، ص ١٢٧، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٥.
(٥) لدى ششن، ص ٤٧ «للمستنكه».
(٦) خريدة، بداية، ص ١٢٧، ديوان الأصفهاني ص ٤٥٥ «بتشوّق وتشوّف».
(٧) في الأصل «بهرامشاه» وهو ابن الممدوح «فروخشاه» أنظر خريدة، بداية، ص ١٢٨ وأيضاً ص ١١٤. وأنظر ديوان الأصفهاني ص ٤٥٥ هامش (٣).
(٨) خريدة، بداية، ص ١٢٨ «بندب».
(٩) في الأصل «وأوردته» والسياق يقتضي التصحيح. أما القصيدة المقصودة فقد وردت في قسم شعراء اليمن، جـ ٣، ص ٢٨٥ وهي لابن الهبيني.
(١٠) أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤ ـ ٣٥، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٥.

هــل أنت راحمٌ عبـرة وتــولّــه وحجــير صب عنـد مــأمنــه دُهي
هيهـات يـرحم قــاتـل مقتــولـه وسنـانـه في القلب غــيرُ مُنهنـه[1]
من بــلّ من داء الـغـــرام فـــانني مذ حلّ بي مرض[2] الهوى لم انقه
اني بليت بحب أغـيــد ســاحــر بلحاظه[3] رخص البنان برهره[4]
أبغي شفــاء تـدلّهي[5] من دِلّـــه ومتى يـرق مـدلّـــل لمــدلّـــه[6]
كـــم آهـة لي في هـــواه وإنـه[7] لــو كــان ينفعني عليـه تــأوهي
ومــآرب في وصـــلـه لــو أنها تقضى لكانت عند مبسمه الشهي
يــا مفـرَدا بــالحسن إنك منتـه فيه كما أنـا في الصبابـة منتهي [8]
قــد لام فيك معــاشر أفــانتهي بــاللوم عن حب الحياة وأنت هي
ابكي لــديـه فــان أحسّ بلوعـة وتشهّق[9] أومى[10] بطرف مقهقه
أنـــا من محـاسنــه وحـالي عنــده حيــران بـين تفكّــهٍ وتفكّــهِ[11]
ضــدان قـد جمعـا بلفظ واحـــد لي في هـــواه بمـعنيـــين مُـــوَّجـــهِ
لأجـرّدن من اصـطبـارى عـزمــةً مــا ربّهــا في محفــل[12] بمُسقّـــه
أولسـت رب فضـائل لـو حـاز أد ناها وما أزهى[13] بها غيرى زُهي

---

(١) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤ «مهنه». أنظر الخريدة، بداية، ص ١٢٩ والنهنه: الكفّ، لسان العرب، مادة «نهنه» جـ ١٣، ص ٥٥٠.

(٢) خريدة، بداية، ص ١٢٩ «داء».

(٣) في الأصل «بلحاضه» ووردت في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٥، خريدة، بداية، ص ١٢٩ كما أثبتناه.

(٤) في الأصل «رخص... بزهره» وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٤، خريـدة، بـدايـة، ص ١٢٩ كما أثبتنـاه والرهرهة: حُسْنٌ بصيص لدى البشره. جسم رهرهه أو برهرهة: أي أبيضً من النعمة. لسان العرب، مادة «رهره»، جـ ١٣، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤. والـرخص: الشيء النـاعم اللين. لسـان العـرب، مـادة «رخص»، جـ ٧، ص ٤٠.

(٥) (٦) المدّله: الذي لا يحفظ ما فعل ولا ما فعل به والتّدله: ذهاب العقل من الهوى. لسان العرب، جـ ١٣، ص٤٨٨، مادة «دله».

(٧) في السنا، ص ٢١٢ «أنه».

(٨) خريدة، بداية، ص ١٢٩ «منته».

(٩) الروضتين «ويشهقه» «يطرف»، جـ ٢، ص ٣٥.

(١٠) بـالأصل «أومـا» وكذا لـدى ششن، ص ٤٩، الروضتـين، جـ ٢، ص ٣٥، خريـدة، بدايـة، ص ١٣٠ والتصحيح من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٥.

(١١) التفكه بمعنى التمتع ثم التعجب والندم. الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥. أنظر لسان العرب، مـادة «فكه»، جـ ١٣، ص ٥٢٤.

(١٢) في الأصل «بجفل» وكذا لدى ششن، ص ٤٩ وهي تصحيف.

(١٣) في الأصل ولدى ششن، ص ٤٩ «أزها».

شهدت لها الاعداء واستشفت بها ... عينا حسود بالغباوة أكمه
أنا عبد من شهد الزمان بعجزه[1] ... عن أن يجيء له بند مشبه
عبد لعز الدين ذى الشرف الذى ... ذلّ الملوك لعزّه فرُّ خشه[2] / ٣٧ ب
الموقد الحرب العوان بيأسه ... والأُسد بين مُعرّد ومُوهوه[3]
المفحم الفصحاء فصل خطابه ... من ذى الروّية فيهم والمُبْدِه[4]
فكأن قرنا يبتلى بنزاله ... يرمى بطود فوقه مُتدهده[5]
وكذا[6] البليغ ملجلج في نطقه ... حصرا كألكن في الحوار متهته
فلتبجح العلياء منه[7] بمحرب ... عند الجلاد وفي الجدال بمدره[8]
هو غرّة الزمن البهيم وعصمة الملـ ... ـك العقيم وغوث كل مؤيّه[9]
ملك همام حازم يقظ[10] رضي ... بحرٌ غمامٌ عالمٌ ندس(*) نهي
فطن لأخذ محامد خفيت على ... فطن الألى فلمثلها[11] لم يؤبه
متنبّه للمكرمات ولم يكن ... عنها[12] ينام فيبتدى[13] بتنبّه
يعدى على جور الزمان بعدله ... ويجير[14] بالنعماء كل مولّه
واذا استغاث اليه منه ماله ... كانت اغاثته له صِهْ أو مَهِ
وعلى شمائل مجده ورواته ... للمجد[15] أبهة بغير تأبّه
ما الليث أوغل في الترائب نابه ... سَغَباً[16] يصول بأهرت متكهكه

---

(١) في الأصل «بعجره» وكذا لدى ششن، ص ٤٩ وجاءت كما أوردناها في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٦، وفي الخريدة، بداية، ص ١٣٠

(٢) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥ «لعز عبد فرخشه» وفي مفرج الكروب جـ ٢، ص ١٢٦ وفي الخريدة، بداية، ص ١٣٠ كالأصل.

(٣) أنظر لسان العرب، مادة «عرد» جـ ٣، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩، مادة «وهوه»، جـ ١٣، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

(٤) أنظر لسان العرب، جـ ١٣، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

(٥) أى متدحرج. أنظر لسان العرب، مادة «دهده» جـ ١٣، ص ٤٨٩.

(٦) في الأصل «وكذى». أنظر خريدة، بداية، ١٣١، والتهتهة: التواء في اللسان. لسان العرب، مادة «تهته» جـ ١٣، ص ٤٨٢.

(٧) (٨) في السنا، ص ٢١٢ «فليجحح العليا منه مجرب»، أنظر خريدة، بداية ص ١٣١. والمدرة: المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال. لسان العرب، مادة «دره» جـ ١٣، ص ٤٨٨.

(٩) أى داع وطالب للغوث. أنظر لسان العرب، مادة «أيه» جـ ١٣، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

(١٠) في الأصل «يقض» ولدى ششن «نقض»، ص ٤٩، والصحيح ما أثبتناه. أنظر خريدة، بداية، ص ١٣١.

(١١) خريدة، بداية، ص ١٣١، «فلبعضها». (*) أي فَهِمٌ سريع السمع مظهر. انظر لسان العرب، مادة «ندس».

(١٢) ساقطة لدى ششن، ص ٤٩.

(١٣) الخريدة، بداية، ص ١٣١ «فيهتدى».

(١٤) ششن، ص ٤٩ «ويحير»، وفي الأصل كما أوردناها. أنظر الخريدة، بداية، ص ١٣١.

(١٥) الخريدة، بداية، ص ١٣١ «للملك».

(١٦) في الأصل «سعيا». أنظر الخريدة، بداية، ص ١٣١ والكهكهة: ترديد الأسد زئيره. أنظر لسان العرب مادة «كهكهة»، جـ ١٣، ص ٥٣٧.

٣٨ أ

يوماً بأسفك للدماء لدى الوغى … منه، واقتل للعداة واعضه
تعبت اسنته على عليائه … حتى تفرّد بالمحل الأنوه[١]
فغدا وراح[٢] به رعايا ملكه … في راحة تبهو[٣] بسؤدده البهي
كم في عناء[٤] المتعبين على العلى … من مترف بعنائهم مُتَرفّه/
انظر اذا ازدحم الوفود ببابه … من كل ذى أمل به متوجّه
ان شط لم يشطط رضاه وان سطا … فيما يحاول عنده لم يُنجه
طابت موارده فغص[٥] فناؤه … وشدا[٦] الحداة بذكره في المهمه
كالماء عند وروده ما لم يكن … عذباً نميراً سائغاً لم يُشفَه[٧]
يا خير بانٍ بالشجاعة والندى … مجداً[٨] يَهي عمر الزمان ولا يهي
يفديك كل مملّك متتايه … ابداً بألسنة الرعاع ممدّه[٩]
لا يفقه النجوى اذا حدثته … واذا بدا[١٠] بحديثه لم يُفقه
اني على شرف القريض لهاجر … للنظم هجرة آنفٍ مُتنزّه
أضحى وأهلوه[١١] كممدوحيهم[١٢] … في جهل قيمة ذى الحجى والأوره[١٣]
أبداً عرائس مدحه تُجلى على … دنس الخبيثة بالعيوب[١٤] مشوه
قل للمميّز[١٥] سامعاً أو منشداً[١٦] … في الناس بين مفهه ومفوّه

(١) أنظر الخريدة، بداية، ص ٣٢. والأنوه أي الأعلى منزلة. أنظر لسان العرب، مادة «نوه»، جـ ١٣، ص ٥٥٠ ـ ٥٥١.
(٢) ششن «أوراح»، ص ٥٠.
(٣) خريدة، بداية، ص ١٣٢ «تتهو».
(٤) في الأصل «غنا». أنظر خريدة، بداية، ص ١٣٢.
(٥) ششن، «فغض»، ص ٥٠.
(٦) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥ «وشدّ».
(٧) أي غير مطلوب للشرب. أنظر لسان العرب، مادة «شفه»، جـ ١٣، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨.
(٨) الخريدة، بداية، ص ١٣٢ «فخراً».
(٩) أي ممدوح إذ المده والمدح واحد. أنظر لسان العرب، مادة «مده» جـ ١٣، ص ٥٤٠.
(١٠) الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥ وكذا في الخريدة، بداية، ص ١٣٢ «أتى» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٦، كالمتن.
(١١) الخريدة، بداية، ص ١٣٢ «وعصبته».
(١٢) في السنا «كممهدوحيهم»، ص ٢١٢.
(١٣) في الأصل «والاروه» أنظر خريدة، بداية، ص ١٣٢ والوره: الحمق في كل عمل. والأوره: الأحمق. لسان العرب مادة «وره»، جـ ١٣، ص ٥٦٠.
(١٤) في الأصل «الحنّية بالغيوب» والتصحيح من الخريدة، بداية، ص ١٣٢.
(١٥) في السنا، ص ٢١٢ «كل المميز».
(١٦) الخريدة، بداية، ص ١٣٣ منشداً أو سامعاً، ألفه: الكليل اللسان العيّ. أنظر لسان العرب مادة «فهه»، جـ ١٣، ص ٥٢٥.

آليت لأأوليت غيـرك مـدحـة شعـرا وان افعـل فمـدحـةُ مكـره
أصبحت من نعماك صاحب انعم تـرجـى نـوافلهـا وعيش أبـله
وبدا لديك صريح فضلى مثل ما لا يستسّر (١) لـديـك نقص مموّه
حزت السعادة من الهك (٢) ما سَرَتْ في الليـل دعـوة عـابـد متأله

وفي شوال سنة ثمان وسبعين كانت نصرة الأسطول المتوجه/ إلى بحر القلزم ٣٨ب والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ (٣) لطلب الفرنج السالكين بحر الحجاز (٤)

لما صعب على الأبرنس (أرناط)(٥) صاحب الكرك ما توالى عليه من نكاية أصحابنا المقيمين بقلعة أيلة(٦) وهي في وسط البحر لا سبيل عليها(٧) لأهل الكفر، أفكر في اسباب احتياله، وفتح ابواب اغتياله، ودبّر في نهج طرق الغوائل، فبنى له سفنا ونقل اخشابها(٨) على الجمال الى الساحل، ثم ركب المراكب هناك وطلب في البحر الادراك والاستدراك وشحنها بالرجال والات القتال، ووقّف(٩) منها مركبين على جزيرة القلعة، وهما شديدا المنعة، فمنع(١٠) اهلها من استقاء الماء، وندب أشياعها في الاشياء، ومضى الباقون في مراكب نحو عيذاب(١١) فقطعوا طريق التجار، وشرعوا في القتل(١٢) والنهب

---

(١) الأصل: «تستسر» والتصويب من الخريدة، بداية، ص ١٣٣.

(٢) في الأصل «الاهك» وكذا لدى ششن، ص ٥٠، خريدة، بداية، ص ١٣٣.

(٣) حسام الدين لؤلؤ الحاجب كان أرمني الأصل من جملة أجناد مصر أيام الفاطميين ثم انضم لصلاح الدين وأصبح مقدم الأسطول. وكان مقداماً شجاعاً وتوفي في سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بالقاهرة. أنظر المقريزى، خطط، جـ ٢، ص ٨٥ - ٨٦، وللحادثة المذكورة قارن ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٠ - ٤٩١. المقريزى، السلوك، جـ ١، ص ٧٨ - ٧٩.

(٤) المقصود هنا بحر القلزم «البحر الأحمر» سمي بالقلزم نسبة إلى مدينة القلزم التي خربت في القرن الخامس الهجري وبنيت على اثرها مدينة السويس. أنظر ياقوت، معجم، جـ ٤، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٥) الاضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧.

(٦) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧ «بحصن».

(٧) في السنا، ص ٢١٢ «اليها» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧ «للفرنج اليها».

(٨) في السنا، ص ٢١٨ «اجسامها» وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧ كما أثبتنا.

(٩) في مفرج الكروب «اوقف»، جـ ٢، ص ١٢٧.

(١٠) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧ «تمنع».

(١١) وهي بليدة على ضفة بحر القلزم، مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. أنظر ياقوت، معجم، جـ ٤، ص ١٧١.

(١٢) في السنا، ص ٢١٣ «الفتك».

والاسار. ثم توجهوا إلى أرض الحجاز فتعذر على الناس وجه الاحتراز، فانه لم يعهد في ذلك البحر طروق الكفار ولا تأجج في لُجّه شرار الاشرار. فعظم البلاء، واعضل الداء[1]، واستشرى الشر، واستضرى الضر، وشاعت النكاية، وراعت الاية، وجزع[2] العاجز وعجز الجازع، وضعف النازع وقوى المنازع. وبليت الرعية منهم بأفجع لوعة/ وأفجأ روعة، وأشرف اهل المدينة النبوية منهم على خطر، وأصيبوا بالنفيسين من وطن ووطر، وخافت السواحل حلول الاسواء، ونزلت بالبلاد نوازل البلاء. ووصل الخبر إلى مصر والملك العادل أخو السلطان[3] متوليها ورافع اعلام الاسلام ومُعليها، فأفكر فيمن يتدّرك بالامر، ويسلك إلى القوم في البحر، ويفتك بأهل الكفر. ووقع اختياره على الشهم[4] المختار، والليث المغوار، والفارس الكرّار، والخضرم التيار، والخصمّ الزخّار، والضيغم الزآر، وهو الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فأحيا به السنّة القديمة والنصرة الكريمة في القول السابق بالفعل الصادق.

٣٩أ

ايش ما شئتم فقولوا   إنما الفتح للولو

فعمّر في بحر القلزم مراكب الرجال[5] البحرية ذوى التجربة والتحرية[6] من اهل النخوة للدين والحميّة. وسار إلى أيلة، فظفر بالمركب الفرنجي عندها فخرق[7] السفينة وأسر جندها، ثم عدّى إلى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب. ودلّ على مراكب العدو[8]، فتبعها ورأى تسرّعه وراها[9] لما عرف في نكرها[10] تسرعها ووقع بها بعد ايام فأوقع بها وواقعها، وقطع قطعها ونسف بريح بأسه سفنها، وأزارها وهي هاوية

---

(١) كذا في الأصل وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٧، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥، «الدواء».

(٢) في الأصل «جرع».

(٣) هو أبو بكر محمد بن أيوب الملقب بالملك العادل سيف الدين جاء إلى مصر صحبه عمه أسد الدين وأخيه صلاح الدين. وكان ينوب عن أخيه فيها بعد بمصر وتنقل كثيراً بين مدن الشام. ثم استقرت به الأحوال بمصر عند دخوله القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسمائة ثم ملك الديار المصرية والشامية معاً وملك اليمن سنة اثنتي عشرة وستمائة. ولد بدمشق سنة أربعين وخمسمائة وقيل ثمان وثلاثين وتوفي في سنة خمس عشرة وستمائة ودفن بدمشق. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٥، ص ٧٤ ـ ٧٩.

(٤) في السنا، ص ٢١٣ «السهم».

(٥) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥، وكذا مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٨ «بالرجال» ولدى ششن، ص ٥١ «ملأها بالرجال» وبالأصل كما أثبتنا.

(٦) في الأصل «التجرئة» والتصحيح موافق لما ورد في السنا، ص ٢١٣.

(٧) أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥، وفي السنا ص ٢١٣ ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٨ «فحرّق».

(٨) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٨ «الفرنج».

(٩) كذا في الأصل.

(١٠) ششن، ص ٥٢ «نكر».

وهيها ووهنها. فخرجت إلى بعض سواحل/ البرية بشعابها محتمية[1] وفي تلالها مرتقية ٣٩ و
وبقتالها مبتدئة ومن اغتيالها مختشية. فلم يزل الحاجب لؤلؤ ناكب مراكبها وراكب مناكبها حتى أزالها وأزلها، وفلّ فلّها وأشلّها وسلّها، وهجم على كثرتها فاستقل اليها واستقلها، فلما استنفرت[3] وفرّت وفرِقت وتفرّقت وما قرّت[4] بدأ بالسفن فاطلق المأسورين من التجار، ورد عليهم كل ما اخذ لهم من المتاع والدرهم والدينار، ثم اقتضى بدين الدين عند الكفار. ثم صعد إلى البر فوجد أعرابا[5] قد نزلوا منه شعابا، فركب خيلهم وراء الهاربين، وكانوا في أرض تلك الطرق ضاربين. فحصرهم في شعب لا ماء فيه، وحلق عليهم بقوادم البأس وخوافيه، وجلاهم[6] عن الماء وألحاهم[7] بالاظماء، وأتاهم بالاتواء[8] وداوى أدواهم بالادواء، وناظر ناضرهم بالاذواء وحسّر ظامئهم على الارواء، وعثر ارديائهم في سبل[9] الارداء حتى استكانوا ولانوا، وهابوا وهانوا واستأمنوا واستسلموا، ولو أسلموا لسلموا. فأَسَرهُم بأسرِهِم، وأخذهم في مكر مكرهم، وقيد منهم اقدامهم وأكفّ كفرهم. وكان ذلك في أشهر الحج[10] فساق منهم أسيرين[11] إلى منى كما يساق الهَدْي، وعاد إلى القاهرة ومعه الاسر[12] والسبي، وقد بذل وسع النجح ونجح السعي. وجاءت البشرى بما منّ الله به من الحظوة والنصرة الحلوة. فكتب السلطان/اليه بضرب رقابهم وقطع اسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين ٤٠
تطرف ولا أحد يخبر[13] طريق ذلك البحر أو يعرف.

فصل من الانشاء الفاضلي يتضمن هذه النصرة في كتاب الى الديوان العزيز عن السلطان مما مَثّله لي

ان الابرنس خذله الله كان قد عمّر مراكب واستكثر عدّتها وعُدّتها، واستجدّ

---

(١) في السنا، ص ٢١٣ «مجتمعة» وهي تصحيف.
(٢) ششن، ص ٥٢، «فاستقبل».
(٣) في السنا، ص ٢١٣ «فما استقرت».
(٤) في السنا، ص ٢١٣، «وما بدا».
(٥) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٨، «عربانا».
(٦) في الأصل «حلاّهم» ولدى ششن، ص ٥٢ «حلأهم».
(٧) في الأصل «الجاهم» والتصويب من السنا، ص ٢١٣.
(٨) الأتواء: الحبال. لسان العرب، مادة «توا»، جـ ١٤، ص ١٠٥ أي لتكبيلهم بعد الأسر.
(٩) ششن، ص ٥٢ «سنبل».
(١٠) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٨ «الأشهر الحرم».
(١١) في السنا، ص ٢١٣ «أسرى».
(١٢) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٥ «الأسارى».
(١٣) في السنا، «يعلم» ص ٢١٣.

شوكتها وشكّتها، وله مدّة يجتهد فيها ويعمل ويؤمل من قصد قلعة أيلة ما يؤمل. فلما بلغ من كمالها ما أمّله وبلغ كتاب ملاعبته أجله، سار بها إلى بحر ايلة ورام القلعة فبات بجانبها وهزئت بطالبها ورأى ما لا مطمع له فيه، وأخلفه ما كان يرتجيه. فعمد الى المراكب المشار اليها فسير منعتها وقوتها في بحر الحجاز. وترك مركبين تحت القلعة يمنع مورد الماء ويحصر رجال القلعة عن الاستقاء.

وكان الملك العادل بمصر قد عمّر مراكب أعدّها للقاء هذه المراكب، ونظر من أول هذا الخبر فيما يسفر عن العواقب، وعرف تفرق مراكب العدو على الماء لتمنعه، وعلى ٤٠ ب طريق الحاج لتقطعه، فجهز الى القلعة من ظفر/ بالمركبين لوقت الاطلال عليهما، وساعة الوصول اليهما، وكفى الله اهل الدين مؤونة من حمى الماء عن الحائمين، وقطع الله بأوليائه المطيعين دابر اعدائه الظالمين.

وسارت هذه المراكب الاسلامية طالبة شوكة المراكب الحربية المتعرضة للمراكب الحجازية واليمنيّة. وكانت مراكب العدو قد أوغلت في البحر، ودلّها على عورات الساحلين من العرب[1] من أشبه ركابها في الكفر، فوصلت إلى عيذاب فلم تنل منها مرادا، ولا أنجحت منها ارتيادا، غير أن من[2] وجدته في طريقها من المراكب أو من عبرت به في فرضة عيذاب نالت منه وشعثت وأفسدت فيه وعيّثت[3]، وتمادت في الساحل الحجازى الى رابغ الى سواحل الحوراء[4]. وهناك وقع عليها اصحابنا وأوقعوا بها أشد الايقاع، وأخذوا المراكب الفرنجية بأسرها على حكم البدار والاسراع، وفرّ فرنجها إلى الساحل، فركب أصحابنا وراءهم خيول العربان التي وجدوها وأسروا[5] الكفار من شعاب وجبال اعتصموا بها وقصدوها. وكفي المسلمون أشد فساد في أرضهم، وأقطع قاطع لفرضهم وانبسطت[6] آمالهم بقبضهم. وعميت على الكفار هذه الطريق التي لو كشف لهم غطاؤها قدما، ولو أحاطوا بها علما لاشتطت[7] نكايتهم ٤١ أ واشتدت جنايتهم، وعزّ على قدماء ملوك[8] مصر أن يصرعوا/ هذه الاقران ويطفئوا

---

(١) المقصود هنا بدو المنطقة.
(٢) الروضتين «ما»، جـ ٢، ص ٣٧.
(٣) الروضتين «وعثت»، جـ ٢، ص ٣٧.
(٤) في الأصل «الجوزاء» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧. أنظر ياقوت، معجم، جـ ٢، ص ٣١٦.
(٥) الروضتين «وأخذوا»، جـ ٢، ص ٣٧.
(٦) أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، ولدى ششن «انبسط»، ص ٥٤.
(٧) في الأصل غير واضحة وما أثبتنا من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧.
(٨) ساقطة لدى ششن، ص ٥٤.

هذه النيران، ويركبوا عورات[1] اللجج ويرخصوا غوالي المهج ويقتنصوا[2] هذا الطائر من جوّه الذي لا يدرك لوحه[3]، ويدركوا هذا العدو الذى لا يدرك الا أن يُتخذ عليه ملائكة[4] الله ورَوحه ونرجو من الله فراغا نجد به بلاغاً إلى ما يؤمله من استئصال هذه الشأفة وشفاء المطول بها من غلل الكافة.

ومن كتاب آخر من انشائه في المعنى:

كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا، وافتضوا[5] من البحر بكرا، وظنوا ان الشواغل عنهم تتعرض، والليالي دون اليقظة لمكرهم تتقرّض، وعمّروا مراكب حربية[6] شحنوها بالمقاتلة والأسلحة والازواد، وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز واثخنوا وأوغلوا[7] في البلاد، واشتدت مخافة اهل تلك الجوانب، بل اهل القبلة لما اومض اليهم من خلل العواقب. وما ظن المسلمون الاّ انها الساعة، وقد نشر مطوي أشراطها[8]، والدنيا قد طوى منشور بساطها، وانفطر[9] غضب الله لفناء بيته المحرم، ومقام خليله[10] الأكرم وتراث أنبيائه[11] الاقدم، وضريح نبيّه الأعظم ﷺ، ورجوا أن تشحذ[12] البصائر اية كآية هذا البيت اذ قصده أصحاب[25] الفيل، ووكلوا الى/ الله الامر وكان حسبهم ونعم الوكيل. ٤١ ب

وكان للفرنج مقصدان، احدهما قلعة أيلة التي هي على فوهة بحر الحجاز ومداخله والآخر الخوض في هذا البحر الذى تجاوره[14] بلادهم من ساحله. وانقسموا فريقين

---

(١) كذا في الأصل، وفي الروضتين «غوارب»، جـ ٢، ص ٣٧.

(٢) في الأصل «ويفيضوا» وكذا لدى ششن، ص ٥٤، وما أثبتنا من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧.

(٣) في الأصل «لوجه» وما أثبتنا من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧. أنظر لسان العرب، جـ ٢، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٦، وكذا لدى ششن، ص ٥٤.

(٤) في الأصل «مليكه» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧.

(٥) في الأصل «اقتضوا» وكذا لدى ششن، ص ٥٤ وهي تحريف. أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٩.

(٦) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٩ «بحريه».

(٧) في الأصل «ودغلوا».

(٨) أنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٢٩.

(٩) الروضتين «وانتظر»، جـ ٢، ص ٣٧.

(١٠) في الأصل «جليله».

(١١) في أصل مفرج الكروب «بنيانه»، جـ ٢، ص ١٢٩ هامش رقم «٤» وقد تبدو مسايرة للسياق أكثر مما ورد هنا بالأصل، وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧.

(١٢) في الأصل «يشحد» وكذا لدى ششن، ص ٥٤.

(١٣) الإشارة إلى غزو مكه من قبل الحبشة الذى تشير إليه سورة الفيل.

(١٤) ششن، ص ٥٤ «يجاوره».

وسلكوا طريقين. فأما[1] الفريق الذى قصد قلعة أيلة فانه قدّر ان يمنع اهلها من مورد الماء الذي به قوام الحياة، ويقاتلهم[2] بنار العطش المشبوب الشّباة[3]. وأما الفريق القاصد سواحل الحجاز واليمن فقدّر ان يمنع طريق الحاجّ عن حجه، ويمنع مجيب الدعوة ويصرفه عن نهجه، ويحول بينه وبين فجّه[4]، ويلّم بسواحل الحجاز فيستبيح والعياذ بالله المحارم، ويجيح[5] جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم. والله يعكس تقدير المقدّر اذا كان عاصيا، ويقرّب حتف الباغي وان كان موضع حتفه قاصيا[6].

وكان الأخ سيف الدين[7] بمصر أوعز بانشاء مراكب حربية لما علم خبر مراكب العدو الكافر، وانتخبها انتخاب المتخيّر ولم يحشدها حشد المكاثر، وفرقها على الفرقتين[8] وأمرها[9] بأن تطوى وراهم[10] الشقتين[11]. فأما السائرة إلى قلعة أيلة فانها انقضّت على مرابطي (منع)[12] الماء انقضاض الجوارح على بنات الماء، وقذفتها قذف شهب السماء مسترقي سمع الظلماء، وأخذت مراكب العدو برمتها، وقتلت اكثر مقاتلتها. وأما السائرة ٤٢ أ إلى بحر الحجاز/ فانها طلبت شوكة المراكب الحربية المتعرضة للمراكب الحجازية واليمنية، وقد أوغلت وغالت، ووصلت وصالت، وأخذت تجارا وأخافت[13] رفاقا، ودلها على عورات[14] البلاد من الأعراب من هو أشد كفرا ونفاقا[15]، فأوقعت بها المراكب الاسلامية أشد الايقاع، وقطعت طريق النجاه على الطرّاق القطّاع. وفرّ فرنجها بعد اسلام المراكب، وسلكوا في الجبال مهاوى المهالك ومعاطن المعاطب. وركب

---

(١) ششن، ص ٥٥ «وأما».

(٢) في الأصل «ونقاتلهم» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠ «ويقابلهم».

(٣) أنظر لسان العرب، مادة «شبا» جـ ١٤، ص ٤٢٠.

(٤) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠، «تجه».

(٥) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠ «يبيح».

(٦) ششن، ص ٥٥، «قاضيا».

(٧) أى الملك العادل أخي صلاح الدين.

(٨) ششن، ص ٥٥ «الفريقين» وبالأصل كما أثبتنا.

(٩) في الأصل «وأمرهم» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠.

(١٠) كذا في الأصل.

(١١) في الأصل «الشقين» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، ومفرج الكروب، جـ ١، ص ١٣٠.

(١٢) ما بين قوسين إضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠.

(١٣) في الأصل ولدى ششن، ص ٥٥ «وخافت» والتصحيح من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠.

(١٤) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧ وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٠ «غوارب».

(١٥) الإشارة إلى سورة التوبة، آية رقم «٩٧».

أصحابنا وراءهم خيل العرب يشلّونهم [1] شلاّ، ويقبضونهم [2] أسرا وقتلا. وما زالوا يتبعونهم خمسة أيام خيلاً ورجلاً نهاراً وليلاً، حتى لم يتركوا منهم [3] مخبّرا [4] ولم يبقوا لهم أثرا. وسيق الذين كفروا الى جهنم زُمَرا [5] وقيد منهم إلى مصر مائة وسبعون أسرا [6].

ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم [7] بدمشق بعد الملك معز الدين فرخشاه

لما وصل (إلينا) [8] بوفاة معز الدين النعي، فتر منّا إلى البلاد الشرقية السعي، وكنا عبرنا الفرات على قصد الرها، وقد دنت منا دارها ودرّها، تقدم [9] السلطان الى شمس الدين بن المقدم بالعود إلى دمشق أخذا بالاحوط الاحزم. ولقد كان بأسه للعدى دامغاً، ولباسه للهدى سابغاً/ وقلبه لشغل الاهتمام بمصالح الدين فارغاً، ورأيه في تدبير ٤٢ ب سداد الثغور وسداد الجمهور بالغاً. وهو أكبر الامراء المقدّمين، وأكرم الاكابر المكرمين، وله عرف بنشر العَرف يشيعه، وعسكر على البأساء والضراء يطيعه، وهو القرم [10] الذى لا يوجد قريعه، والقرن الذى لا يستقل في الوغى صريعه، وأمرني بانشاء منشوره وتحكيمه في احكام اوامره وأموره. ونسخة [11] المنشور:

الحمد لله ذى السلطان القاهر، والاحسان الظاهر، والبرهان الباهر، والامتنان الوافر، نحمده على إنعامه المتناصر المتواتر، وافضاله المتكاثف المتكاثر. ونسأله ان يصلي على سيدنا نبيّه محمد الطيّب الطاهر، وعلى آله وأصحابه ذوي المحامد والمكارم والمآثر والمفاخر وسلم تسليما كثيرا وبعد:

---

(١) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣١، «فشلوهم».
(٢) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧، «ويقتنصونهم» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣١ «واقتنصوهم».
(٣) في الأصل «عنهم» والتصحيح من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣١.
(٤) في الروضتين، جـ ٢، ص ٣٧ «خبرا».
(٥) الإشارة إلى سورة الزمر، آية رقم «٧١».
(٦) يحدث ابن جبير في رحلته عن عرض بعض هؤلاء الأسرى على الناس في الاسكندرية، كما يخبر عن توزيعهم على البلاد المصرية ليقتلوا فيها بعد التشهير بهم. أنظر رحلة ابن جبير، ص ٣٤ ـ ٣٥.
(٧) هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم من أكبر الأمراء الصلاحية قتل بعرفات سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٥٥٩ ـ ٥٦١، ابن خلكان، وفيات، جـ ٧، ص ٨٧.
(٨) الإضافة من السنا، ص ٢١٣.
(٩) ششن، ص ٥٦ «فتقدم».
(١٠) القرم: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. لسان العرب، مادة «قرم»، جـ ١٢، ص ٤٧٣.
(١١) أى منشور التقليد الذي تولى بموجبه الأمير شمس الدين مدينة دمشق.

فانا لما نرى من اجراء الأمور احسن مجاريها واعطاء قوس السياسة باريها، ونَظْم أمور المملكة بتقليد الكفاة الأكابر في سلك اتساقها، وضم نشر العساكر المنصورة بتفويض[1] أحكامها الى مطلع شمس النصر بعزائمه الماضية المضيئة من آفاق اشراقها،
٤٣ أ عولنا على المجلس السامي الشمسي اسماه الله في التقدم على عساكرنا المظفرة بدمشق/ وأعمالها المحروسة وقلّدناه امرهم وشددنا بقوته أزرهم، وأمرناهم ان يتصرفوا على حكمه، وأن يجروا على رسمه، وأن يركبوا بركوبه، ويهبوا بهبوبه، وينهضوا بنهوضه، وينزلوا بنزوله، ويحلّوا بحلوله، وأن ينزل مفردو دمشق في حلقته، ويخيّموا عند مضربه، ويجتمعوا للتصرف على امره في موكبه، ويصدروا عن آرائه، وينفذ أمره على جميع العسكر مقدّميه ومفرديه وأمرائه. وقد أمرناه بعرضهم وحفظ احوالهم والزامهم بعدّة اجنادهم وعدّة رجالهم، وأن لا يغيب أحد الا باذنه لعذر واضح، وان يكونوا محتاطين معه للرباط في الثغر المحروس لاجابة كل داع، والهبوب لكل صائح، آخذين للجهاد الأهب، حافظين في اتباع اشاراته وطاعته الادب، موقنين ان أمره أمرنا، وطاعته طاعتنا، وحكمه حكمنا، وارادته ارادتنا، وليسمعوا له ويطيعوه، وليأتمروا لما يأمر به ويسمعوه. وقد قلدناه أمر العرب جميعهم ليجمعهم إلى النُقرة المحروسة ويستدعي النازحين ويستدني قاصيهم ويستحضر حاضرهم وباديهم، ويكتب الامان للخائفين، ويحسن إلى المحسنين، ويأخذ على يد المفسدين ويؤلّف بين قلوبهم المتنافرة، ويخمد بهيبته وبأسه ما بينهم من نائرة الفتن الثائرة. وهو محكّم في جميع قبائل العرب وعشائرها وافخاذها وبطونها وعمائرها، وهو يتولاهم ويجريهم على معتادهم في رسمهم
٤٣ ب ومعيشتهم/ وعدادهم. ويرتب النّواب والشّحن من قبله على العادة الجارية، ويحملهم على السيرة الحسنة الراضية. ومن ينزل من العرب في بلد الفرنج فله انهاض العسكر اليه وشن الغارة عليه حتى يتنظموا في سلك الطاعة رغبة ورهبة، ويزيدوا من الخدمة قربا إذا زادوا طاعة وقربة. فليتولّ ذلك كله بأمر قاطع وبأس قامع للاعداء وازع، وعزم صادق صادع، وحشد لشمل[2] الكلمة الاسلامية جامع، وعذاب بالمشركين والمفسدين واقع، وعدل شامل لرعاية الرعية، وفصل راع قواعد العوائد المرعية المرضية، حاسماً بهيبته مواد الاطماع، مختصاً للمحسنين بالإحسان والاصطناع، كافا للمقطعين من ظلم أهل الضياع والأمراء من التّحيف على رجالهم في القرار والاقطاع. وسبيل الولاة والأمراء والأجناد والمفردين والاصحاب والاتباع مقابلة أمرنا في تلقي أمره بالامتثال والاتباع، فهو المطاع الامر بأمرنا المطاع، والمفوض إليه أمر العسكر والعرب في حالتي الافتراق

(١) ششن، ص ٥٦ «بتقويض» وهي مناقضة للسياق.

(٢) ششن، «أشمل»، ص ٥٧.

والاجتماع، والموثوق إصابة[1] رأيه السامي وبسالة عزمه الماضي في السلم والقراع، والمستضاء بأنوار ميامنه في ليالي الملمات المدلهمّات، والمقتدى[2] بآثاره المبّرات المبرات في كشف الظلامات والمظلمات، والمعتمد على مضاء مضاربه ونفاذ مراسمه في جر عساكر/ ٤٤ أ الاسلام وكتائبه إلى الغزوات.

ذكر مكرمة لمظفر الدين كُوكبُري[3] صاحب حران

لما وصل السلطان حران عند عبوره الفرات، وبعد تسليم الرُّها بلغ في إكرام مظفر الدين المنتهى المشتهى. وقام المذكور بما وجب عليه من حق الخدمة وشكر النعمة، واحتفل بنزولنا على بلده وسخا[4] لنا بسبده ولبده[5] وبذل مطرّفه ومتّلده، ولحبّنا في قلبه حبانا بما في يده، وذخر في يومه منا لغده. ومن غرائب رغائبه ومذهبات مذاهبه ومبتكرات مواهبه، انه نفّذ الي صاحبه بالطافه، ويعتذر عن القدر المنقود بوعد أضعافه، ويقول ها هنا بحران قرية من قراها وقد جعلها[6] برسم وفادتك لقراها[7]. ولم تزل هذه الضيعة المسماة ضرعاء باسم كاتب الموصل، وأنت أولى بها فأنت يمين الدولة وأجلّ كُتّابها. واستأذن السلطان في كتبها[8] لي ملكيّة شرعية ومبايعة معقودة مرعية. وأشهدت عليه وعليّ السلطان باجازتها وتفردت بحيازتها عشر سنين إلى آخر العهد السلطاني سقاه الله العهاد، وتسلّم أخوه الملك العادل البلاد فأبت النبوات وفجأت الجفوات، وشمل ذلك الشمل الشتات، وعرضت نوائب نوّابه/ بالاعراض وعادت مرائر[9] تلك الأمور ٤٤ ب إلى الانتقاض واقطع الملك وقطع السلك وليس هذا موضع ذكر هذه العدوى ولله الحمد واليه الشكوى.

ذكر ما أنعم به السلطان على ابن قرا أرسلان وشرح مقدمات ذلك

وفي هذه السنة ـ وهي سنة ثمان وسبعين ـ انعم السلطان على نور الدين

---

(١) ششن، ص ٥٨ «باصابة».

(٢) في الأصل «والمفتدى».

(٣) في السنا «كوكبري»، ص ٢١٤.

(٤) في الأصل «ولسحنا» والتصحيح من السنا، ص ٢١٤.

(٥) ساقطة لدى ششن، ص ٥٨ والمقصود بكل ما يملك، يقال فلان ماله سبد ولا لبد أي ماله قليل ولا كثير. أنظر لسان العرب مادة «سبد»، جـ ٣، ص ٢٠٢.

(٦) في السنا «وجعلت»، ص ٢١٤ وقد يكون الأصح «جعلتها».

(٧) ششن، ص ٥٨، «قراها».

(٨) ششن، ص ٥٨، «كتبه لي».

(٩) كذا في الأصل.

(محمد) [1] بن قرا ارسلان بالهيثم[2]، وكانت جارية في عمل الموصل، فلما تسلّمها جعلها من نصيبه الأجزل. وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي حين توجه إلى الموصل في أوائل سنة ست وستين عند وفاة أخيه (قطب الدين)[3] مودود وعد ابن قرا ارسلان بقلعة الهيثم، ثم سلمها إليه دون أعمالها[4] تحلّة ليمينه ووفاء بوعده لكرمه ودينه. ولمّا جاء لمساعدتنا في هذا العام خصه (السلطان)[5] عاجلاً بهذا الانعام، ثم وهب له قلعة الجديدة[6]، وهي من نصيبين قريبة ولاستصراخ من يدعو مجيبه.

وصف مدينة آمد

ووعده بفتح آمد لَهُ وينجّح[7] بتسليمها اليه[8] أمله، فقد كان أبوه فخر الدين قرا أرسلان درج [9] على حسرة حصرها، ولم يزل مهزوزا عليه نصل/ نصرها، وكان ٤٥ أ الرئيس علي بن نيسان مربياً[10] بحضانتها[11]، مرتباً لحصانتها، واثقاً بوثاقتها[12]، عالقاً بعلاقتها، آوياً إلى جبلها لعصمته، ثاوياً في حصنها بعصبته، حامياً بحمايته وحميّته، سامياً بعزّته في ذروته. وهو من امدته آمد السوداء وسودته، وما[13] لم يتعوده اسلافه من العلى عوّدته. ولم يزل منها للأبلق[14] الفرد راكباً ولكل[15] من يقاربه فيها مجانباً، متقيّداً من تحزمه بكل قيد، متأيّداً بتحرزه من كل كيد، محتمياً بسوره من السوء، مرتمياً من آمد في العلوّ إلى امد العتوّ[16]. ولم يزل باحكامها يضرب المثل، وفي تيسر

---

(١) الاضافة من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٨، ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٢.

(٢) الهيثم «موضع ما بين القاع وزبالة بطريق مكة» هكذا ذكر ياقوت، جـ ٢، ص ٤٢١ - ٤٢٢. ولا تبدو بينه وبين المراد هنا صلة إذ المراد قلعة الهيثم من أعمال الموصل. وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٣٨، «بأعمال الهيثم»، وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٢ «بأعمال قلعة الهيثم».

(٣) ما بين القوسين إضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٢.

(٤) الأصل «أعماله» والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٨ ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٢.

(٥) الإضافة من الروضتين، جـ ٢، ص ٣٨ ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٨.

(٦) كذا ضبطها ياقوت وتقع في كورة بين النهرين التي بين نصيبين والموصل، جـ ٢، ص ١١٥.

(٧) في الأصل: «وينجح».

(٨) في الأصل «اليها».

(٩) في الأصل «درح» ودرج: مات. لسان العرب. مادة «درج»، جـ٢ ص ٢٦٩.

(١٠) في السنا، ص ٢١٤ «مرتباً لحصانتها ومزيناً» وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٤ «أبا علي بن نيسان» أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٣ - ٤٩٤.

(١١) في الأصل «بحصانتها» وكذا لدى ششن، ص ٥٩.

(١٢) ششن، ص ٥٩ «بوثاقها».

(١٣) ساقطة لدى ششن، ص ٥٩.

(١٤) ششن، ص ٥٩ «لابلق».

(١٥) ششن، ص ٥٩ «وكل».

(١٦) ششن، ص ٦٠ «العيوق».

فتحها يحقق [1] الامل. وكم تحيّل قرا ارسلان في أخذها سرقة لما أعيّاه فتحها، وصالحها لعله ينتهز لها فرصة فما أرضاه صلحها، وتمنّاها فحالت المنيّة دون الأمنية، ونوى لها فكان عمله بقدر الله مخالف النيّة. وابن نيسان مرتبع في نيسان ربيعه [2]، مرتفع عن قراع قريعه، رابض بجنوحه، ريّض في جموحه، متغوّر في كهفه، متكهّف في غاره، آمن من النوازل والدوائر في منزله وداره، وهو متهوم في وجاره، متوهم من جاره، واقف حذاء حذاره، عاكف وراء جداره.

وكان لآمد أمير قديم يقال له ايكلدي[3] من أيام السلاطين القدماء، وولده [4] محمود شيخ كبير عنده[5] يطعمه ويسقيه ويدعي انه/من غلمانه ومصطنعيه، وانه يحفظ ٤٥ ب البلد له، وانه لا يغدر به ولا يؤثر بدله. واذا جاء رسول يحضره عند اميره ويسند ما يدبره إلى تدبيره ويقول: انه غلام وما معه كلام، ولا عليه فيما يجرى ملام [6]. وحافظ على سر هذه السريرة، وأمن باحتياطه من جور الجيرة، بل ما منهم الا من يخاف مكره ويحفظ منه طائره وفكره، وينكر عرفه ويعرف نكره، وكنت[7]عبرت في سنة خمس وستين بآمد وقد سيّرني الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي إلى خلاط رسولا في مهم ودفع ملم. واتفق نزولي بظاهر آمد بكرة جمعة وحسبت[8] صلاتها عليّ غير ممتنعه، فقيل لي تحتاج إلى استئذان الرئيس ورفع أحكام استيحاشه بأسباب التأنيس، وذلك يحتاج إلى مقدمات ونتائج ومواصلات ووشائج. فقلت: هذا عذر فقد ضاق الوقت ولا حاجة الى مقة[9] فيها المقت، فانا اذا تعرّفنا اليه اعتقد أنا نثقل عليه. ثم تقدمت الى غلماني بابتياع ما لا بد منه للطريق من الطعام والعليق، فقيل هذا ايضا مشروط باذن الرئيس. فأسرعت الرحيل إزالة للكربة بالتنفيس، وكذلك في هذه النوبة عبرت بميافارقين [10] وفارقتها ولم ادخلها، وفي العود جاوزتها ولم انزلها. فقدر الله بعد سنين في الدولة

---

(١) ششن، ص ٦٠ «يخفق».

(٢) ششن، ص ٦٠ «ربيه».

(٣) في الأصل «ايللدى» والتصحيح من السنا، ص ٢١٤ ومفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٤.

(٤) أى ابن ايكلدي أمير آمد الأصلي الذي خلفه ولده محمود.

(٥) المقصود هنا مسعود بن أبي علي بن نيسان الذي خلف والده واستولى على حكم آمد من أميرها الأصيل محمود بن ايكلدي. أنظر مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٦) العبارة أوضح لدى مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٤ فهي «ويظهر أن الملك لمحمود وإنما هو نائبه ويتصرف تحت امره ونهيه».

(٧) ششن «فكنت»، ص ٦٠ والأصل ما أوردنا.

(٨) في الأصل «وحيث» والسياق يقتضي التصحيح.

(٩) المقه: المحبة. لسان العرب مادة «مقه» جـ ١٣، ص ٥٤١.

(١٠) «أشهر مدينة بدياربكر» كذا قال عنها ياقوت، جـ ٥، ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

٤٦ أ الصلاحية اني دخلتها/ بالسيف وحللتها حلول المالك لا الضيف.

وانما شرحت هذه الحال استدلالاً بها على حزم ابن نيسان، وأنه قد بذل في صيانة المكان الإمكان. وتوفي وتولّى ابنه مسعود على رسم أبيه، وجرى على عادة تأبّيه، ولم يخطر ببال ملك من الملوك الطمع فيه حتى جاءت الايام الصلاحية، وصار ابن قرا ارسلان من أشياعها وتدين باتباعها وفرع يفاع ارتفاعها، واطمعته في إفتضاض[1] ابكار الفتوح وافتراعها[2]، وعرفته ان أمد آمد لا يبعد، وانها عن القيام بمساعدته فيها لا تقعد، وحلف السلطان له على هذا الوعد، وانه يحقق بعزّ عزمه في حقّه صدق القصدُ. وكان جمال الدين عيسى صاحب السويدا[3] مسايراً لي في الطريق ومذاكراً في جليل ودقيق. وفي جملة ما قاله وتعجب منه وأحاله: هذا سلطانكم يحلف على المستحيل، فان فتَحَ أمد مُمتنَع السبيل. فقلت له: سعادته من الله تذلل المصاعب وتسهّل المطالب وتبدي العجائب وتهدي الغرائب[4]. ولما خيّمنا بحرّان بعد العود من الموصل تقاضى ابن قرا أرسلان بانجاز عدته وإيجاد حدته[5]، وأذن في تفرّق العسكر للإستراحة، ووعده بتحقيق الوعد عند العود فيا بعد، واستمر على هذا العقد العهد الى أن وصل الخبر

٤٦ ب باجتماع شاه أرمن صاحب خلاط، وأنه اغتاظ للموصل/ واستشاط، وانه اتصل به صاحب الموصل عند ماردين، وأنه[6] خرجوا على نيّة أن يكونوا لنا طاردين وعلينا ماردين.

ذكر السبب في ذلك

كان عند نزولنا على الموصل وصلت رسل شاه أرمن فيها شافعين ولاسباب الحرب رافعين. ثم استتب الرحيل عنها اظهاراً لقبول الشفاعة الامامية، واعلانا بسر الطاعة الناصرية. ونزلنا على سنجار ووصل سيف الدين بكتمر[7] وهو أعز أصحاب شاه أرمن، وبذل للسلطان في الشفاعة في سنجار كل ما أمكن، فاشترطنا شرائط ما قبلها وكفّلناه في الوساطة أمورا استثقلها، فنفر سيف الدين بكتمر وسار مغيظا، وأبدى خلقا خشنا وقال

---

(١) في الأصل «اقتضاص».

(٢) في الأصل «واقتراعها».

(٣) بلدة في ديار مضر قرب حران. ياقوت، جـ ٣، ص ٢٨٦.

(٤) قبل هذه العبارة وضع ششن عنواناً كالتالي «ذكر اجتماع صاحب الموصل وشاه أرمن وحلفائهما». وهو غير موجود أصلاً، ص ٦١.

(٥) أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٦) ششن، ص ٦١ «وأنهم».

(٧) أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ٤٨٩، وفيات، جـ ٣، ص ٤٥٨، جـ ٥، ص ٢٠٦.

قولا غليظا، وقفل سرعة ولم يقبل خلعة، ومضى إلى صاحبه ونخّاه ونقله عما توقّاه إلى ما توخّاه وشاه أرمن ظهير الدين سكمان وهو خال صاحب ماردين قطب الدين ايلغازى بن آلبي بن تمرتاش[1] وهذا[2] ابن خال صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي[3]. وكتب اليه فاستدعاه فخرج واجتمع به وأتاه الياروقيّة وغيرهم من عسكر حلب في لجبة وجلبة، ونزلوا من ماردين إلى ضيعة يقال لها حرزم، ومطيّ قصدهم يرزم، ولجّهم ملتطم وفجّهم مزدحم، وجمرهم مضطرم، وجمعهم مقتحم، وموجهم/ ٤٧ أ عباب، وفوجهم ذبّاب، وشعابهم سائلة وذئابهم عاسلة، ورواسيهم سائرة وسواريهم ثائرة. والجبال تحملها الرياح والرماح تميلها المراح والصفاح، وللعراب باعراب صليلها وصهيلها فصاح، ولأشباح القرب من أشباه الشهب أرواح، وللسماء استتار وللارض افتضاح، ولنيران الحديد لمياه النجيع في الاحتراق اقتراح، والفلق بستور الفيلق مستور، ورقّ الخرق في ورق الخزق[4] من يراع الخط مسطور، وظلام العثير معثر وضياء الستور مُسفر، وللعجاج ارتتاج[5]، وللضجاج ارتجاج، ولسبائك السنابك طبع، ولترائك الاتراك لمع، ولاكدار الاكراد نقع، ولصخور الحوافر رض، ولبحور السوانح فيض، ولختام القتام بالفضاء فض، وسيلهم مرفضّ، وخيلهم لها في العرض طول وعرض. وصدى رعبهم متجاوب وصدا غربهم متناوب، والقباب مضروبة والقبّ مجنوبة والكفائن منتثلة، والضغائن مشتعلة، والعقود لازمة، والحقود جاحمة، والهمم هائمة، والقيامة قائمة، ونهار المعترك ليل معتكر، ولبريق البيض والسمر وقد مستعر وودق منهمر، وللجرد اجراء، وللطرد اطراء، وللعتاق انطلاق، وللرفاق اندلاق، ولأقمار البيض في سرار النقع محاق، ولشرار القدح من وقع الحوامي في السباق استباق، والسوابغ مفاضة، والسوابق مرتاضة، والمسرجات مشلولة والسريجيّات مسلولة/ ومعاقد الريث محلولة، ٤٧ ب وعين الشمس بإثمد الثرى مكحولة. وللسراحين سراح وللجماهير جماح. وضربوا خيامهم والهبوا ضرامهم، وأرهجوا وأوهجوا وأزعجوا وأججوا، ورفعوا صوتهم وصيتهم وشهروا مصاليتهم. وجاءنا خبرهم فلم نبديه اكتراثا ولم نظهر لصحته التياثا. وكتبنا الى أمرائنا الغائبين بقرب القوم المجانبين، فبادر الملك المظفر تقي الدين بالوصول الينا من حماة إلى حران في خمسة أيام، ووافانا بحد اهتمام وصدق اعتزام، وقال: قوموا بنا الى

---

(١) جاء في مفرج الكروب، ان صاحب ماردين هو ابن أخ ظهير الدين، جـ ٢، ص ١٣٣، ابن خلكان، وفيات، جـ ٥، ص ٢٠٧ . . ابن كرماس بن غازى بن ارتق.

(٢) ششن، ص ٦٢، «وهو».

(٣) لترجمته أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٥، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٧، الذهبي، العبر، جـ ٥، ص ٢٦٥، الحنبلي، الشذرات، جـ ٤، ص ٢٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ ٦، ص ١٣٦.

(٤) ششن «الحزق. . الخرق»، ص ٦٢.

(٥) ششن «ارتجاج»، ص ٦٢.

القوم فلا قعود بعد اليوم. فقلنا: انهم في كثرة ولا بأس بالاحتراس من عشرة، وهذا العشر المبارك من ذى الحجة، والنصر مع الصبر واضح المحجّة، فأبى إلا الرحيل موافقة[1] لرأى السلطان ومتابعة لأمره ومشايعة لسرور سرّه. وأقمنا حتى صلينا العيد واستقبلنا[2] الطالع السعيد، وقدمنا الازماع[3] وأجلنا الانساع[4]، وأسلنا الاودية، ونشرنا الالوية، وأطرنا[5] العقبان وأثرنا الاضغان، وسرنا بالأسود في غابها وبالبروق في سحابها وبالرعود في اصطخابها وبالبروق في[6] سحابها، وبالنصول في جعابها وبالدروع في عيابها[7]، وبالبحور في عبابها، وبالشموس في حجابها، وبالنجوم في نقابها، وبالاجال وكتابها، وبالجبال وهضابها، وبالخطوب وخطّابها، وبالكروب وركابها. وقدّمنا من

٤٨ أ الرعب جيشا وأبدينا من الحلم طيشا وأشعنا من العلم/ جهلاً وقطعنا إلى الحزن سهلا، وأجوينا الجوّ وأدوينا الدوّ[8]، وأضوينا الاضواء، وسوّينا لهم الاسواء، وهززنا أعطاف الظبى وأطراف القنا، وحللنا عقود الحبى[9] وقطعنا أسباب الونا، وعلونا الجَدد بعزائم صحيحة غير عليلة وتلونا (كم من فئة قليلة)[10] وجلونا بيدى الترك عرائس الهند، ورجونا لإشباع السباع الجياع من قرا الانجاد وقرى الاقران فرائس الأسد. ونزلنا برأس عين وعلينا لرؤسائها عيون في ذممهم لذمامنا عندهم ديون، فطار الخبر إلى القوم فطاروا شعاعاً وغرّبوا ولم نذرّ لما ذرّ من شموسهم شعاعا، وذلك يوم عرفة فتركوا الوقوف وعزفوا العزوف[11] ونفروا قبل يوم النفر ونحروا اضاحي جلدهم قبل النحر. وعاد الخلاطي إلى خلاطه باختلاطه، ورجع الموصلي إلى موصله لمواصلة احتياطه، واعتصم الماردىّ بحصنه المارد وهتكوا حرز حرزم للصادر والوارد، وهاب عسكر حلب العود اليها، ونحن على طريقه، فأذن جمعه بتفريقه، ومضى معظمهم إلى الموصل فعبر الفرات عند

---

(١) ششن «موافقة»، ص ٦٣.

(٢) «الواو» ساقطة لدى ششن، ص ٦٣.

(٣) الزمع: رذّال الناس واتباعهم جمع أزماع. لسان العرب، مادة «زمع»، جـ ٨، ص ١٤٣.

(٤) نسع: سير يضفر على هيئة النعال تشد به الرحال والجمع انساع ونسوع. والانساع ونُسُع الجبال. لسان العرب مادة «نسع» جـ ٨، ص ٣٥٢.

(٥) في الأصل «واظرنا».

(٦) عبارة «والبروق في سحابها» مكررة في الأصل.

(٧) العيبة: وعاء من أدم يكون فيها المتاع والجمع عياب وعيب. والعيبة: ما يجعل فيه الثياب. لسان العرب، مادة «عيب»، جـ ١، ص ٦٣٤.

(٨) الدوّ: الفلاة الواسعة. أنظر لسان العرب، مادة «دوا»، جـ ١٤، ص ٢٧٦.

(٩) ششن، ص ٦٤ «الحَبى» والحبى مفرد حبوه وهو الثوب الذي يحتبى به. لسان العرب، مادة «حبا»، جـ ١٤، ص ١٦١.

(١٠) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

(١١) في الأصل «وعرفوا العزوف»، أنظر ششن، ص ٦٤.

عانة [1]، ولم يجد ممن أعانه الإعانة، ونسفتهم ريحنا وهم جبال، وذهبوا بقلوب النساء وقد جاءوا وهم رجال. ووصل الينا خبرهم وما وعظت بهم عبرهم، وركد شرهم وخمد شررهم. ونحن في طريق القصد سائرون، وبأجنحة النجاح طائرون، ولـطلب الثأر/ ٤٨ ب ثائرون. فـأكملنا السير وأمّلنا الخير وقلنا قـد أخلى الشـاه رقعته ببيـادقه [2] وأفـراسه ورخاخه، وخاف وقوعه في الشرك بعد نصب فخاخه، واستصرخ صـاحب الموصـل به فلم يظفر بإصراخه [3]، وصدر إلى كدر بعد ورد نقـاخه، ولا يحمـد العاقبـة شاب استبد برأيه ولم يصغ إلى نصائح أشياخه. فـان مجاهـد الدين قـايماز مـا زال يشير عليـه بالثبات ويحذّره مخاوف الزلاّت ومواقف العثرات، وعرف بنـور فراستـه عواقب الحـال ومغبّة الاستعجال. ولما نزلنا في منزلة القوم، وملأنا بتوافي اثقالنـا إلى آخر النهـار طرف اليوم، لم نسمع لهم خبرا ولم نعاين منهم أثرا.

وصف القصر القطبي بحرزم

وهناك بحرزم لصاحب ماردين قصر مشيّد مزيّن ما على حسنه مزيد، كان له في فروجه تفرّج، وفي مروجه تمرّج، وفي أرجـائه تـأرّج، وفي بروجـه تبلّج، وفي مدارجـه دروج، وفي معارجه عروج، يخلو فيه بخلاّنه، ويندّ اليه مع ندمائه، وقد زوّقه وصوّره وسوّره ونمّقه ونـوّره، وخالـه جنة تجـرى من تحتها الأنهار، وتتـرنم من فوقهـا الاطيار، وتترنح من حولها الاشجار، وتتنفّس بسحرها أنفاس الاسحار، وتشرق في آفـاقها زهـر الازهار ويشوق/ بها البهار، ويروق نور النوّار، ويرق غرار العرار. ومـا أعطر وأطيب ٤٩ أ صَبَا صباحه، وأسفر وأعجب رواء رواحه وأضوع ريّا [4] رياحينـه وأضوأ دار دارينـه، فلنوافحه نوافج [5] ولمباهجه مباهج ولبلابله بلابل ولبابليته من شمول شمائله بابل. وفي عقر داره درّ العقار، ولهزاهز اهتزازه زهازه الهزار، ومناطه جاوز مناطق الجوزاء، وأرضه منبت سماك السماء، وما أغنى الرياضة بـرياضـه الغنّاء، فـأبقيناه بـأسّه الأثـير الأثيل، وحسنه الجلي الجليل، واشفقنا على نبته الاثيث، وعصمنا عمارتـه من التشعيث. وأقام فيه تاج الملوك أخو السلطان برسم التنزّه ووكل بحفظه عن التنبّه، وصنّاه بأسباب التكرم من احكام التكرّه.

---

(١) بلد بين الرقه وهيت من أعمال الجزيرة. ياقوت، جـ ٤، ص ٧٢.

(٢) في الأصل «ببياذقه».

(٣) في الأصل «باصراحه».

(٤) كتب في الهامش بخط مختلف «رياح رياحين».

(٥) أنظر لسان العرب، مادة «نفج»، جـ ٢، ص ٣٨١ - ٣٨٢.

فصل من الإنشاء الفاضلي من كتاب الى
الديوان العزيز النبوى في المعنى مثّله لي فكتبته

اجتمع المواصلة وشاه أرمن وصاحب ماردين ودولة[1] شاه صاحب أرزن[2] وبدليس[3] وغيرهم على قصد الخادم حين ظنوا أنه تفلل من عسكره، وندب الى الكفار من امرائه من اكتفى في مغيبه / بمحضره، وقدّروا انه يتم لهم اغتراره، ويمكنهم غواره، أو يتناصرون عليه قبل ان تجتمع أنصاره. ونزلوا تحت الجبل، فلما صح لهم قصد الخادم ظنّوا انه واقع بهم، فأجدّوا عنه الفرار بقوة وذكروا ما في لقائه من عوائد عندهم مخوفة وعنده مرجّوه، وسار كل فريق على طريق بنيّة عدو وفعل صديق، معتقلاً ما لا يهتز ولا يعتز، ومتقلداً ما لا يرقى ولا يريق، واعدي أنفسهم بجمع ليس فيه تبشير ولا تيسير، وان كان فما هو جمع سلامة بل هو جمع تكسير.

٤٩ ب

ذكر المسير إلى آمد والنزول عليها وفتحها
وتيسير المقاصد وأسباب نجحها. وكان النزول عليها
يوم الأربعاء سابع عشر ذى الحجة وفتحها
يوم الاحد في العشر الاول من المحرم

ولما أحمدنا المقاصد وقصدنا المحامد اغتنمنا القرب من آمد، فقلنا ننجز لنور الدين بقصدها المواعد، ونصفّي له بها الموارد. وكنا لما رجعنا عن الموصل اظهاراً لقبول الشفاعة ودخولاً فيما يلزمنا للديوان العزيز من الطاعة، كتبنا نطلب الاذن في قصد آمد بتقليد / إمامي نجعله إمامنا، فوصل التقليد بملكها والاذن في فتحها ونظمها من الممالك في سلكها. فقوي العزم وروي الحزم وتحقق بالصدق القصد الجزم، ولكن سبق لنور الدين بن قرا أرسلان بها الوعد الحتم، فراى السلطان بحكم كرمه أن وعده يتم، وما زالت قلوب اهلها صادية إلى وردنا، والسنتهم صادحة بحمدنا، فتصدينا لها لنوضح بالرى منهج منهلها، ونحل بالفتح معقد معقلها ونذهب بتوريد خدود البيض سوداء سودائها، ونزيل باحسان سؤددنا سودانها، ونضعف جلد بلدها، ونقوى بملكنا لها أيد يدها، ونعتقها من الرق النيساني، ونوثقها بالحق السلطاني. فأعدنا إلى الشام من أكابر

٥٠ أ

---

(١) ششن، ص ٦٤ «دولت» وهو فخر الدين دولة شاه بن طوغان. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٩.

(٢) مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحي أرمينية، أنظر ياقوت، جـ ١، ص ١٥٠.

(٣) وهي أيضاً من نواحي أرمينية قرب خلاط، ياقوت، جـ ١، ص ٣٥٨.

أمرائنا من يسد الثغور ويسدد الامور، وتوجهنا في ايام التشريق وتأييد الله معنا في الطريق، وجزنا على قلعة البارعيّة[1] فتلقانا بالبرّ ألبّاء[2] الرعية. وما اعترضنا بلدا ولا عارضنا[3] أحدا، ولا قصدنا ضيعة ولا أضعنا مقصدا، ولا رددنا ذمة ولا ذممنا موردا. ونزلنا على آمد يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة بالغي الحجّة، واضحي المحجّة، في كل مدجج في الفارسي المسرّد، وكل مفرح ضيّق المأزق بالمشرفي المهنّد، وكل باسل للرديني معتقل، وكل باسر بالسريجيّ مشتمل، وكل عابس بجنى مرّ الموت باشر، وكل فارس بسنا السنور/ سافر، وكل أمير على الملك أمين، وكل قرن للبأس قرين، وكل ذَمِر حامي الذِّمار سامي المنار ماضي الغرار، ثائر للطلب طالب للثأر، وكل شجاع أشاجعه لقبض القضب، وكل خطير خواطره لعض[4] العضب، وكل كبير متكبر على ذي العلو، وأسد متنمر على ذي العتوّ، وكل ليث ذي لوثه[5]، وكل ذي حداثة راغب في حسن احدوثه، وكل رئبال ذي بال وعاسل بعسّال ومستليم بلام ومصمم بصمصام وحاسم بحسام وسامٍ بمحاسن وسام أو صافٌ بمزاين أوصاف وكاف بكرم عارض وكاف. ومعنا رجال الى الموت عجال، لهم الى رحاب الحضور وحلاب الحضر مجال. ومنا من جاء بمنجنيق ما معه منجا نيق[6]، ولا وثوق معه لكل ركن وثيق ومن عرا بعرّادة وبالشر شرّاده سراده، وبالحجر طرّاده جرّاده، وكل زيارٍ زيارته بخروج الروح، والجروخ المرديات الجروح. وكان معنا منجنيق هائل، بسيولِ الحجارة سائل يقال له «المفتش»، لأن حجره يدور في الزوايا بدوائر المنايا ويشوش، فنصبت المجانيق وجمعت منها التفاريق، وحلبت من افواقها الافاويق[7]، وشدّت حبالها ورُفعت جبالها، واشتدت رجالها، ونضدت ستائرها، واعضدت أوائلها وأواخرها، وانتظمت سقوفها وجزمت/ أفعالها حروفها، وشمخت أنوفها وسمحت حتوفها وما سمجت زحوفها. ورأينا الحجارين بالمراح جارين، والعتّالين بالاثقال لتلك التلاع تالين، والخراسانية للجفاتي الجفاة حاملين، وللعدوى على العداة عاملين. وشرعنا في أدوات الحصر، وحصر أدواته واستجادة أنواعه واستجداء انوائه، واشتغل الجمع واشتعل الجمر، واستمر الامر ووقع بالحجر على البلد الحجر.

٥٠ ب

٥١ أ

---

(١) أنظر ابن الأثير، جـ ١١، ص ٤٩٣، جـ ١٢، ص ١٧٩.

(٢) السنا «البار»، ص ٢١٨، وهي تصحيف.

(٣) سقط من ششن، ص ٦٧ «بلداً ولا عارضنا».

(٤) ششن، «لبعض»، ص ٦٧.

(٥) ششن، ص ٦٧ «لونه».

(٦) النيق: ارفع موضع في الجبل وقيل: النيق الطويل من الجبال. لسان العرب، مادة «نيق»، جـ ١٠، ص ٣٦٤.

(٧) الأفاويق: ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة. لسان العرب، مادة «فوق»، جـ ١٠، ص ٣١٧.

فصل من كتاب انشأته إلى صدر الدين شيخ الشيوخ ببغداد عن السلطان في شرح اجتماع الجموع واحتشاد الحشود ورعبهم منا واندفاعهم عنا ومسيرنا إلى آمد ونزولنا عليها

قد عسلت ذئابهم ونسلت دبابهم وطنّوا[1] في لوح الهجير ووطّنوا أنفسهم على التشمير، وتحركت رجل دباهم للدبيب وقمشت يد حاطب ليلهم وجالب خيلهم ورجلهم من البعيد والقريب، وتواثبت أفاعيهم وتجاوبت في إطلال عواديهم اصداء دعاويهم، وحكّموا آراءهم المخدوعة ولم يعلموا أن شهود نصالها[2] تجرح بيّنة دعاويهم.

٥١ ب ولما عرفنا انهم يجولون/ في مكر المكر ويلوبون حول غدير الغدر وقد صاروا بالغيّ بالغي أمد البغي، ويكيدون وما قيّد منهم كيد كيدهم قدم السعي. وحققنا انهم وهموا وهمّوا، ولما كرّوا مع نقصهم حسبوا أنهم قد تمّوا، استدعينا ولدنا تقي الدين، فسار من حماة إلى حران في خمسة أيام، وقدم مسرعاً لمقام الاقدام ولم ننتظر اجتماع جميع العساكر واستغنينا بوصول اوائلها عن لحاق الاواخر. ولم نرتقب وصول ناصر الدين ولا حضور من غاب الى دمشق وغيرها من الاجناد، ولم نحتج بحمد الله إلى الحشد والجمع للانجاد، فان الله تعالى ثبّت قلوبنا ثقة بنصره، وعوّدنا مزيد النعمة بمزيد شكره. وأيقنا ان الحق يقوّينا والباطل يصعفهم، وأن قصدنا الصالح يؤمننا، والنية الفاسدة تخوّفهم. وحين علمنا باجتماعهم صمّمنا العزم على فلّ جمعهم وخرق اجماعهم[3]، أشرعت نحوهم الأسنّة، وأسرعت اليهم الأعنّة. ولولا أن العيد قد أقبل والعسر[4] بسناه تهلل لكان في العزم ان نبادر ونفرّق تلك العساكر. فأجرانا الله على سنه نبيّه ﷺ في النصر بالرعب، وفرّوا على البعد قبل أن تظهر لهم مستودعات القُرُب على القُرب، وكانوا قد تشاوروا بينهم في ضرب المصاف فلم يوافق بعضهم بعضا، ولم يجدوا لقصورهم وعجزهم في انفسهم

٥٢ أ إقداما ولا نهضا. وعاد الموصلي إلى موصله/ والمارديني إلى معقله، ومضى كل يجر ذيل خجله، ويستتر بليل وجله، ويراسل معتذرا من نيّته التي ما اعانه الله بفعلها، وراجعاً عن سوء عقيدته التي سعادته في أن يوفّق لحلّها. وقد كنا قضينا سنّتي العيد من الصلوة والنحر، ورحلنا على أن ظنّ القوم مقيمون على الحشد والحشر. فلما وصلنا إلى رأس عين عرفنا فرقهم وتفرقهم وتبددهم في مهب دبور الادبار وتمزقهم، وكانوا تحققوا أنّا نصلّي يوم العيد ونرحل فرحلوا يوم عرفة ونفروا قبل يوم النفر، ولقوا في ليل ذعرهم يوم

---

(١) طنوا: صخبوا. أنظر لسان العرب، مادة «طنن» جـ١٣، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) ششن، «نصالهم»، ص ٦٨.

(٣) ششن، «اجتماعهم»، ص ٦٩.

(٤) ششن، ص ٦٩، «والعشر».

الحشر، وطاروا شعاعا وصاروا من ارتياعهم بعد أن انتحلوا الملك رعاعا، ورجعوا الى مراكزهم سراعا وغدوا[1] سباعا فعادوا ضباعا، وأخطأوا سعة الكر فقدّموا للفرار خطى وساعا. والحمد لله الذي هزم أولئك الاحزاب ونصر منا الآراء وانجح الآراب.

وحاصل الامر ان القوم لما افترقنا اجتمعوا ولم يُقدموا لما اجتمعوا، وعرفوا اقدامنا تفرقوا، وقد كانوا حققوا في انفسهم المعاودة، وأخلفوا المواعدة، وهابوا المقاربة، فتعجّلوا المباعدة. ورأينا اعادة ولدنا تقي الدين إلى الشام، ليكون بصدد حفظ ثغور الاسلام. وكان عسكر حلب مع المواصلة فانفصل عنها راجعا وجدّ في السير مسارعا، وعلموا انهم لا يجدون إلى النجاة سبيلا، ولا يصادفون ان عثروا مُقيلا، وان اقاموا مقيلا فنفروا من المخافة نفور/ عانة الى عانه، وعدموا من عسكر الموصل في اسعادهم الإعانة، ٥٢ ب ولو ساقوا إلى الخابور، وسبقوا إلى العبور، لم يحتاجوا إلى جوب الشهباء ولم يتخذوا الليل جملا تحت الظلماء. وربما صادفهم تقي الدين في طريقه وأيده الله بتأييده وتوفيقه. وكما أن الرعب يطردهم ويشلّهم فإن البغي يقيّدهم ويغلّهم. وان فساد الحلبيين[2] قد تفاقم شره وفدح ضرّه لقطع الطريق وإخافة السبيل ولا بد ان يلقوا عاقبة وبال امرهم الوبي الوبيل. ولما فرّغ الله منّا البال «وكفى الله المؤمنين القتال»[3]، وكان أمر آمد من المهام سرنا اليها ونزلنا عليها يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة والله يمنّ بالنصر الواضح المحجّة.

فصل من مكاتبة أخرى

علموا بما نحن عليه من العزيمة، فشرعوا قبل اللقاء في الهزيمة، ونفروا ليلة عرفة قبل النفر، ونحروا قرابين جلدهم قبل النحر، وعادت عشرات الوفهم إلى الآحاد قبل انقضاء العشر، ولقوا الوهل في ليل قرارهم هول يوم الحشر، ففروا[4] وما قرّوا وامتاروا زاد الذل ومرّوا. ووصلنا الى آمد سابع عشر ذى الحجة بالغي الحجة[5] واضحي المحجّة[6]، وقد قرب بحمد الله فتحها ودنا الآمال نجحها/، لا زالت سعادة الاخ ٥٣ أ مقمراً ليلها مسفراً صبحها.

ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة والعسكر السلطاني للنصر في حصر آمد آمل،

---

(١) في الأصل «وعدّوا» والسياق اقتضى التصحيح.

(٢) ششن «الحلبتين»، ص ٧٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية رقم (٢٥).

(٤) ششن «فقروا»، ص ٧٠.

(٥) في الأصل «المحجة».

(٦) ششن، «الحجة»، ص ٧٠.

والشمل جامع والجمع شامل، والشغل شاغل وضفّ[1] الظفر واغل، ونص النصر نازل وجدّ جدّنا بالعدو هازىء هازل، والعز الذى هو الينا عازٍ لعزّ من لم يعتز بولايتنا عازل. وكان الفتح قد تسنّى والمنح قد تهنّى ولكني أصف ما جرى من قبل وكيف وضحت في مرادنا السبل. فانا لما وصلنا الى آمد صدقنا القتال وحققنا النزال ونور الدين محمد بن قرا أرسلان بمقامنا ملتزم وبذمامنا معتصم، وبعقدنا متمسك، ولعهدنا متدّرك، وبملكنا متملك، والى حركتنا ساكن ولسكوننا متحرك، وبجناحنا طائر والى نجاحنا ناظر، وبشريعتنا قوىّ ومن شرعتنا رويّ وفي رياضنا سارح، ومن حياضنا ماتح[2]، وبزنتنا راجح، وبزينتنا باجح[3]، وبالاعتزاء[4] الينا ذو اعتزاز، ومعاطف حبوره بمواقف حضورنا ذات إهتزاز، وقد أمن في الايعاز[5] السلطاني بغناه كل إعواز[6]، وبنزولنا على

٥٣ب مراده ونزالنا لمراده نوازل/ الليالي عليه غير نوار[7]، وما صدّق ان الفتح يحصل، وأن النجح يكمل فان اسلافه اسلفوه الاعمار، وأقاموا لهم لتعذّره الاعذار، وأطالوا مع الصبر الحصار، وأداموا لتنظّره وتيسّره الانتظار، وأسفر غناهم بافلاس، وابلاؤهم العذر بابلاس، وحصل رجاؤهم على يأس، وقال هذا يصعب ويتعب ولا يُشكى ولا يُعتِبْ.

ذكر تفرّد السلطان بفتح آمد من غير مشاركة أحد ووصف عاداتنا وعاداتهم ومقاماتنا ومقاماتهم

وكنا اذا شددنا[8] القتال وردّدنا النزال وقفوا بمعزل وقوف النظّارة، وحسبوا أن الخسارة في الجسارة، وكنا نعذرهم فان أهل ديار بكر لا تجربة لهم بتجربة الحرب في مضمار ولا اصحار لحصار، وانما ألفوا مداناة الدّنان ومعاقرة العقار، وأنين الاوتار، وحنين الاوطار، ونعرات الصنج، وغمزات الغنج، ورموز الزمور وبدور الخدور وأقمار القصور وشموس الندام وكؤوس المدام وهتك المشيز[9] وسبك الابريز، وقدح زناد

٥٤أ الفرح بالقدح، وملك قياد المرح بالمنح ومزج الصرف لصرف[10] المزاج/إلى الاستقامة،

---

(١) ششن، «ضيف»، ص ٧٠، أنظر لسان العرب مادة ضفف ج ٩ ص ٢٠٦.
(٢) الماتح. المستقي. لسان العرب، مادة «متح»، جـ٢، ص ٥٨٨.
(٣) باجح: فرح. أنظر لسان العرب، مادة «بجح»، جـ٢، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.
(٤) ششن، ص ٧١ «الاعتزاز».
(٥) ششن، ص ٧١ «الايعان».
(٦) ششن، ص ٧١ «اعوان».
(٧) النوار: النّفر من الظباء والوحش وغيرها. أنظر لسان العرب، مادة «نور»، جـ ٥، ص ٢٤٤.
(٨) في الأصل «أشددنا».
(٩) ششن، ص ٧١ «الشيز». أنظر لسان العرب «مادة» شاز و «شيز»، جـ ٥، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١، ٣٦٣.
(١٠) ساقطة لدى ششن، ص ٧٢.

والهمّ بالمزاح للهم (1) المزاح للمدامة، وقبض روح الدنّ لاحياء جسم الكأس، وتفريغ الاكياس لشغل الكياس ورقص الأحباب على (2) ارتقاص الحبـاب، وإطراء الاغـاريد لإغراء الاطراب، وممازجة القرقف(3)، ومغانجة الأهيف، ومعانقة المهفهف، ومعالقة المشنّف، وقهقهة الابريق لبكاء الراووق(4)، وزهزهة الـرفيق لذكـاء الشروق، ورشف الـظلم والشنب(5)، وكشف اللّثم والنقب، ولثم الخـدود، وثلم الحـدود، ورشفـات القبل، ورشقات المقل وشفاء الألم بلمى الشفاه وبشاعة الحلم، ولذاذه السفاه، وحلاوة العتاب والاعتاب، وطلاوة الطلى لذوى الطلاب، وتحريك العود وتحريق العود، وتمايل الاعـطاف وتثاقـل الارداف، وجنّات الـورد وورد الوجنـات، وعمـرات الجـوى لجـور العمرات، وأوقات الغبوق والصبوح، وأقوات القلب والروح. وتقبل الاعذار من تبقّل العذار، وكسر القلوب بعيون الانكسـار، واضناء المحبـين من ضني حضور الحبـايب، واجناء المتيمين من جنى ثغور الكواعب، وسهـام اللواحظ من قسيّ الحواجب، وبيض الجفون من جفون البيض، ومرض الناظر الى الناظر المريض، وأوارة السلاف الى انارة السوالف، وإنالة العواطف بإمالـة المعاطف، ونشـوة الصاحي لصحـوة المنتشي، وهيئة المجتري/ في هيبة المختشي، ونشاط اللحظ الفاتر في المستشاط العضب الباتر، والميلان ٥٤ ب إلى مائلات القدود، والجولان مع جائـلات العقود والـوفاء لنـاقضات العهـود والوفـاق لمخالفات الوعود، وأسفار صباح السوافر الصباح، ومراد المراد لمراح المراح، واعتام ليالي الاصداغ واغتنام أيام الفراغ(6)، ومناغاة الغواني، ومناجـاة الاغاني، ومقـاناة القنـاني، ومعاناة المعاني، ومغاناة المثالث والمثانى، ومجاذبـة قياد القيـان، ومطايبـة مجاني المجـان، ومناقشة حساب الحسان، ومناقلة خوان الاخوان، ومنافثة النافثـات في العقد، ومحـادثة الباسمات بالبرد، ومباحثة المستدِلّات بالدلال، ومباعثة المستملّات من الملال، ومناظرة الناظرات بالكحل، ومحاضرة الحاضرات بالخجل، ومواقحة الحيّيـة للعياء، ومفـاضحة العيّية للحياء، ومناهبة لدات اللذات، ومنابهة(7) سنات الحسنات بالسيّئـات، ومجالس عادات السعادات، ومغارس شجرات الحجرات، ونفحات الصبا ولفحات الصبابات، ونسمات الطيب ونغمات العندليب، ومسامرة السمر، ومخامـرة ذوات الخمر ونشـوات المسار ونشآت المبار، وأريحيات السقاة وتحيات الرقاة وتضجّـر الشرب وتفـرّج الكرب،

---

(1) «للهم المزاح» ساقطة لدى ششن، ص ٧٢.

(2) ساقطة لدى ششن، ص ٧٢.

(3) القرقف: الخمر. لسان العرب، مادة «قرقف»، جـ ٩، ص ٢٨٢.

(4) الراووق: المصفاة، وربما سموا الباطية راووقا. أنظر لسان العرب، مادة «روق»، جـ ١٠، ص ١٣٤.

(5) ششن، ص ٧٨ «الشنف».

(6) في الأصل «الفراع» والسياق يقتضي التصحيح.

(7) ششن «مناهبة»، ص ٧٢.

٥٥أ وشهود الحانات، ودعاوى النايات، والمبادىء والغايات، / والراح والراحات، واستبطاء القهوة للانتشاء، وامتطاء صهوة الصهباء، والجمع بين الماء والنار والظلم والانوار، والجفن والغرار، والخلخال والسوار، والاطواق والازرار والشموس والاقمار واليمين واليسار والربح والخسار، والخمر والخمار والسيل والقرار والليل والاستقرار والنهب والغوار والخط والعذار والسر والجهار والانكار والاقرار[١] والعون والابكار والاضمار والاظهار والاعلان والاسرار والزهر والازهار. فهؤلاء الذين ألفوا الراح والراحة، واعتادوا في بحر الطرب السباحة، كيف يصح اعتزاء اعتزامهم وتثبّت اقدام اقدامهم، وكيف يطلبون متاع المتاعب، ويركبون مطا المطالب، وأنى يهيجون[٢] الى الهياج، ويتعرضون عن مدامة الزجاجة بمدمية الزجاج[٣]، فاذا عاينوا الكريهة كرهوها، ومن حقهم أن يشنؤها ولا يشتهوها، وأين ذووا الحُميّا من ذوى الحميّة، ولاثِموا المراشف من ثالمي المشرفيّة، ومعتقلوا القنا من معتقدي القينة، ومقدّمي المنيّة من مقدّمي المُنية، ومنتضوا البيض من مقتضي البيض، وأصحاء العزائم من مرضي اللّحظ المريض، وأرباب الحجى من ربات الحجال وموسعوا المجال من موشّعي الجمال ومعانقوا الكعوب

٥٥ب من معانقي الكعاب ومقابلوا الثغور من مقبّلي/ الثغور، ومقصدوا المرّان في النحور من قاصدى رمان النحور[٤]، ومصبّحوا المعارك من معاركي الصباح، ومقوّموا الرماح من مقيمي المراح، ومطيّفوا الصفاح من مطيفي الصحاف، وملاحفوا المؤازرة من مزاورى اللّحاف. وكنا لأجلهم عالمين، ولقتلهم[٥] حالمين، ولآرائهم قاضين، وفي آرابهم ماضين، وباقتراحهم راضين، ولجماحهم مرتاضين. لا نكلفهم ما لا يتكلفون ولا نستسعفهم الذى به لا يسعفون ويرقبون ولا يقربون، ويجذبنا ينجذبون. والسلطان مجد لجدّه مجد لمجده رائع لباسه باسل في روعه، طائع لربه وقد رباه الرب على طوعه. وصبرنا وصابرنا وحصرنا وحاصرنا وأمطرنا المحصورين حجارة لم يجدوا بالاسوار من اسوائها اجارة. وخلا ما حواليها من حام، وما رام الاشراف على شراريفها رام، فصبحناهم يوماً بالسلاليم، وطمعنا منهم في التسلّي من[٦] البلد بالتسليم، وصعد فيها الرجال وجالت في قلوب الخصوم الاوجال وملك أصحابنا بين السورين قطعة من الفصيل، وتعمدوا عقد بنيانها بالتحليل، وتطرفوا[٧] فيها فاذا هي ممدودة السبيل فانهم

---

(١) العبارة «والنهب. . . والاقرار» ساقطة من شبشن ص ٧٣.

(٢) ششن، ص ٧٣ «يهجون».

(٣) جمع زج الرمح بالكسر. أنظر لسان العرب، مادة «زجج»، جـ ٢، ص ٢٨٦.

(٤) ششن، ص ٧٣، «البحور».

(٥) ششن «لقتالهم»، ص ٧٣.

(٦) ششن «عن»، ص ٧٤.

(٧) ششن «وتطرقوا»، ص ٧٤.

قطعوا من الجانبين في العرض بسورين، فشرعوا في النقب ومعاناة الصعب، وخطاب الخطب وتقديم أسباب الرعب، وابلاء الخرب واصلاء الحرب، واذكاء/ الكرب، ٥٦أ واستحلاء طعم الطعن وضرب الضرب. وابن نيسان في البلد جلد على الجلد، باذل في صونه المطّرف والمتّلد، يحمي بالمغاوير ويرمي بالقوارير، ويسعر بالمساعير ويسخوا بالدنانير، ويقصد المنجنيق بالحريق ويرسل الفرق إلى الفريق ويتوسل في الجمع بالتفريق ويصمي بالجروخ، ويباشر العقود بالفسوخ، وقد جمع الرجال وفرق الاموال، وحرض الكماة وحض الرماة وانهض الحماة. وكم أخذنا نقوبا في الفصيل قبل الطلوع فحرقوها، ونصبنا آلات قبل الالتزام بالشروع فأحرقوها، ونظمنا ستائر فمزقوها، وظنوا أننا نكلّ ونملّ، وبعد شدّنا العقد ننحلّ، فألفوا كل يوم جدّنا جديدا وحدّنا حديدا وشدّنا شديدا، والمبدأ قبل الغاية مبيدا، ووجدوا من بأسنا عليهم مزيدا. وكتبنا في اعداد من النشّاب فصولاً للارغاب[1] والارهاب. نعدهم تارة ونتوعدهم، ونهديهم مرة ونتهددهم[2]، ونقول لهم اكفونا معديتكم وكفّوا ايديكم فانا ان ملكناكم وأنتم مصرّون اهلكناكم والا اعطيناكم سؤالكم وملكناكم. وان ملتم الينا موّلناكم ونوّلناكم وعوّلنا عليكم وعلّيناكم. ففترت عنه[3] مساعدة اهل المدينة وحصلوا منا على الوثوق والسكينة وعادوا الى طباعهم المستكينة وقد كانوا تضجروا بولاية/ ابن نيسان، وعَدِموا العدل ٥٦ب وألفوا العدوان، فتقاصروا عن الاستطالة، وسرعوا معه في الاستقالة، واشتط عليه أيضاً أصحابه واشترطوا، وتقبّضوا عنه وعليه انبسطوا، فبدا له وجه الخذلان وخط الحرمان وخلل الخلان وخيانة الاخوان وجبن الغلمان وخطاب الخطوب وحديث الحدثات، وان صرف القدر صرف عن يد قدرته زمام الزمان، فعرف ان سلامته في السلم اذا عزّ[4] الاذعان، وانه لا بقاء مع أنواع البلاء بلا نصرة الاعوان، فأرسل في الاستعطاف والاستلطاف والاستشفاع والاستسعاف قبل طلب الامان.

ذكر شرح الحال في ذلك

وأصبحنا بعض الايام بصدق الاهتمام وحدّ الاعتزام وفرض الالتزام ومواضع النقب يخشى عليها من الانهدام، والعمل منته الى التمام والأمل متجه إلى نُجح المرام، اذ خرج نسوة من المدينة ذوات جاهٍ وقدر، قد اخرجن وأخرجن من أعز خدر قاصرات تكاثفت حجبهن[5] في القصور سافرات في بروجهنّ لم تبرز وجوهها نُقبها عن السفور،

(١) في الأصل «للارعاب».

(٢) ششن «نهددهم»، ص ٧٤.

(٣) المقصود هنا ابن نيسان صاحب آمد.

(٤) ششن «عن»، ص ٧٥.

(٥) ششن، «حجهن»، ص ٧٥.

مقصورات محصورات تحت الحجر في حجرات محتجرات، بجلابيب الخفر معتجرات، ٥٧أ لا عهد لاقمارهّن بالتبرج من البروج/، ولم يحوجهن الا صرف الزمان الجافي إلى الخروج، وما جررن في ثرى الاثراء الا ذيل الافتخار، وما أبصرن في يوم الغنى ليل افتقار، ولم تطف بنارهن فراش ولم يطو الا لصونهن فراش، ساجيات في السجف، مكتنفات بالانف، مؤتنفات في الكُنُف، معتصمات بالذمم، مبتسمات بالعصم، موصوفات بالتطهر، معروفات بالتستر، آنسات[1] بالاستيحاش من الناس، لابسات ملابس الاحتراز والاحتراس، لم يقلع عن شموسهن السحاب، ولم يرفع عن حجالهن الحجاب، ولم يرشف كلامهنّ سمع ولم يكشف ظلامهن[2] سمع، ولم يعرف بضرامهن لمع، ولم يهتف بغرامهن دمع، ولم يطرق كراهن طيف، ولم يطلب قراهن ضيف، ولم يذو ربيعهن صيف، ولم يثوربعهن حيف، ولم يثن هيفهن هيف، ولم يرو قوافيهن عويف، ولم يعر شملهن تشتيت، ولم يبر حبلهن تبتيت، ولم يقض بقلقهن تثبيت، ولم يقض إلى فرقهن تبييت، ولم يشعر بعطاسهن تسميت، ولم يعثر بنعاشهن تصويت، ولم يسر بمرادهن تعويت، ولم يسر في أكبادهن تفتيت، ولم يصبّحهن سوى ظلالهن في أطلالهن، ولم يحللن غير حلالهن بحلالهن، وهن في عصمة لم يدر لها في الوهم وهن، وفي ذمة ما وهي منها ٥٧ب بالنكر/ وكن[3]، وفي عزة لم يطف بها ذل، وفي كثرة قوة لم يطر حول حولها قلّ، وكل دار لهن لبدور الغَسَق دارة، وكل مقر دونهن لرماة الحدق قارة، وما يحمي غير الغيران حماهّن، ويغار من الشمس إذا ذرت بذراهن. فلم يقم على جرس برهان براهنّ، ولم يقع في حدس هوان هواهنّ، ولم يخطر في ضمير ضمور خطرهنّ، ولم يدر في بال وبال ضررهنّ، ولم يف صفو وردهنّ بكدر صدرهنّ. وما فتئن تلك الفتيات في خفارة خفرهنّ. ولم يزل يشبّ دون خمارهنّ[4] الجمر، ويذب.ـن ذمارهنّ الذّمر، فأحوجن في هذا الحصار للإنتصار، وارتدين على الاضطراب برداء الاضطرار. ووقعن على النار، وترفعن عن العار، وتبرقعن بالاستتار، ورقعن بالخمر خرق الاشتهار، وبرزن من السرار اسرارا في ضمائر الازار، وطلعن سحره طلوع كواكب الأسحار، معتمرات إلى حرم الكرم الفاضلي، محتميات من العدوّ بالولّي، معتفيات[5] نصرة العفو الناصرى، مناديات ندى ذلك النديّ، مبديات من نقب الذعر الخفي وجه العذر الجليّ. مستشفعات بشفيع كريم لا ترد شفاعته، بل تراد لطاعة الله طاعته. فأواهنّ أوّاهات إلى فناء الخيمة،

---

(١) في الأصل «أنسنات».

(٢) في الأصل: «طلامهن».

(٣) الوكن: عش الطائر. أنظر لسان العرب مادة (وكن) ج ١٣ ص ٤٥٢.

(٤) في الأصل «حمارهن».

(٥) ششن «مغتفيات»، ص ٧٦.

وامترى لهن خلف شفاعته لشفا الغيمة، وسعي وسعه ووسع/[1] سعيه، وساق بأوساق هداياهن هدية، وعرّف السلطان أن لقصد الحرم حرمة، وأن للمعتصمات بعزّه عزّة وعصمة، وأنهن نسوة الامير والرئيس يسألن في كشف ما حزّبهنّ من حربهنّ لحرّبهنّ بالتنفيس، فأكرمن واحترمن ورُحمن وما حُرمن وبُجلّن وما أخجلن وأجِبْنَ وما حُجبن واعتِبْن وما أُتعبن ووُصلن بما فيه وَصلن وشُفعن فيها له شفعن، وأعطين الامان على أنهم ان اقاموا توفرّت عليهم الاملاك والاموال، وان تحوّلوا سهّل عليهم الانتقال. ولم يسألن في البلد لعلمهن[2] أنه لا يخلّي وانما سألن أنه لا تسلّم المدينة إلى ان تفرغ من نفائس اعلاقهم وتخلّى. فأعطين الامان على انهم يخرجون بكل ما يقدرون عليه وتمتد ايديهم اليه [3] مدة ثلاثة أيام بلياليها وأنا نعينهم بدوابّنا وأصحابنا على إخراج جميع ما لهم فيها. وعدن بما وعدن وما سعدن كيف ما[4] اسعدن فانهن وان قرّبن أبعدن، وان فزن بالافراج فقد حزن الإخراج، وإن شفّعن في استتباب أمورهن، لقد أضعن بخراب معمورهن، وتوجعن بحجاب خدورهن، واغتراب بدورهنّ، واخلاء دورهنّ، والاخلال عند سفورهنّ بستورهنّ. فحادثهنّ صرف الحدثان بالانصراف، وجاذبهن انحراف إلى الانحراف. وهذه عادة الليالي/ العادية، وقضية الاقدار القاضية، في ارخاء الطول وانقضاء الدول، وتصرّم الأعمار وتصرّف الاعصار، وانقضاء الدول وانقراضها، واعتراء النّوب واعتراضها، وانتهاء المدد بانتهابها، والتهاء الكرب بالتهابها، وايماء البوارق في ايماضها، واغراء البوائق باغراضها، ووفاة النفوس على وفائها، وانضواء الشموس في اضوائها، وذهاب الليالي بحسراتها، وارهاب الايام لسراتها، وإيقاذ النواظر بشوك اقذائها، وايقاظ النواضر بوشك اذوائها، ومعاقبة الربيع بتعقب الخريف، واعادة القوي إلى عادة الضعيف، واحالة حال الحالي على العطل، واقالة العاثر باليأس من الامل، وقد آن لابن نيسان زمان نسيان ذكره، وان نبا وكره خراب بنيان وكره، وانتهى الى سواه في الاستواء أمد آمِده، والزمن المزمن محا مدّه محامِده، والدهر الخائن في أخوانه خانه، والخطب الشائن في شأنه شانه، والملوان ملا بتقريع اوانيه أوانه، والجديدان جدّا في جدّ جدّه فأسلبنا[5] مكانه وامكانه.

58 ب

ذكر ما استقر عليه الأمر في البلد وتسليمه وتسقيم ما اعتل فيه وتقسيمه/

59 أ

ولما استقر تسليم البلد بعد ثلاثة ايام، وتقدم السلطان برد النساء باكرام واحترام،

---

(1) قد تقرأ «وأوسع».
(2) ششن، «لعلمن»، ص ٧٧.
(3) في الأصل «إليهم» والسياق يقتضي التصحيح.
(4) ساقطة لدى ششن، ص ٧٧.
(5) ششن، ص ٧٨ «فسلبا».

نفذ ابن نيسان يخبّر بأنّ غلمانه خرجوا عن طاعته، وانه لا يقدر على نقل ماله اذا وكّل إلى مجرد استطاعته، فندب له من خواصّه من يراعى باعانته[1] أحواله، ودوابّ من اصطبلاته تنقل امواله، فخرج ونزل في غير منزل وضرب له خيمة بمعزل، فشرع ينقل[2] درهمه وديناره ويحوّل اليه[3] من كلا الجنسين أوقاره، وتعجّل منها ما خفّ حمله وخيف عليه اذا لم يعجّل نقله، وترك ما كبر حجمه واذهب الزمان ثقله، ونقل المصوغات النضاريّة والفضية والمنسوجات الذهبية والجواهر والفرائد، والعقود والقلائد، والثياب المعدنية، وصانها ان تكون مع الدنيّة. فلم يقدر في المدة المضروبة، الاّ على تحويل الامتعة الكريمة المحبوبة. وكم نشبت الطوارق في طرقه بنشبه، وكم ذهب اعوانه في مذاهبه بذهبه، فان الطريق من دوره في باطن البلد بعدت الى خيمته في ظاهره، فولعت ايدي التعدي بنفائس اعلاقه وكرائم جواهره ومن اصحابنا جماعة ندبوا لإعانته، فاستغنوا بما أصابوه وحازوا وفازوا بما به فازوا. وذكر انه كان يحمل من داره عشرة احمال

٥٩ ب باثقال أموال فيذهب في الطريق بعضها/ ويتعذّر باعداد عروضها فربما وصلت اليه من تلك العشره الثمينة[4] ثمانية، ويسأل عن الباقي فيقال دوابها وانية، وهي في الوصول متدانية، وما يزال يدخل جملة في جملة وقد عبثت بمجانيها ايدى جانية، فنضا أعوانه أنواع نضاره، وهيهات ان يرجع ما ذهب وهو في انتظاره. فكم اختزل منه واعتزل وكان يعتقد انه سمين فاذا هو قد هزل، فراح وقد أعوز عزّه، وبزّ بزّه، وهتك حرزه، ونهك كنزه، ووجدوا من مصائبه فوائد، ووضعوا من لحومه موائد. واستجدّوا من مضارّه منافع، واستنجدوا من مغاربه مطالع. وسلخوا من قدره وطبخوا في قدره. ومالوا بماله وحالوا بحاله. وسمنوا بهزاله واعتزوا باعتزاله وخفّوا باثقاله واستفادوا الصحة من علله، والحلية من عطله، والسداد من خلله، والجمال من حَلّله. وهو لما به من روع، وكُره بغير طوع، وهمّ وَهْم[5] بكل نوع، يحصر لدى التكلم ويقصر عن التظلّم، ويغتنم لما حواه فوزه، ولا يصدّق بما حصل في يده من ذخره حوزه[6]، فهو عليه مرتعد مرتعش على أنه بما راعه من الرعب من كل[7] أنيس مستوحش. فلما انقضى الأجل خامره الوجل واعترف بأنه عن نقل سائر ذخائره عاجز، وان غدر الزمان بينه وبين

---

(١) ششن «أعانته»، ص ٧٨.
(٢) في الأصل: بنقل.
(٣) ششن، «اليها»، ص ٧٨.
(٤) في الأصل «الثمنية».
(٥) ساقطة لدى ششن، ص ٧٩.
(٦) ساقطة لدى ششن، ص ٧٩.
(٧) ساقطة لدى ششن، ص ٧٩.

ما غادره حاجز، فانه ترك أخاير / الذخائر وسلا عن حبها سلو الخائر[1] الحائر. وكانت ٦٠ أ ابراج المدينة ودورها واماكنها قد ملئت بكل ذخر من اجناس الغلات وأنواع الالات والادوات اهراؤها ومخازنها. فتركها من غير ان فركها[2]، وفاته دركها وما ادركها، وخلّاها وما أخلاها، وأبقى ثراه بثراها، وسهرت عينه لها وما كرّ عليها طيفُها في كراها، ولو استزاد مهلة لاستفاد نهلة، لكنه هاب، وارتاع وارتاب، وفي مظنّه الرجا خاب، وعلى مطيّة النجا نجا وغاب. ولو رشد لنشد ضالته في ظل السلطان وأوى احسانه[3] الى مأوى الاحسان لكنه بعد فبعد ولو اسعده لسعد.

ذكر تسلّم مدينة آمد وتسليمها إلى نور الدين محمد بن قرا ارسلان بجميع ما فيها وذلك في العشر الاول من محرم سنة تسع وسبعين

ولما انقضت مدة الأمان فتحت لأولياء الله أبواب الجنان، وقد ذكرنا النزول على آمد في سابع عشر ذى الحجة. وكان الاشتغال بالقتال وادواته ونصب المنجنيق وآلاته في باقي السنة، فما استهلّت السنة إلا وقد اسفرت الحسنة، ونطقت بالبشائر الألسنة. / وقيل للسلطان هذه آمد فيها ذخائر تُربي قيمتها على الف الف دينار وما ٦٠ ب دخلت عند الوعد بآمد في شرط وقرار، فاقض بها المهام، وخصص[4] وعمم بها الخواص والعوام. وهو يقنع بآمد فارغة ويعدّها لكل[5] حجة بالغة ونعمة عليه سابغة. فقال: نور الدين صار من أشياعنا فما نضنُّ عليه بهذه الأشياء، ولا نُظن به جحود هذه النعماء، وهَبْنا وهَبَنا له الاصل مع الضنّة بالفرع، فما يليق بما سنّته مكرماتنا من الشرع. فأما ما كان في الاهراء[6] من اجناس الغلات وأنواع الحبوب فما يحويه [7] وهم المظنون وعلم المحسوب. وأما الامتعة والاسلحة والعُدد فما يحصرها العدد، وقد جمعت مددها على طول الازمنة المدد، وقد تكاثرت بها العُتُق والجُدُد. وأحضر النواب دساتير المخازن، ففقدنا إمكان معرفة ما في الاماكن. ومنها برج من المدينة يحوى على ثمانين ألف شمعة، لم يظفر منها من احرزها في ظلام الخطب الداجي بلمعة. فأخذت منها لحاجتي الى انشاء كتب الفتوح ليلا عشرا، فألفيت لضوئها وضوعها بشرا ونشرا. ولو شئت لأخذت منها

---

(١) ششن «الخائن»، ص ٧٩.

(٢) الفرك: البغضة عامة. أنظر لسان العرب، مادة «فرك»، جـ ١٠، ص ٤٧٤.

(٣) في الأصل «إحسابه» وكذا لدى ششن، ص ٧٩.

(٤) في السنا، «وخص»، ص ٢٢٠.

(٥) ساقطة لدى ششن، ص ٨٠.

(٦) أى المخازن السلطانية ولدى ششن «الأهراه»، ص ٨٠.

(٧) في الأصل «تحويه».

لكنني عددتها ثقلا، وما رأيت لها نقلا. وأما المستعملات الآمدية من البسط والفرش والخيام، فلا[1] يدخل حصر مبالغها في الاوهام. ولو ذكرت ما وجدناه من
٦١ أ الطرف، /ومصنوعات الاواني من الحرف(*)، لطال الذكر وتعب في احصائه واستقصائه الفكر. وكان من جملة المستودعات القطن قد امتلأ به البلد ولا أقول الخُزن، وذكر انه بيع منه سبع سنين فما فني، مع أن متولي البلد بيبعه غني، فاستغنى باثمان الاذخار واستفرغ الجهد في استخراج ما في ابراج الاسوار.

وانما شرحت هذه القصة لتعلم ان الدنيا لم يكن لها عند السلطان قدر، وانه لم ينطو منه على قلبها صدر، فأول يوم فتحها نصبت على سورها أعلامه، ونفذت في امورها أحكامه. ثم سلمها إلى نور الدين بن قرا أرسلان وكتبت له بها وبأعمالها التقليد، وتسلّم مني به لمغالق المعاقل الاقليد[2]، وعمّر طريف فخاره بنا التليد، ودخل جنة النعيم لو انها في الدنيا توجب التخلية لا التخليد، وآمال للاهتزاز لها والاعتزاز بها أعطاف أطرية الأماليد[3]. وتوطا بها وتوطّد وتوطّن، وتأثث بأثاثها ومكانها وتمكن. وملّكناه زمامها وحسرنا له وطالما تحسر[4] عليه لثامها، وفضضنا له ختامها، ونشرنا لمُلكه اعلامها، وقررنا في سلكه انتظامها، وأسعدنا بعموم عدلنا عامّها واعدناها بعد الخوف إلى أمن أَنَامَ انامها. واستعبد السلطان من نور الدين حُراً وفّاهُ ثمنهُ ووفَى له ومكّنه،
٦١ ب وأنالهُ خطراً لم يخطر مناله بباله، وامال له/ اعطاف اعطيات لم تهتز[5] في اماله، ووصل بعمله ما نوى له من نواله. فأضاءت في قضائه مجالي مجاله، وصان له بالعطاء من العطل حالي حاله. ثم ملأ بالمناجح من منائحه رجاء رجاله، وخصّه واستخلصه باحتفائه[6] واحتفاله، وعلا به على امثاله بمثاله، وما استقل عن داره حتى درى باستقلاله، وكان سيدنا الاجل الفاضل حاضرا فجلا له بفضله جلالة أفضاله.

ذكر بعض الامثلة الفاضلية بسحر الالفاظ والمعاني السحرية البابلية
فمن ذلك فصل إلى بعض امراء الاطراف

صدرت المكاتبة مشعرةً لك بفتح آمد، وذلك بقتال اعمل السيف فيه إعمال المشفق، واستعمل فيه العزم استعمال المترفق. فلما رأى صاحبها غير ما ظنّه وسوى ما

---

(1) ششن «ولا»، ص ٨٠. (*) كذا في الأصل وقد تكون «الخزف».
(2) الاقليد: مفرد أقاليد وهي المفاتيح. لسان العرب، مادة «قلد»، جـ ٣، ص ٣٦٦.
(3) المَلَدُ: الشباب ونعمته. واملید: ناعم. أنظر لسان العرب، مادة «ملد»، جـ ٣، ص ٤١٠.
(4) ششن، «يحسر»، ص ٨١
(5) ششن، «يهتز»، ص ٨١.
(6) في الأصل «باختفائه» وكذا ششن، ص ٨١.

عهده، لم ير الغنيمة الا نفسه وماله وولده. فاستام الصلح فأرخصناه، واستأمن فأمّناه مما خاف وخلصناه، واغمد ما كان مجردا، واجرانا الله من نصرته على ما لم يزل متعوّدا، ورفعنا عنه القتال يدا وأوليناه الاحسان يدا، وكتابنا هذا والمدينة قد فتحت ابوابها، وعذقت[1] بدولتنا أسبابها. / وتكلم لسان عَلَمنا في فم[2] قلعتها، وبشرها بعدل نشرها ٦٢ أ بخصب نجعتها، وبعد أن لبستها دولتنا وفينا بموعد خلعتها. فالحمد لله الذي تتم النعمة بحمده وينجح الامل بقصده «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده»[3].

فصل آخر من انشائه

قد رفعت على قلعتها أعلامنا، ونفذت في مدينتها احكامنا، ونال صاحبها صلحنا، وعمّ اهلها صَفحنا، ووفى فيها موعدنا، ونجح والحمد لله مقصدنا، وألان الله صعبتها، وحطم في ثلاثة أيام صعدتها. ونحن نستعيذ بالله من أن نظن أن لنا في هذا الصنع صنعا، وأن نعتقد انا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا.

فصل آخر له

نزلنا على آمد وما استبعدنا أمدها، وأردنا ان ننجز لنور الدين موعدها. ففتحت بقتال ثلاثة أيام أعقبت سلماً، حقنت الدماء في أهبها وردت السيوف بغيظها إلى قُربها. فالحمد لله الذي فتح منها ما كان في وجوه الهمم سدا، وجعل نارها لبني الاسلام خليلية يناديها الصفح «يا نار/ كوني برداً»[4]. ٦٢ ب

فصل آخر له

مُشعرةً بفتح آمد، وهي التي طالما اعرضت بجانبها، وصدّت عن خاطبها. فرضناها بساعات عزم على الاولياء فرضناها، وسلّمها صاحبها مستأمنا، وسام منا الاحسان الذى طالما ارخصناه على مُستَامنا، وقضينا لنور الدين عدتها، وابتنى بها بانينا من[5] كان بها قبل أن تقضي عدتها. وكتابنا هذا إليك واليد لها مالكة وواهبة والدنيا الا بمن يكون بها ذاهِبَةٍ ذاهبة.

---

(١) ششن «لاعذقت»، ص ٨٢ وعذقت النخلة: قطعت سعفها. أنظر لسان العرب، مادة «عذق»، جـ ١٠، ص ٢٣٩.

(٢) في الأصل «قم».

(٣) القرآن الكريم، سورة فاطر، آية «٣».

(٤) سورة الأنبياء، آية «٦٩».

(٥) كذا في الأصل وقد تكون «بانيها» أقرب إلى الصحيح.

فصل آخر له

توجهنا إلى آمد بعد أن ولّانا الاعداء ظهورا، وأولانا الله نصرا وظهورا. واستصحبنا دونهم من ملوك بلادهم من كنّا به كما قال سبحانه ﴿وجعلنا له نورا﴾[1] وهي طريدة الصدر الاول التي صدر عنها مَحلا عن وردها حاصلا على راحة يأسه وتعب طردها. ففتحها الله بأيسر معاني المعاناة، وبلّغنا صاحبها وكافة اهل البلد ما كان اقصى الاماني من الامانات. وكتابنا هذا ومنبر الجمعة/ باسمنا صادح، والملك عقيم ونحن على ثقة بأنه معنا لاقح. وقد أعطينا نور الدين ما ورث من سلفه ارادته وأحسن الله على يدنا افادته.

٦٣ أ

فصل آخر له

نزلنا عليها ولم يكن الا رباضة[2] ثلاثة أيام ريثما فتح الجفن عن نصله، واستيقظ صاحبها بجد القتال من هزله، واستأمن فأومن على نفسه وماله وأهله. وكتابنا هذا ولواء النصر قد مدّ باعه معانقاً لقلعتها، وخطيب منبرها[3] قائم باسمنا ساعة تسلّمها للموافقة لساعة جمعتها. ووصلنا نور الدين إلى عقيلةٍ طال ما واعدها أبوه وخطبها، وقبلنا منه مهرها بمعونة في سبيل الله أوجبها.

فصل آخر من الانشاء الفاضلي
من كتاب الى الصاحب مجد الدين ببغداد

ان آمد قصرُ الأمد في الظفر بها، وانقاذها من المظالم التي كانت تلبس نهارها نقبة غيهبها. فلما حلّ بعقوتها اراد ان يجري الأمر على صوابه، وأن يلج الأمر من بابه، وأن ينذر المغترّ ويوقظه، / ويغلظُهُ بالقول الذي من الرفق أن يغلظّه[4]، فبعث اليه بأن يهب من كراه، ويعدّ لضيف التقليد قراه، وينجو بنفسه منجا الذباب، ولا يتعرض لان يكون منتحيا للذّباب، واذا عريكته لا تلين[5] الا بالعراك، وطريدته لا تصاد الا بالشراك[6]، فهنالك رأى عاجلاً ما هناك، وقوتل حق القتال في يوم واحد عرف ما بعده من الايام، ووقع الاشفاق من روعة الحريم وسفك الحرام ونصب المنجنيقات، فأرسل عارضها

٦٣ ب

(١) سورة الأنعام، آية رقم «١٢٢».

(٢) ششن، «رياضة»، ص ٨٣.

(٣) ساقطة لدى ششن، ص ٨٤.

(٤) بالأصل «من القول الذى. . .» وحذفت «من) ليستقيم المعنى.

(٥) ششن «تأمن»، ص ٨٤.

(٦) في الأصل «بالاشراك» وكذا لدى ششن، ص ٨٤ وهي تصحيف.

مطره، وفطر السور بقَدَره الذي فطره، وخطب امامها خطيبُ خَطبه، وأغمد الصارمُ اكتفاء بضربه، وترفه اهل الحرب لحسن المناب عنه بحربه. فصار في اقرب الاوقات جبلها كثيبا مهيلا، وعفّرت الابرجة وجها تربا، ونظرت القلعة نظرا كليلا، كذلك حتى امكنت النقوب ان تؤخذ وكبد السُور أن يفلذ، فرأى الذى لا يصبر على بعضه واعتذر اليه البناء الذي بنى[1] الامر اذ[2] لم يقضه، والاّ فلا يأمن من نقضه [3]. وسئل فيه فأجيب إلى الامان على نفسه وقد كربت، وتقطعت الاكراب وبلغت، وقد كان يظن انها تبلغ الاسباب. وخرج منها وانما أخرجه الظلم بالظلم وسلّم وهو يرى السلامة امّا من الحلم واما من الحُلم.

فصل في وصف التقليد

وإن كانت هذه الالات الموصوفة وهذه العُدد المرصوفة هي التي تناول بأنملها، ورامي بجندلها وصالت بأنصالها فان الآلة المعدودة من الالاء، والسبب المتدرع به الى المراد الدرع به لدى الهيجاء، هو التقليد الامامي الذى لما أوتي منه كتابه بيمينه وسجد الى قبلته فبان نور القبول على جبينه، وتحقق ان الحق معه وأن لا قبل به لباطل، وأن القول الذى فيه ما ترك مقالاً لقائل، وأن السيف الذى حمله أقطع من السيف الذى حملته الحمائل، وأن القلم الذى جرى به اجرى من الرمح، فان الخط هو النضير، والخطي هو الذابل، ولولاه ما فتح له الباب الذي قرعه، ولا أنزل عليه النصر الذي أنزل معه، ولا ساعد سيفا ساعدُ، ولا نالت يد من مصر فأخذت آمد ومن بآمد. وقد وُضح له اليقين الذى لا شبهة فيه، والدليل الذى لا يسلّمه إلا الغرور ولا يدليه. انه لو اجيبت رغبته وقُبلت مسألته في تقليد الموصل لكان قد ولجها ولو بدلجة أدلجها وأخذها، ولو بحصاة نبذها، ولكانت الاقدار تؤتيه وتواتيه والآمال توفيه وتوافيه[4]. ولكنه لما لم تَرُدّ دار السلام / تحيّته، ولم يقبل ولي العقيلة خطبته، كان ممنوعا من الموصل بغير يد من كان بها محصورا، ومنصرفاً عنها بيد من كان باعه بأمره مقصوراً. وحيث شملته العناية في آمد فهي طليعةٌ لها ما بعدها وتقدمة لا تقف[5] آماله عندها. وازرق[*] الفجر بعده أبيضه، وانزر القطر بعده افيضه، وهو يتوقع في جواب هذا الفتح ان يمدّ بجيش هو[6] الكلام، ٦٤ ب

---

(١) في الأصل «بنا» وكذا لدى ششن، ص ٨٤.

(٢) ششن «اذا»، ص ٨٤.

(٣) في الأصل «نقصه».

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ٨٥.

(٥) ششن، ص ٨٥ «يقف».

(*) في الأصل: أرزق.

(٦) ششن، ص ٨٥، «وهو».

ورماح هي الاقلام، ونصر هو وافد الامر[1]، وترشيد هو فك الحجر[2]. وليس ذلك لوسائل تقدمت من دولة اقامها بعد ميل عروشها، ولا لدعوة قام فيها بما تصاغرت دونه همم جيوشها، ولكن لان هذه الجزيرة الصغيرة منها تنبعث الجريرة الكبيرة. وهي دار الفُرقة ومدار المشقة، ولو انتظمت في السلك، لانتظم جميع عسكر الاسلام في قتال الشرك، ولكان الكفر يلقي بيديه وينقلب على عقبيه، ويغشاه الإسلام من خلفه وبين يديه، ويُغْزَىٰ[3] من مصر برا وبحرا، ومن الشام سرا وجهرا، ومن الجزيرة مدا وجزرا.

وأما الكتاب بفتح آمد من الانشاء الكريم الفاضلي
الى الديوان العزيز في محرم/ سنة تسع وسبعين ٦٥ أ
ووصف التقليد الامامي بولاية آمد فهو[4]:

أدام الله ايام الديوان العزيز النبوى ولا زالت دواوين الخلائق منتصبة بولاء مالكه، وطاعته من أهم فرائض الدين ومناسكه، والدنيا إما ساكنة بالأمر تحت سريره وإما مُنزعجة بالعجاج تحت سنابكه، والحق والباطل منصرفين بين أمره ونهيه، فطوبي لآخذه وطوبي لتاركه، والاقلامُ تَنقل الى علمه من آثار أرماح اوليائه واخبار نصر لوائه ما يعلم به ان الاقلام عباسية لما لبست من شعار ايامه، ولما أمهت من شفار انتقامه، ولما أبدت من آثار خدّامه، ولما خطبت من أخبار إنعامه، ولما نابت فيه فأحسنت عن حسامه. ورد الخادمَ التقليدُ بولاية آمد فلما رآه مستقرا عنده قال هذا مفتاحها، وسمع الوصايا فاستضاء بها في ظلمات القصد، وقال هذا مصباحها، وتناوله فما ظنه إلا كتابا انزل عليه من السماء في قرطاس، وما تيقّنه إلا نورا يمشي به في الناس. ولا شك ان الذى تقلد منه امضى من الذى تقلد، ولا ارتاب ان الذى تبلج من نوره عمود صبح اهتدى به فمضى وما تبلّد. وسار به، ولولا/ العادة لما استصحب جنديا، وعول عليه، ولولا الزينة[5] ما تقلد هنديا. فطرق بابه باقليده، ولولاه ما استطاع الاولياء[6] ان يظهروه ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾[7]، وناشد المقيمَ بها بتقليده[8]، ولو كان ذا سمع أصغى[9]، ولو كان ذا لبّ لبّى ولم يُعد السنّة في الانذار له والاعذار اليه ثلاثة أيام بثلاث رسائل، ارسل اثنين ٦٥ ب

(١) مفرج الكروب «العز»، جـ ٢، ص ١٣٨.
(٢) مفرج الكروب «الحجز»، جـ ٢، ص ١٣٨.
(٣) في الأصل «ويغرا» وهي تصحيف وما أثبتناه من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٨.
(٤) في الأصل «وهو».
(٥) في الروضتين «الرتبة»، جـ ٢، ص ٤٠.
(٦) في الروضتين «للاولياء»، جـ ٢، ص ٤٠.
(٧) القرآن الكريم، سورة الكهف، آية رقم «٩٧».
(٨) يضيف كتاب الروضتين «ثلاثة أيام بثلاث رسائل»، جـ ٢، ص ٤٠.
(٩) الأصل: «صغى» والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠.

فكذبها، فعزّز بثالث[1]، وتنقل إلى جهلة قارح، قبلها خطفة جارح، قبلها نفثة نافث. فلما انقضت ضيافة ايام النذارة، واحتقر من بآمد نار الحرب جاهلا أن ﴿وقودها الناس والحجارة﴾[2] عمد لها في اليوم الرابع فزلزل عمدها، وقاتلها فأزال جلدها وزيّل جلمدها، ثم رأى أن الشوكة ربما أصابت غير ذي الشكّة[3] من جندها، وأن المسلم قد آمنه الله من عذاب الحريق ولا يأمن أن تحرقه القسيّ من السهام بشرار زندها. فعدل الى منجنيقه الذى أمل صاحبه[4] منه منجى نِيقِه، ورأى ان سوط سطوته يضرب الحجر عن أن يباشر البشر. وتلك الابرجة قد شمخت بأنفها، ونأت بعطفها، وتاهت على وامقها[5]، وغضت عين رامقها، وذهبت همّة في حالقها، ولكنها لم تذهب هامة عن حالقها. فهي في عقاب لوح الجو كالطائر. الا ان المنجنيق اغرى بها عقابيه، وضغمها/ بمخلبيه، وجثم [6] أمامها يخاصمها، وقام الى الغير يحاكمها، ويضرب بعصاه ٦٦ أ الحجر فتنبجس [7] من الثقوب أعين لا ترسل الماء، ولكن تروى العطاش إلى منهل المدينة وتنهل الظمأى [8] كذلك اياما حتى محي من الشرفات شنب ثغرها، وتناوبها كأس فتك تبين بهن ابرجتها[9] اثار سكرها[10]، وعلت الايدى الرامية لها وغلّت الايدي المحامية عنها، فلم يبق علي سورها من يفتح جفنا ولا جفنا، وشن المنجنيق عليها غارته الى ان صارت شنًا، وفضت صناديق الحجارة المقفلة وفصّلت منها أعضاء السور المتصلة، ووجب القتال لئلا يظن بالخادم انه لا جُند له الا جندله، فأوعز بالتقدم[11] اليها ودخول النقّابين فيها. فاثخنت جراحاتها بالنقوب، وهتك الحجاب من أضالع البلد فكاد يوصل[12] الى ما ورائها من القلوب، وخُشيت معرة الجيش في وقت هجمه، وطل[13] صاحبها وقد كشف له الخذلان حتى نصر[14] على شكّه بعلمه، فاعاد الرسالة

---

(١) الإشارة لسورة يس، آية رقم «١٤».

(٢) سورة البقرة، آية رقم «٢٤».

(٣) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «الشوكه».

(٤) الروضتين «صاحبها»، جـ٢، ص ٤٠.

(٥) أي محبّها. لسان العرب، مادة «ومق»، جـ ١٠، ص ٣٨٥.

(٦) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «وخصم».

(٧) الأصل: «فينبجس» والإشارة لقوله تعالى ﴿أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عيناً﴾، سورة الأعراف، آية رقم «١٦٠».

(٨) التصويب من الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «الظمأى» والأصل: الظمأ.

(٩) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «تناوبها كاس فتك تبين بهن أبراجها».

(١٠) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «شكرها».

(١١) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «التقدم».

(١٢) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «يتصل».

(١٣) الروضتين، جـ٢، ص ٤٠ «ورسل»

(١٤) في الأصل «بصر» والتصحيح من الروضتين، جـ٢، ص ٤٠.

مستكشفا(١) بحجب النجاة بارسال ذوات الحجاب وابرازهن ومستكفًا(٢) ليد القتل بمن لم يكن جوابه غير احرازه واحرازهن. ولم يعارض في نفسه ولا في قومه ولا في أمواله وهي ما هي من ذخائر موفّرة، ومكاسب أرباح مخسّرة، وكانت الحقوق عنها مذودة، وكانت
٦٦ ب مستقرة في مأمنها/ من يديه والامال دونها مطرودة. وغض الخادم كل عين عن عَيْنه وورقِهِ(٣)، وصانه في مخيمه من الفقر صيانته في ذات سوره وخندقه، واستوفى شرط الوفاء بما أعطاه من مُوثقه.

وهذه آمد فهي مدينة ذِكْرها من العالم متعالم، وطالما صادم(٤) جانبها من تقادم، فرجع عنها مقدوعا(٥) أنفه وإن كان فحلا، وقرعها فريد الهمة(٦) وان استصحب حفلا. ورأى حجرها فقدّر انه لا يُفك له حجر، وسوادَها فحسب انه لا ينسخه فجر، وحميّة أنِف أنفها فاعتقد انه لا يستجيب لزجر، من ملوك كلهم طوى صدره على الغليل إلى موردها، وكلهم وقف منها وقفة المحب السائل(٧) فلم يفز بما(٨) أمل من جواب بعهدها(*). ورأى الخادم ان الخادم نورالدين بن قرا ارسلان قد تقدمت منه في الخدمة مكاونه، وشرطت عليه في وقت الغزاة الى الكفر معاونه، وأنه جارها الادنى الدار، وخاطبها وابن خاطبها في سالف الاعصار، وانه ذو جيش مجرور وأراد ان يجعله بولايتها ذا جيش جرّار. فسلّمها اليه وشَرط عليه ما شُرط من الديوان العزيز عليه، من معدلة تنسخ ما كان بها من ظلمة الظلم، ونزاهة ان يكون اتباعها من حكمة الحكم. وتخفيف
٦٧ أ الوطأة وتحسين السمعة، وقبول الوصايا الديوانية التي هي لأولياء أمير المؤمنين / صلوات الله عليه منهاج وشرعه. ولما رأى صاحب ميافارقين ان أخت صاحبته قد ابتنى بها ابن عمه، خاف ان «يجمع (٩) له بين الاختين(١٠)»، فراسل ببذل الخدمة التي يكون فيها لنور الدين «ثاني اثنين»(١١). والخادم يقول من حيث املاء الولاء فانه يقول من لسانه، ويجني من جنانه، ويقتطف نور القبول من بستانه، ولا يقدم على ذكره مذَكّرا ويعيذه

(١) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠ «الرسول مستنكفا تحجب».
(٢) العبارة «عجب. . . ومستكفا» ساقطة من ششن، ص ٨٨.
(٣) أى أمواله من الذهب والفضة.
(٤) في الأصل «صارم» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠.
(٥) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠ «مجدوعا».
(٦) في الأصل «فريداً بهمه» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠.
(٧) الروضتين «المسائل»، جـ ٢، ص ٤٠.
(٨) الأصل «بها» والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠.
(*) في الروضتين، جـ ٢، ص ٤٠ : «معهدها».
(٩) الروضتين «تجمع»، جزء ٢، ص ٤٠.
(١٠) الإشارة لسورة النساء، آية رقم «٢٣». (١١) الإشارة لسورة التوبة، آية رقم «٤٠».

الله[1] من نسيانه، أنه مهما ارادت منه الآراء الشريفة أتاه، ومهما نوت فيه من احسان قرب عليه نوى مأواه. وعلى ذلك دليل جلّي جليل، وبرهان لا نوره يأفل ولا رأيه يفيل. فهذه آمد لما أرسل اليه مفتاحها وهو التقليد بفتحها[2]، وهذه الموصل لما تأخّر[3] عنه المفتاح منعها وما منحها[4]. ولو أُعين به لعظمت على سلام[5] عائدته، وظهرت[6] في رفع مناره فائدته. لأن اليد به على عدو الحق واحدة، والهمة لآلات النصر واجدة، وذلك أمر عقباه أن لا يعبد إلا الله وحده، وفحواه الظفر الادنى بالمسجد الاقصى الذى حمل الله اليه ليلة المعراج عبده، ومغزاه[7] أن يكون لأمير المؤمنين عبد وليّ لا يبقى على الدولة والاسلام عدواً بعده، ومعناه أن يجرد للاسلام سيف نصره، يمدّه قلم الديوان بمدّه/ . ٦٧ ب

ذكر الدخول إلى البلد

ودخل السلطان إلى المدينة في يوم كان يوم الزينة، وعادت به خواطر الانزعاج الى السكينة، وحضرت أكابر اهلها بالطاعات المستكينة، واستمسك رعايها من رعايته بحبال الحِباء المتينة. وجلس في دار الامارة وهي على أحسن وابدع واعجب وأزين ما يمكن من العمارة، من دخلها تلا «ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد»[8]. نائية عن الظنون، ناهية للعيون، عقيلة من عقائل الجنان، حليلة من الحلائل الحسان، عالية الايوان[9]، حالية البنيان، بهيّة البهو، شهية الزهو، رائقة الرواق، شائقة الاشراق، معجزة صفتها، معجبة صنعتها، سارّة تزاويقها دارّة أفاويقها، قد تحركت الافلاك إلى سمائها، وتنزلت الأملاك لهنائها، وتسنّى بها السنا الناصرى فأضاء بفضائها، كأنما نبع من بركها الكوثر، واطلع من فلكها القمر الازهر، وبدا في دارة دارها[10] البدر، وامتلأ ببشر الانشراح من تصدّر مالكها الصدر، روضيّة الازهار، رضوانيّة الانهار، سلطانية الانواء والانوار. يحدث ربيع ربوعها نيسان نيسانها، ويحدث ذكر نباهتنا[11] نبأ نسيانها،

---

(١) ساقطة لدى ششن، ص ٨٩.

(٢) في الأصل «فتحها».

(٣) ششن، ص ٨٩، «تأخرت».

(٤) «وما منحها»، ساقط لدى ششن، ص ٨٩.

(٥) كذا في الأصل وقد تكون «الاسلام» فهي أكثر مواءمة للمعنى.

(٦) ششن، ص ٨٩ «ورفعت».

(٧) في الأصل «ومعزاه».

(٨) سورة الفجر، آية رقم ٧ ـ ٨.

(٩) في السنا «الأبواب»، ص ٢٢١.

(١٠) ساقطة من ششن، ص ٩٠.

(١١) في السنا، ص ٢٢١ «نباهتها نباء» ولدى ششن، ص ٩٠ «بناء».

٦٨ أ وينبىء[1] طيبها وطينها عن رّيا رئاسة بانيها، وتصف غضارة معاليها ونضارة مجاليها/ طلاوة معانيها وحلاوة مجانيها، وتذكر بأيام أيامنها وازدهاء الدهر في سكون سكانها فما محَا سَنّا محاسنها. فزرنا اعلامها بأعلام وحطنا أحكامها بأحكام، ووصلنا رغامها بغرام، وأنشأنا سحابها بسجام، ودخلنا دار سلامها بسلام، وانزلنا عنها الازل، وازحنا عن محلّها المحل، وارحناها من مشاق المشاقق بوفاق الموفّق الموافق، واخرجناها من يد المبطل الى يد المحق المحاقق. وبانت تلك العروس من زوجها، وكم جلت للحسن والحسنى أوجهاً في أوجها، وخلا منها فج فوجها ورمى بها مجّ موجها، وهذه شيمة الدنيا لا تمق وامقا ولا ترمق رامقا، من جنى منها جنت عليه ومن علت يده فيها غلّت يديه، ومن اطاعها عصته ومن داناها أقصته ومن وفى لها خانته، ومن أعزها أهانته، ومن وصلها قطعته، ومن نزع اليها نزعته، ومن اكل منها أكلته، ومن خفّ الى اثقالها استخفّته واستثقلته، ومن تملأ بها ملته، ومن تخلّى لها خلّته، ومن ارتمى اليها رمته، ومن استحلى شهدها سمّته، ومن انتجع غمامها غمّته، ومن برها برّته، ومن اكتساها أعرته، ومن ارتداها اردته، ومن صدّق مخايلها كذّبته، ومن استعذب مناهلها عذّبته، ومن استغنى منها افقرته واحوجته، ومن سكن دارها أزعجته واخرجته، ومن استطبّها أمرضته، ومن

٦٨ ب استطابها أمضّته[2]، ومن أرضاها أغضبته، ومن أحبها وقبّلها قلته/ وقلبته، ومن قرّ بها قبرته، ومن أقالها عثرته، أو أرادها ردتّه أو أباد بها أبدَتْه[3] ومتاعها قليل ومتاعبها كثيرة ومقاريها مقرّة ومبارّها مبرّة[4]. فلا مَطارَ بها لمطاربها، ولا مطالَ بها الا لمطالبها، فمشارقها صائرة الى مغاربها، ومشاربها غائرة في مساربها، ومراقبها مترامية على مراقبها، ومطالعها متعامية على مطالعها، ومقارها نابية عن مقّارعها. وقد ظهرت آثار غدرها بابن نيسان حيث غادرته، وقد رجا نصرها مخذولا، وتركته وقد اعتصم بها متبذّلا لليالي الباخلات مبذولا. وهكذا من تلاه فان نور الدين ما امتد زمانه، وانتقل إلى ولده بعد سنين مكانه، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه وشرح[5] شأنه.

ذكر استحضار نور الدين محمد بن قرا ارسلان وأخذ يده على طاعة السلطان ومعاملة الرعية بالعدل والاحسان

ولما استقر السلطان في الدار، ودارت بأقدار مراده الاقدار من الفلك المدار،

---

(١) ششن، ص ٩٠ «وينبئ طيبها وطيبها».

(٢) أى أحرقته وآلمته. أنظر لسان العرب، مادة «مضض»، جـ ٧، ص ٢٣٣.

(٣) في الأصل «وأباد بها أبديه».

(٤) في الأصل «ممبره».

(٥) في الأصل «نسرح».

استحضر نور الدين وأخذ يده وأوضح لجدّه جدده، واستوثق منه بحلف أكّده، وعقد ميثاق عقده وعاهده/ من طاعته على ما عهده، وأسعده بمناه منه وأسعده، وأرشفه شفاه ٦٩ أ
شفاهه وأرشده، وأقامه لملكه وفي دَسْته أقعده، وشرط عليه طاعته وفي كل غزاة متابعته ومشـايعته، ومبـادرته عنـد الاستدعـاء بالاستعـداد ومسارعتـه. وكـان لـه ممن صحت مناصحته ولزمت بمصافاته مصافحته ولا يكون لمن ينازعه على غير مصالحة مصالحته، وأنه يعمّر البلد وأعماله ويعمّها بإحسانه، ويعيد ما تشعّث منها الى عمرانه، ويسقط المكوس ويغبط النفـوس، ويبدل[1] بالنّعمى البؤس وبالبشر العبوس، ويبني العـروش ويـزكي الغروس، ويديم لـمطيّ المكاره وكف العـظائم الركـوب، ولنشر المكارم وكشف المـظالم الجلوس، ويُسعي[2] السّعـود وينحّي[3] النحوس، وصـدق الصداقـة صداقُـك الذى جلونا به عليك هذه العروس، فأمِدنـا بالامداد وأجِل منها أجنـاء[4] الاجناد وانجـاء[5] الانجـاد واحمل بحملك اعبـاء[6] العباد، واكفِ بحكمـك بلاء البـلاد، وأقِم صلوات الصلات وأدِم سكنات الحسنات وحركات البركات، وأدِّ صدقات الصدقات وتنكّب[7] طـرق طوارق النكبـات، وأبعد عن معـاني الشبهات ومظانّ الشهوات، وانتهـز فرص الخيرات فواتها قبل الفوات، وأحْيِ لاوليائك بآلائك موات الموات[8]. ثم استودعـه[9] ودّعه بعد ان نوّر للعيون مطلعه ونوّر بالعيون/ منبعه، وهبّ له في اغنائه بما وهب له ٦٩ ب
وبما فض له من ختام عطاياه فضّله، وأوضح وأعذب منهجه ومنهله، وأتـاه من تفضيله بجميله وجمّله.

ذكر القوام أحمد بن سمّاقة[10] وزير نور الدين بن قرا ارسلان

كان صدراً رحيب الصدر جليل القدر متحبباً إلى القلوب بكرمه، متقرباً إلى الملوك بخَدْمه[11] ناصحاً في خدمة مخـدومه مـدبّراً لقلمـه باقليمـه، حافـظاً لاوليائـه، غائـظاً

---

(١) في الأصل غير منقوطة.
(٢) في السنا «يبغي» ص ٢٢١.
(٣) في السنا «ويمحي»، ص ٢٢١ ولدى ششن «وبنحى»، ص ٩١.
(٤) أجنأ على الشيء: أكب عليه. لسان العرب، مادة «جنأ»، جـ ١، ص ٥٠.
(٥) ششن، ص ٩١ «أنجاد».
(٦) في الأصل «اعباد» ولدى ششن، ص ٩٢ «محملك اعباد».
(٧) في الأصل غير منقوطة ولدى ششن، «سكب»، ص ٩٢.
(٨) ششن، ص ٩٢ «المؤاتي».
(٩) في الأصل «استودعته» والسياق يقتضي التصحيح. أنظر السنا، ص ٢٢١.
(١٠) ذكر عند ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٥١٥ القوام بن سماق الأسعردى وقد تولى تدبير أمور ولد نور الدين المسمى سقمان والملقب قطب الدين بعد وفاة والده.
(١١) السنا، ص ٢٢١ «بخدمته».

لأعدائه، منفّذاً بحسن المضاء أوامره، معوداً بصدق الولاء مفاخره، مسدداً بالأمر السديد الامور، مجدداً بسفارته لجدّة السفور. وهو يقرّب بفضل توصله البعيد، ويلين بلطف توسّله الشديد، ويتولى تذليل المصاعب وتفليل النوائب بنفسه، ويستلين المستعصب المستوحش بأنسه، أريحيّ الى المكارم مرتاح ألمعيّ، سنا ضميره لظلم الخطوب مصباح، لوذعيّ إصابة رأيه لمغالق المقاصد مفتاح، له في مطار المطالب لكل نجاح جناح، وفي كل مزاح عرف مراح، ولكل مرض علاج، وفي كل عرض[1] منهاج، وفي كل ليل اسراء ومع كل خيل اجراء، وفي كل واد لسُحبه سيل، وفي كل ناد لسحبه ذيل، ولكل هاد إلى صحبه ميل. وهو الذي عطّف القلب السلطاني [2] على/ مخدومه باستعطافه واستلطفه بألطافه، ونال مراده منه باستسعافه، وتكلّف وتكفل بوفاء الالتزام ومضاء الاعتزام، وتسديد المرامي وتصويب المرام، وكان له بوفود الغرامات أوفى غرام، وريّه لزند كل اوار وريّةً لري كل أوام[3]، وقد حكّمه صاحبه في أمواله فهو يصونه ببذلها، ويجمع شمل ملكه بشت شملها. ولما سأله السلطان في مبتدأ ايام سفارته، ومفتتح عام زيارته عن مشتهى مخدومه ومنتهى مرومه وما العمل الذي يقترحه، وما الامل الذي يستنجحه، وما الذي يقضيه من اربه ويؤتيه[4] من طلبه. فقال له: ان اباه فخر الدين قرا اسلان درج على حسرة آمد، وإن فتحتها له اقتنيت المحامد، واستعبدته للابد[5]، وأرشدته في الجد بخدمتك[6] إلى أوضح الجدد، وأخذ اليد الناصرية لاتخاذ يد نصرته، وحسر لثام الحرص على تحصيل ما هو في حسرته، فسبق الوعد وصدق، واتفق من الفتح ما اتفق، وكان هذا الوزير المنعوت بقوام الدين قوام دولته ونظام مملكته. ودخل إلى سلطاني من باب عرفاني، وانتظم مع اخواني، ولم يزل نحوى مترددا والىّ متوددا حتى اخجلني بمِنَنِه، وأثقلني بمِنَحِه وشغلني بفروضه وسننه، وألزمني بمقترحه، ووثقت من ودّه بدوامه، وضمنت له الاهتمام باتمامه، وجعلني/ في مقاصده مقصدا، واتخذ عندى بصدق صداقته يدا، فما زلت معتنياً بودّه مقتنياً لحمده مبتنياً لمجده، وتحجبت[7] له عند السلطان وسهّلت حجابه، وصوّبت لديه اراءه[8] وارابه[9]، وسبّبت

٧٠ أ

٧٠ ب

(١) ششن، «غرض»، ص ٩٢.

(٢) «السلطاني» مكرره في الأصل.

(٣) الأوام: العطش. وقيل: شدة العطش. لسان العرب، مادة «أوم»، جـ ١٢، ص ٣٨.

(٤) في الأصل «ونؤتيه».

(٥) ششن «للبلاد»، ص ٩٣.

(٦) ششن «لخدمتك»، ص ٩٣.

(٧) في السنا «ونجحت»، ص ٢٢٢.

(٨) في الأصل: «اراه» وفي السنا «آراؤه»، ص ٢٢٢، والصواب ما أثبتنا.

(٩) في السنا «والايه»، ص ٢٢٢ وهي تصحيف.

احكامه، وأحكمت أسبابه. وقرر لي (1) على مخدومه وبمرسومه وظائف عطايا ورواتب هدايا استقرت من احسانه، واستمر إلى آخر زمانه، وسأنهي ذلك في مكانه.

ذكر الرحيل عن آمد والتوجه إلى الفرات لقصد حلب والولايات

ولما تسنّى الغرض وتأدّى المفترض(*)، وقضي الأرب ورضي الطلب، وحصل المقصود ووصل المنشود، واستتم المرام واسترمّ التمام، ورُشد القصد وقصد الرّشد، وبذّ الفتح ولدّ المنح(2)، ووافى الظفر ووافق القدر، وزاد الصفا وزال الكدر، وافتضّ(3) البكر واقتضى الشكر، ووُزن المهر وزان الدهر، وتوضّح البشر وتضوّع النشر، وفرغنا من (4) شغل (5) آمد، وبلغنا ببلوغ أمد فتحها وفرغنا ومنحناها(6) المحامد، رميت النوبتية وقد دنت العشيّة، فعرفنا دليل الرحيل ونهجنا سبيل التحويل. فشرعنا في ضم نشر الاثقال/ وجمع شتات الاحمال، وتونّخ(7) الجمال، وتوكيف (8) البغال، وتقويض ٧١ أ ذات العماد وحل الاطناب، وقلع الاوتاد، وتعزيل الخيم وتعديل الشيم، وتوثيق الصناديق، وتلفيق التفاريق، وتوسيق الاعدال، وتوفيق الاحوال، والالجام والاسراج، والتبريز والاخراج، وطي البسط وحل الربط، وايضاح مطلع الايضاع لطلوع القمر، وحسر اردية الرديان للسحر، وإعلام أمير العَلَم بما في العزم المبرم من معاودة السرحة والروحة، ومواعده الغبقة والصبحة، وشد العرى بالبرى، وترتيب السير والسرى، وتقديم الجمازات للسبق، وأدِلّة المَفَازات للهداية الى الطرق، فاستقلّت الجمال نصف الليل آخذة في الإعناق(9) كاعناق السيل. فالسيول جارفة والخيول جارية، والاودية سائلة، والجبال الراسية سارية، والمشاعل مُشعلة والرواحل مُرقلة والرواسم تُسرع والمناسم تدرع، والوشيج يعمل والوشيح يحمل. حتى خفت الاثقال وحمّ الارتحال وأصبحنا على الركوب وملأنا الشعاب بالشعوب، والصواهل في الأعنّة تمرح، والذوابل بالأسنّة تلمح، وبحر البر بالجيش جائش، وقلب الجو من جوى النقع طائش، وصدر

---

(1) في الأصل «على» والتصحيح من السنا، ص ٢٢٢.

(*) المفترض: مكرره في الأصل.

(2) ششن، «المسح»، ص ٩٤.

(3) في الأصل «واقتص» ولدى ششن «واقتض»، ص ٩٤.

(4) ششن «عن»، ص ٩٤.

(5) في الأصل «سغل».

(6) في الأصل «ومنحها».

(7) من يَنَخَ واليَنْخ من قولك أَيْنَخ الناقه دعاها للضراب فقال لها: أينخ أينخ، قال الأزهري: هذا زجر لها كقولك: أخ أخ. لسان العرب، مادة «ينخ»، جـ ٣، ص ٦٧.

(8) يقال أكفت البغل وأوكفته، ووكف الدابه: وضع عليها الوكاف. قال بعضهم: وكفّته توكيفاً. أنظر لسان العرب، مادة «وكف»، جـ ٩، ص ٣٦٤ أي تحميل البغال بالأثقال استعداداً للرحيل.

(9) الإعناق: الاسراع. لسان العرب، مادة «عنق»، جـ ١٠، ص ٢٧٤.

الفلك الرحب لعثار[١] العثير ناعش، والسماء قد تنقّبت من الوقع الثائر، والارض قد تنقّبت[٤] من وقع الحوافر[٣]، والمصمّ يسترق السمع بشهبها(*)/ والشّم تخترق[٥] الجمع بهضبها، والسوابغ في روض الحديد غدران، وأمواه الزرد المتضاعف للمعانها نيران، ولضرام البيض واليلب من القتام دخّان، والأجواد تجرى بها الجياد، والرياح قد امتطتها الأطواد، ولكل جفن[٥] غرار، ولكل روض عرار، ولكل زند جدٍّ شرار، وفي كل كبد عزم نار، ولكل ضامر سبق ولكل سابق مضمار. وكأنما الغاب يسير بأسوده وقد سار الجيش في جنوده وبنوده، فما تحرك الخميس حتى سار بالأسد الخيس[٦]، وعرّس في دجى عجاجه العريس، وكأنما مالت باعطاف المرّان لاهتزازها الخندريس[٧]، وتعيّنت المنازل وتبينت المراحل.

٧١ ب

ذكر انجاز أمور الرسل

وكانت عندنا رسل ملوك الأطراف، وقد وصلوا على اختلاف المقاصد باتفاق الاستعطاف والاستلطاف، وكل يسأل في سؤل بكتاب منه ورسول يشفع أن يشفع ما قبله بقبول، ويضرع أن يرضع طفل لطفه من خلف الاحتفال[٨] به درّ حفول، ويلتمس طولاً به يطول، ووصولاً إلى الخدمة بجاه وجاهته يصول، ويتقرب بكل فن ويترقب كل منّ، ويترسّل ويتوسّل ويتوصّى ويتوصّل، ويستدعي ويستعدي ويهدي ويستهدي، ويجتذب ويجتدي / ويقتضب ويقتضي، ويستأمن لرعبه ويستأمر في خطبه، ويستام قرب قلبه، ويروم أن يضم الى ملكه وينتظم في سلكه، ويذعن بطاعته ويمعن في تباعته.

٧٢ أ

وأحضرني السلطان تلك الليلة عنده، وأفردني بخطابه وحده، حتى أنجزت الكتب وجهّزت الرسل، وتفرّغت لتلك القضايا حتى قضيت الشغل. فما نهضت حتى أنهضت كتائب كتبي الى البلاد، وما قمت حتى قمت في ذلك المراد بالمراد، وأمددت الاقاليم من مداد اقلامي بالامداد، ووسّعت صدرى للإصدار والايراد، وكتبت

---

(١) ششن، «العثار»، ص ٩٥.

(٢) ششن، «تنقيت»، ص ٩٥.

(٣) ششن، «الحوامر»، ص ٩٥.

(*) الأصل: بشبهها.

(٤) ششن، «والسم يخترق»، ص ٩٥.

(٥) ششن، «حفن»، ص ٩٥.

(٦) في الأصل «الخيسن».

(٧) هو الخمر، الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة خندريس، جـ ٢، ص ٢١٧.

(٨) ششن، ص ٩٥ «الاحفال».

وبَتَكتُ [1] وسكنت وحـرّكت، وتملّكت وملّكت، وحكّمت وأحمكت، ونـقضـت وأبرمت، وأمّنت وخوّفت، ووعدت وسوّفت، ووشّعت وفوّفت [2]، وأنشأت وأنشرت، وافتكـرت وابتكـرت، وأطنبت وأوجـزت، وأعجبت وأعجـزت، ونسجت وطـرزت، وبنيت وقـوّضت، وقلّدت وفوّضت، وروّحت وروّضت، وختمت وعنـونت، وحتّمت وكـونت، وابتـدأت وأنهيت، وصقلت وأمهيت، وبـريت وبـرّأت، ودريت ودرّأت، وحللت وعقدت، وانتقيت وانتقدت، ورقمت ورقشت، ونقحت[3] ونقشت، ورشت ونشت ونعشّت وملأت البروج بالدراري والدروج بالدرر، وجلوت بلجة بياض الطرس في دلجة سواد النفس في الأوضاح والغرر. فمنهم من احلت على رسوله/ بسؤله، ومنهم ٧٢ ب من بشرته باقباله وقبوله، ومنهم من عرّفته بمأموله من عُرف مأموله وما هو له من معمور بلده ومأهوله، ومنهم من رددتُ اشتطاطه وقبلتُ اشتراطه ونشّطت عقلته بعد أن عَقَلت نشاطه، وأوثقت بالعصمة والنعمة ارتباطه واغتباطه، ومنهم من وقفته بين المحبة والمهابة واسعفته بالاجارة والاجابة، وأزلت ما سامره وخامره من الاسترابه. ومنهم قطب الدين إيلغازى بن آلبي بن تمرتاش الارتقي [4]، رتق فتقه ورعى في اعتذاره حقه، وآفـاق من نشوته وانتشا بنا الاحسان أفقه. وكان أمره كما ذكر في فصل من كتاب:

ولما رأى [5] صاحب ميّافارقين أن أخت صاحبته قد ابتنى بهـا ابن عمه خـاف ان يجمع له بين الاختين فراسل ببذل الخدمة التي يكون فيها لنور الدين ثاني اثنين، وقرر ان ينهض عسكره في اوقات [6] الملاقاة، وأن ينتقل من حكم الثقاف [7] الى حكم الثقات.

فصل من انشائي من تقرير آمد على ابن قرا أرسلان ومصالحة ابن عمه صاحب ماردين

كـان الملك نور الـدين بن قرا أرسـلان في الخدمـة، منذ عبـرنا الفرات/، بنفسه ٧٣ أ وعسكره، ملازماً لنا بحرصه على المناصحة وتوفره، فأنجزنا له في آمد موعده، وأنجحنا مقصده، وقررنا أن يكون في الخدمة هو وعساكره، وراقتنا مباهج ابتهاجه بالانتماء الينا وسـوافره. ورأى صـاحب ماردين ان ابن عمـه قد فـاز بالسبق وحـاز الفضيلة، فدعـا بالاذعان وابتغى الينا الوسيلة. وقد كنا فتحنا من بلاده طرفا، وحرّكنا من قلبـه شنَفا،

---

(١) أنظر لسان العرب، مادة «بتك»، جـ ١٠، ص ٣٩٥.

(٢) ششن «فوفيت»، ص ٩٦. أنظر بشأن «وشع» لسان العرب، جـ ٨، ص ٣٩٤، و«فوّف» لسان العرب، جـ ٩، ص ٢٧٤.

(٣) ششن «ونفخت»، ص ٩٦.

(٤) أنظر وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٢٠٧.

(٥) هذه الفقرة مكرره حتى «ثاني اثنين». أنظر ص ٦٧أ من الأصل.

(٦) ششن «اقات»، ص ٩٦.

(٧) ششن، «النفاق» ص ٩٦ والثقاف: العمل بالسيف. لسان العرب، مادة «ثقف»، جـ ٩، ص ٢٠.

فحين عاد إلى الحمد والاخلاص شملته عاطفتنا بالاصطناع والاختصاص، وملّكناه ما ملكناه عليه، وأعدنا كل ما أخذناه من ولايته اليه، واستمسك منا بحبل العصمة واستقر أيضاً أن يكون عسكره عند الغزاة في الخدمة.

فصل من انشائي في فتح آمد الى الصاحب

صدرت هذه المكاتبة من آمد بعد فتحها وإسفار ليلة السُّرى في القصد لها عن صبحها، فانه لما وصل اليه التقليد الذي هو إقليدُ رتاج[1] اقليمها ومفتاحُ باب تسليمها، سار اليها ففتحها، وختم وورد جمّتها التي طالما صدت عن صدائها الحائمين، فمنحها
٧٣ب وهي المحجّبة التي كشفت ستورها، ودار لعصمتها كسوار معصمها سورها/ وغلت على انها السوداء على خُطّابها لان المهج مهورها، وطالما نأت بجانبها للاعراض، ونبا جوهرها عن الاعراض، وصافت دون أوصافها سهام الأغراض، ودرجت الملوك على حسرتها فلم يحسر لها لثاما، وما استطاعت لثَغرها ثلما ولا لثُغرها التثاما. فلما وصل اليها وصال عليها منعت كعادتها العادية وصالها، وحرمت المنى منالها، وحجبت عن الحجى حجالها، وصدّت بوجهها وتصدت لنجهها[2]، وردّت شفاهها وردعت سفاهها، فبدا صاحبها بالانذار فكذب النذير وانكر التقدير.

ذكر القفول بالنصر الدّارّ بالحفول وعبور الفرات وفتح تل خالد

وقفلنا عن آمد وقد فُتح مقفلها، ومُتح منهلها، وجليت بسناها عروسها، وحليت بجناها غروسها، وأسنيت عروشها، وأنست وحوشها، وامتزجت بجيوشنا جيوشها. ووصلنا الى الفرات في مراحل مريّ حلبها همّ أمر حلب، وجردنا لها الطلب، وعبرنا الفرات ببحر الجيش اللُّجّي، وغزونا[3] النهار بليل العجاج الدجوجي. وارعبنا بتقليب الأرض قلب السماء، وفرطنا بمُشرعات الأسنّة جوز الجوزاء، وكسونا بمشرعات الأعنّة
٧٤أ عُرى العراء، وأسدلنا على الخضراء ستر الغبراء/ وسلونا عن السوداء بحب الشهباء.

فصل من كتاب

ونزلنا على تل خالد يوم الثلاثاء ثاني عشر المحرم، وقد كان تقدمنا (الأجلّ)[4] تاج

---

(١) ششن، ص ٩٧ «تاج»، والرتاج: الباب العظيم. لسان العرب، مادة «رتج»، جـ ٢، ص ٢٧٩.

(٢) في الأصل «لنحهها» وأضاف ششن بعد ذلك كلمة «لنحوها» وهي إضافة من عنده ولم ترد بالأصل، ص ٩٨. والنّجه: استقبالك الرجل بما يكره وردّك اياه عن حاجته، وقيل: هو أقبح الرد. لسان العرب، مادة «نجه»، جـ ١٣، ص ٥٤٧.

(٣) في الأصل «عرونا»، أنظر السنا، ص ٢٢٣.

(٤) الزيادة من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٢.

الملوك بورى أخو السلطان اليها وأناخ عليها، وقابلها وقاتلها وعالجها ولو شاء لعاجلها. ولما أطلّت عليه[1] راياتنا ألقى من فيها بيده، وأنجز النصرُ صادق موعده، وأصفى عند موردها عذبَ مورده، وأجرى الله تعالى على العادة فلا عُدم فضلُها رجاء معوّده. وكتابنا هذا وقد جازتها القبضة واستفتحت بها هذه النهضة. وأرسلتها حلب مقدمة لفتحها، وعوجلت ليلة سرى العزم بصبحها.

ومن الإنشاء الكريم الفاضلي في المعنى

أن رايتنا[2] المنصوبة المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها بطبعها، وسيوفنا مفاتح[3] الأمصار نفتحها[4] بنصر الله لا بحدها[5] ولا بقطعها[6]. فقد كفانا الله من احتياز[7] باجتياز، وقد سبق الحصولُ عليها الوعدَ منها فلا مؤونة لمطل ولا منّة لنجاز. ولما قطعنا/ الفرات بعثنا سرعان[8] العسكر المنصور إلى تل خالد فنزلوا بعقوتها[9]، ورفع ٧٤ ب المنجنيق يده إلى ذروتها. فلما نزلنا بها نزل من فيها على حكمنا، وأجريناه[10] من الإحسان على رسمنا، واستجار من حربنا بذمة سلمنا. وطوينا إلى أخرى بمشيئة الله قريباً كتاب فتحها، ويقرّ الله بها العيون أسرع من لمحها.

وفي المعنى: كتابنا هذا وقد جزنا الفرات ونزلنا على تل خالد واستنزلنا من بها على السّلم، وأَذْمَتْ(*) له من عادة الفتك عادة الظلم، وفي الحال تسلّمت قلعتها وبلدها، وكرم بالنصر موردنا وصفا بالعدل موردها، وتجاوزنا عمن بها قادرين، وتجاوزنا عنها إلى أهم منها سائرين. وأصدرنا هذه البشرى حامدين لله شاكرين، فذكرناها لك لنسرّك بها فإن فيها ذكرى للذاكرين.

وفي ذلك أيضاً من الإنشاء الكريم:

من النعم ما يزيد على[11] حلاوة موقعه بديهة مطلعه، ويرفع من قدره سهولة

---

(١) في الروضتين، «عليها»، جـ ٢، ص ٤٢.

(٢) في السنا، «راياتنا»، ص ٢٢٣.

(٣) في السنا، «مفاتيح»، ص ٢٢٣.

(٤) ششن، «تفتحها»، ص ٩٩.

(٥) في السنا «لأخذها ولا يقطعها»، ص ٢٢٣.

(٦) ششن، «تقطعها»، ص ٩٩.

(٧) ششن، «اختيار»، ص ٩٩.

(٨) في السنا، «سرعات»، ص ٢٢٣.

(٩) في السنا، «بعقوبتها»، ص ٢٢٣.

(١٠) في السنا، «واجزيناه»، ص ٢٢٣.

(*) أنظر لسان العرب مادة «ذمت».

(١١) كتب فوق الحرف «على» مباشرة الحرف «في»، تصحيح بخط آخر، وهي أكثر ملاءمة للسياق.

أمره، ويصفّي من مورده ورود النجح سائقاً لموعده، وتلك النعمة في فتح تل خالد، فإنه
٧٥ أ أعطى القياد[١] قبل عراكه ولم يفرط ممن به فارط يحتاج إلى استدراكه. فنزل مستعفياً/
من المنازلة، وألقى بيده قبل لقاء مواقف المقاتلة. وكتابنا هذا وقد تسلّمنا قلعتها ذات
الهضبة المنيعة، وبلدته ذات الرساتيق الوسيعة الوشيعة، وجاء هذا الفتح لما بعده من
الفتوح طليعة، وكان عجالة القرى عند مقْدَمِنا من بلاد الجزيرة، وسابق فتوح ما بعده
من البلاد الكثيرة. والله يتولى من ذلك ما يكون الصنع فيه صُنْعه، وما لا يبلغه المجتهد
وإن بذل وُسعه.

ذكر الوصول إلى عين تاب

ثم نزلنا على عين تاب جائزين ولأعمالها حائزين وبالنصر من الله فائزين. فنزل
صاحبها الينا ناصح[٢] الدين محمد بن خمارتكين ذو المكان المكين والحصا[٣] الرزين
الرّكين، وتبرّع بطاعته وشرع في بذل استطاعته، وأخذ جموع أصحابه بالاصحاب،
وجنوح أسبابه بالاستتباب، وأحكامه بالاحكام وإلزامه بالالتزام، وخلط عسكره
بعسكرنا، وربط مفخره بمفخرنا، وأبدل النّزال بالانزال، وعجّل ما نوى لنا من النوال،
فانزل من المنزل ما فضل وبه فضل[٤] وتحمّل من الهدايا والتحف ما ثقل لمّا حُمل.
فهنأنا[٥] له النحلة وعَجّلنا عنه الرحلة، وذلك بعد أن مكّناه في مكانه وأحسنّا اليه
٧٥ ب لاحسانه، ووفرنا زينته ووقرنا رتبته[٦] فاجتاب لما احتبى[٧] خلعته/ واحتل لما حلّى
قلعته. وقرّت عين عين تاب، تابعة للامر، قارعة ذرى الفجر، سابقة الى الاستسلام،
صادقة في الاعتصام، جارية مع الدولة في مسلك المرام وسلك الانتظام، راجية كرامة
صاحبها بالجميل[٨] لكونه من جملة الأصحاب الكرام.

فصل من الانشاء الكريم فيه

ووصل صاحب عين تاب بنفسه وبعسكره مسابقا للنزول عليه بمحضره، وملقيا
بيده من معقله، ومستذِمّا بالاحسان الذى ورد عذبا من منهله، ومُهديا لما صرف عن قوته
الى ما فتح له من تحيّله، وانه اقرّ في مكانه، وعومل بفضل الابقاء واحسانه. واستجلب
سواه ما فعل معه، ونحن على انتظار من اذا سمع ما رآه المذكور تبعه.

---

(١) ششن، ص ١٠٠، «القيادة».
(٢) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٣٩ «ناصر»، وكذلك لدى ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٥.
(٣) ششن، ص ١٠٠ «الخصال»، أنظر لسان العرب مادة «حصى»، جـ ١٤، ص ١٨٣ - ١٨٤.
(٤) ششن، ص ١٠٠، «فصل». (٥) ششن، ص ١٠٠ «فهنينا».
(٦) في الأصل غير منقوطة.
(٧) في الأصل «فاجتاب لما اجتبى». أنظر لسان العرب، مادة «حبا»، جـ ١٤، ص ١٦٠ - ١٦١.
(٨) ششن، ص ١٠٠، «الجميل».

ذكر الوصول إلى حلب في المحرم من السنة

ووصلنا إلى حلب وعماد الدين زنكي بن مودود[١] ثاقب سمائها، وراكبُ شهبائها[٢]، ومفترعُ عذرتها، وفارعُ ذروتها، وقارع مروّتها، وبدر هالتها، وصدر جلالتها، وحصين قلعتها، وقرين تلعتها/، وأمين سلعتها، ومالك بضاعتها، وملك ٧٦ أ جماعتها، وليث غابها، وغيث سحابها، ومقيم أرضها، والقائم بفرضها، ورابض حماها، وحامي ربضها[٣]، وآمرها وناهيها، وزاهرها وزاهيها، وشاه رقعتها، وجاه بقعتها، وضوء بلجها، وضوع أرجها، ووجه انيسها[٤]، ووجيه ناسها، ووارث ارثها، وباعث بعثها ووالي جنتها، وحالي وجنتها، ورضوان قصرها، وسلطان عصرها، ومروّض جَنانها، ومرّوج جِنانها، وراعي رعاياها، وقاضي قضاياها، ومشتري فلكها، ومشتري ملكها، ومالك بلدها، وسالك جددها، ومبدي فجرها، ومجري مجرها، وجار جرمها، وجارّ عرمرمها. وهو مع ذلك على ما في يده متخوّف والى سنجار بلده متشوّف، ولتصريف الزمان ومدده متعيّف، ومن استئناف الحرب مع امكان السلم آنف، ولكنه بأمر الامراء النورية مستنير، ولرأيهم فيها رابه وراعه مستشير. وكل منهم على سبيل التعصّب والتصعّب والتبغّض والتغضبّ بالشر مشير وللثأر مستثير. وكم وكم أوقدوا للحرب نارا، وعقدوا للشر شرارا، وشاموا البيض وساموا التحريض، وبارزوا الاقران وحاجزوا الشجعان، واستحلوا ضرب الضرب واستَمْروا طعام الطعان، واستمرّوا على الهرّ ومرّ[٥] الموت وهز المُرّان، واقحوا وواقعوا وعاقروا/وقارعوا، وخرجوا مدججين في ٧٦ ب بحر الحرب ملجّجين وفي ليل النقع مُدْلِجين، والى الركوب اليهم والوثوب عليهم محوّجين، وثبتوا على دين الجلد وثبتوا دون البلد، واستنّوا من الجدّ في سنن الجدد، وأخذوا في تكثيف العُدد وتكثير العَدد وتضعيف المدد. ودفعونا عن مقارنة السوء ومقاربة السور، واحتموا بارتداء حومة الردى عارين من عار المحصور المحسور، وضاربوا الاضراب وأرضوا ببسالتهم الأسد العضاب[٦]، وروّعوا روع الروع ووسّعوا خطى

---

(١) هو أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي والمعروف بصاحب سنجار. وكان قد ملك حلب بعد وفاة ابن عمه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي. سلم حلب للسلطان صلاح الدين وأخذ عوضها بعض مدن الجزيرة فانتقل إلى سنجار وبها عرف وتوفي في المحرم من سنة أربع وتسعين وخمسمائة. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١. ذيل الروضتين، ص ١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٦، ص ١٤٤.

(٢) في السنا، «شهابها»، ص ٢٢٣.

(٣) في الأصل «برضها» وهي تحريف.

(٤) في الأصل، «انيساها».

(٥) في الأصل: بمرّ.

(٦) ششن «الغضاب»، ص ١٠٢. أنظر لسان العرب، مادة «عضب»، جـ ١، ص ١٠٩.

الكره إلى الطوع، فإذا ساءوا بالاقدام سرّوا، واذا فروا وفّروا، وإذا (*) فرّوا كرموا وكرّوا. وهم على كل حال أجناد الجهاد وأجلاد الجلاد، وكماة المأزق وحماة الحقائق، وحُمس اللقاء وشمس الاحراء. ومنهم النورِّية النارية الاذكاء، القارية الرماء، الهائجة إلى الهيجاء، المائجة في دأماء الوغى بأمواج الدماء، ومنهم الياروقية[١] الرُوق وقد سلفت لاسلافهم واخلافهم على الاسلام الحقوق. والسلطان لا يؤثر جراحهم ولا يروم اجتياحهم، ولا ينكر اجتراءهم واجتراحَهم، ويفكر كيف يطغى بغير حرق احتراقهم، ويكفي بغير قرح اقتراحهم. وقد اعجبته في مقام الاقدام سماحتهم وحماستهم، وراقه ٧٧ أ بأسهم وبسالتهم/ وثبتت عنده بالتجريح عدالتهم، وحالت له حالتهم، وترجحت في نظره استمالتهم، ولم يظهر للكريهة وان ظهرت(**) كراهته، ونبّت همته ان يترك نباهته. ولم يزل يكفّ الاصحاب عن هوى الهوى في مطار المطاردة، ويرجو عواقب المقاربة ويزجي مبادىء المباعدة ويشيع انهم لانتهاز فرص(***) القنص بزاة الغزاة، واصلاحهم بالمولاة أولى من افسادهم بالمعاداة. وكان هو مع عقلاء العسكر يتقي، واليزكية مع جهلاء المعشر[٢] تلتقي، ونفع الرقعة صباح مساء يرتقي والذِّمر المشيح بأشطان الاسل يستقي.

وكان تاج الملوك أخو السلطان فارس الفرسان ومعفّر الاقران، ومعثر الشجعان بحكم شبابه الطري وشباه الطرير، ولما سبق به حكم الله في التقدير، يسرع الى الحملات ويشرع الأسَلات، ويعيم سابحُه في دأماء الدماء، ويقيم الحرب على ساق حيث لا ثبات للقدم، ويعتري الوجود بالعدم. وقد سلبت رزانة حِصاه[٣] خفة حصانه، وكم جار عن مجاراته مدانيه في ميدانه، يشك بالرّديني ردن الرّدى ويفك بيد الأيْد عُرى العِدى. وهو مقدام متذمر، متهوّر[٤] متمرّن، على حب الكريهة متنمّر، محب ٧٧ ب للموت ملب للصوت، طائر لكل هيعة ثائر لكل روعة، واقع على/ كل وقعة، زعيمَ كل

(*) إضافة يقتضيها السياق.

(١) جماعة بكتمش بن عين الدولة الياروقي وهم قطعة من جند حلب. أنظر المقريزي، السلوك، جـ ١، ص ٨٣ وهم ينسبون أصلاً إلى ياروق بن أرسلان التركماني سكن بظاهر حلب بنى على شاطىء قويق هو وأتباعه أبنية صارت تعرف بالياروقية أيضاً وهي شبه قرية وسكنها هو ومن معه. ابن خلكان، وفيات، جـ ٦، ص ١١٧.

(**) في الأصل: ظهر.

(***) في الأصل: الفرص.

(٢) في الأصل «المعسر» والتصحيح من السنا، ص ٢٢٤.

(٣) الحصاه: العقل. أنظر لسان العرب، مادة «حصي»، جـ ١٤، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) ششن، ص ١٠٣ «متهوز».

جحفل، عظيم كل محفل، ضرامي الوقدة، ضرغامي الوقذة، ليثي اللَّوثة، عُمَري الأحدوثة. فما زال الاقدام به حتى تورّط، وفراه طعن في فخذه حين فرّط، فما ملاّه الامل ولا أجّله الاجل. وسنذكر شرح ذلك مع ذكر النزول بظاهر حلب في منزلتين.

ذكر المنزلة الاولى بالميدان الأخضر

نزلنا بالميدان الأخضر في الزمان الانضر، والربيع في ريعانه والصنيع في احسانه، والدهر[1] في زهره وزهوه، والشجر في نوره ونوئه والروض في ضوعه وضوئه، والطير في شوقه وشدوه، والدوح بالوُرق بين أوراقه في حدوه، وللاشجار اشجان تبثها الحمائم، وللزوار ادوار تحثها العزائم. والنوَّار قد شبَّ وشاب، والهزار قد لّب ولاب، والعندليب قد طرب وغنّى، والحبيب قد طرف وتجنّى، وللاندية انداء، وللاودية اوداء، وللصبا صبابات، وللبيب لُبانات، والشادى هزج، والنادى أرج، والوادي بهج، والعيش رغد، والطيش غرد، والحسن جاذب، والحزن كاذب، والبلابل تهيّج بلابل الاشواق. واماني/ ٧٨ أ تكتب بانفاس الانفاس من الندى السحري في الاوراق، والنور شائب، والجور غائب، والدور راتب، والزور مواظب، واحداق الحدائق الناظرة[2] ناظرة، ولذّات الذات الحاظرة حاضرة، وغدائر الاعشاب واردة، وغدران الشعاب موروودة، والظلال ممدودة، والخلال مودودة، وساعات الفرص معدودة، وساحات الرخص محدودة، والحدود مسعودة والسعود مجدودة. وللشمال شمول وللقبول قبول، وللعرار شميم وللبهار نسيم، وللمجلس زين، وللنرجس عين، وللورد جنّة، وللورد وجنة، وللكمام أجنّة وللغمام دجنّه، وللأنس من الأغاني جَنّة، وللانس بالمغاني جُنّة، وللجدول جدوى وللبلبل شكوى، وللاقاحي ثغور وللضواحي حبور، وللشقائق خدود، وللحقائق حدود، وللرقائق لحون وللافنان فنون، وللحديث شجون وللاحداث وهون، ولجبهة الغدير من حركة النسيم غضون، ولهزة المسارّ أعطاف يقال لها غصون، وللتطريب تطرية وللتحريب تحرية، وللتعريد تعريب، وللتشبيه تشبيب، وللانشاد انشاء وللازهار ازهاء، وللنفوس بالنفائس اشتهار واشتهاء، وللانهاء الى قرار القريّ انهاء. فجئنا إلى حلب وفجأناها في أطيب أوانها وأحسن زمانها/ وفجعناها بكل طرب، وحرمناها كل ارب، ٧٨ ب واعدنا سلمها حربا وبردها كربا، وخدها تربا وحدها دربا، وحزنها مقتربا وسرورها مغتربا، وغمضها سهدا وشملها بددا، وجديدها سملا وجذلها جدلا، وبساتين خضرها ميادين خضرها، وأماكن مكينها مكامن كمنها، واثرنا الغبراء من خضرائها، وقلبنا

---

(١) في السنا «الزهر»، ص ٢٢٤.

(٢) كذا في الأصل ولدى ششن «الناضرة»، ص ١٠٤.

أرضها الى سمائها. وضربتْ سرادقات السلطان في(1) صدر الميدان، وضربتُ خيمتي عن يمينها على العادة في البستان. وكانت لي خيمة فويق نهر قُويق مضروبة، وهي محجبة عمن يشغلني عن مهام الخدمة محجوبة. ولقد أسفت على تلك المتنزهات كيف تشعثت وأيدي التعدي بها تشبثت، فان الحلقة الخاصة فيها ازدحمت، وعلى نثر منثورها ومنظومها انتظمت، ثم العساكر على كثرتها من بعيد بالبلد احاطت، واشتطت في حب الكريهة واستشاطت. وفي كل غدوة وعشية ركوب إلى كروب، وهبوب إلى وثوب، وزحف بحفز وعزم بعزّ، وجهلات وحملات ووثبات وثبات وفرّ وكرّ، وشزر وطعن يفصّل ويخيط، وضرب يطيش ويشيط، وعثير يرتقى وعاثر يتّقي، وعامل يجبي خراج الارواح
٧٩ أ بخروجها، وباسل يجلو أقمار الترك من الترائك في بروجها. وتاج الملوك موقد/ نارها وخائض تيّارها، ومضرم حربها ومغرم حبّها، ومتيّم كربها، ومتيمم تربها، ومقدم طعنها وضربها. والسلطان لرعيته في الابقاء وكراهيته للقاء واشفاقه على رجال الاسلام وأبطال الشام، يأمرهم بالكف وينهاهم عن الزحف ويقول مقصودنا البلد ومن دون فتحه على الجلاد الجلد. واذا تهيأ فتحه وتهنأ منحه عادوا عن العداوة، وآبوا وأبوا خلق الضر والضراوة، ويقيضهم عن أن يباسطوا ويتلو عليهم ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾(2). لكن كان الشباب يشبّون الضرام ويحبون الاقدام ويلبّون الحمام. فأصابت تاج الملوك طعنة لم يكترث بها، وفكّت رُكبته وقلّت ركبته بسببها، وفضت بفلول شبا شبابه، وذبول جنا جناحه، وحؤول(3) رتبته الى ترابه. وسنذكر يومه وكيف شغل يوم الفتح عن حتفه قومَه.

ذكر المنزلة الثانية على جبل جوشن(4)

ثم رأى السلطان أن مقامه بالميدان الاخضر لا يقضي بتضييق حصر ولا يفضي(5) الى تحقيق نصر. فأصبحنا بعد أيام على عزم الرحيل وازماع التحويل وعبرنا بمن(6) حضر
٧٩ ب من العساكر على بيوت الحاضر(7). / ولما وصلنا إلى جبل جوشن لبسنا جواشن الصبر،

---

(1) ششن، ص ١٠٥، «الى».
(2) سورة آل عمران، آية «٢٠٠».
(3) في السنا «مؤول» وهي تصحيف، ص ٢٢٤.
(4) جبل مطل على حلب في غربيّها. ياقوت، جـ ٢، ص ١٨٦.
(5) في الأصل «يقضي» وما أثبتناه أكثر مواءمة للسياق. أنظر أيضاً السنا، ص ٢٢٥.
(6) في الأصل «بمن» والسياق يقتضي التصحيح.
(7) الحاضر هنا هو حاضر حلب كان معروفاً منذ أيام الفتح العربي للشام. أنظر البلاذري، فتوح، ص ١٤٥ وكان إلى أيام ياقوت محلة كبيرة بظاهر حلب بين بنائها وسور المدينة رمية سهم من جهة القبلة والغرب وأكثر سكانها تركمان من أولاد الأجناد. ياقوت، معجم البلدان، جـ ٢، ص ٢٠٦.

وأنسنا من ليل النصر مطلع الفجر، وضربنا عليه الخيام واظهرنا به المقام. وأحضر السلطان بنّائين وصناعا ومهندسين، وأمر بحفر أساس قصر يبنيه ونصر مجتنيه، وحمد بالكف عن القتال يقتنيه، وقال: ان كان البلد[1] منازل فهاهنا منازلنا وبها تركز عواملنا، ونحن نتصرف في البلاد والأعمال ونقطعها للرجال ونترك حلب على ما بها من الحال. وأمر بترك القتال، والاعفاء عن النزال، والعسكر تركب في كل يوم صفوفا، وتطيل على الطلل وقوفا، وتعلق في اذان شراريفه من النصال شنوفا، وتشعل بنار أنفه عيونا وأنوفا[2]، حتى أنسنا النعشة وأنسينا الوحشة، وسكنّا ماكثين وركنّا لابثين، ولهونا عابثين لا عائثين، ولرسل الترهيب باعثين، وفي عقد الترغيب نافثين، ونذكر أننا من عباد الله الصالحين، الذين جعلهم الله للارض وارثين. وقد ضنّت[3] حلب بحلبها، وظنّت ببيضها ويُلبها[4]. ورنّت بأوتارها، وحنّت الى اوتارها، وثارت لثارها وطاش نحونا حجى حجارها، وثقل علينا حصا حصارها، ونادت الأسواء على اسوارها، وسمع شفاه سفاهها[5]، وفضع فحش[6] أفواهها وكثر سبع سباعها، وثبت حكم اجتماعها. / وما في القوم الا من حميت حميّته واهتمت همّته وأبت الا الاباء أبيّته، وخشنت كلمته وكلمت خشونته، وعلمت جهلته وعرفت نكرته، وبانت نَبْوته وما تجافت جفوته. والسلطان يحمل ويحلم ويتغابى وهو يعلم، ويتكرّه ويتكرّم، ويعاود الاستمالة ويواعد بالاقالة، ويعيد القول الجميل ويفيد الطول الجزيل، ويعيّن الاقطاع ويبيّن الضياع، وينادمهم بأسماء مناقبهم ويناديهم باسماء مراتبهم. فجدّوا بالاضرار وشدّوا أركان الانكار[7]، وصدّوا بوجوه الاعراض وقلوب النّفار، وعسوا على العجم وعصوا قبول الحكم، وحاصوا وصاحوا وبسر السر باحوا، وهم يحسبون أنهم يحمون الحمى لحمام صبور، ويحفظون العقيلة لمستام غيور. وما عرفوا أن صاحبهن قد أصحب بعد جماعه، واكثب بعد الظن بسماحه، ورغب في المبايعة وتقرب بالمتابعة، واختار السلم والسلامة، وآثر الكرم والكرامة.

٨٠ أ

(١) ششن «للبلد»، ص ١٠٦.

(٢) ساقطة لدى ششن، ص ١٠٦.

(٣) كذا في الأصل وكذلك في مخطوط السنا وأصلحها محققه بـ «صفت» دون مبرر، السنا، ص ٢٢٥.

(٤) اليلب: الدروع. أنظر لسان العرب، جـ ١، ص ٨٠٦.

(٥) في السنا «شفاعها»، ص ٢٢٥.

(٦) وردت العبارة في السنا «وقطع فحسن أفواهها»، ص ٢٢٥.

(٧) ششن، ص ١٠٧ «الافكار».

ذكر رغبة عماد الدين في السلم ودخوله في الحكم والمخاطبة فيه سرا من أصحابه والمراسلة في احكام احكامه وتسبيب اسبابه، وتسليم حلب/ على ما شرط وطلب، وكان ذلك في يوم السبت ثامن عشر[١] صفر سنة تسع وسبعين

٨٠ ب

وكان عماد الدين صاحب حلب للسوء عائفا، ولسوى العز عازفا، وبعواقب الأمر عارفا، وعلى نوائب الدهر واقفا، وفي كل ما يستبعد مقاربا، ولكل ما يكره مجانبا، وفي كل شديد ليّنا، وفي كل حديد هيّنا، ولكل مبهم مبينا، ولكل منعم معينا، راغباً في التحدي بالاتحاد والاعتداد، والاعتضاد والاجتهاد في الجهاد، وإماطة البلاء عن البلاد، والاحاطة بمراد المراد، وإماتة إيقاد الاحقاد، وعقد الحُبى لحبّ الاعتقاد، وفرض سدى السداد، ورفض عناء[٢] العناد، والنزول من سماء السماحة الى أرض الارضاء، والبروز في فيض الفضائل الى الفضاء، وحسم الداء قبل اعضاله باقتضاب الاقتضاء، وافكر ووجد عليه في كل شهر يفرّقه ثلاثون ألف دينار على الأجناد والأمراء. واذا طال الحصار وتعذّر الانتصار، راح الربح ورسخ الخسار. وكان يعتمد على رأي الأمير حسام الدين طمان (الياروقي)[٣] وهو قديماً يوالي السلطان ويُولي الاحسان، ويؤثر المرافقة والموافقة، ويحب في مضمار الولاء المسابقة. فأشار على عماد الدين بما كشفه/ من ضميره، ووعده اذا سفر فيه بازكاء[٤] الغرس وتثميره، وتسهيل الصعب وتيسيره، وترتيب النُجح وتدبيره، فخرج ليلا من باب السر سرا، وبرّ بالحضور وأحضر برّا. وقد قرّ بقربه السلطان وخلا به لخلابه، وعامله[٥] بآداب دأبه، وأخلى له جنا جنابه، وشفى عتابه باعتابه، وأبعد عنه الجوى بجوابه، وفذلك له بجود الجود حساب سحابه، وسامه اصحار الاسد الخادر من غابه، واعطاه يمينه مع سطر يمينه في كتابه، وانه اذا قضى برأيه ارَبه تابعه في آرائه وآرابه. فعاد الأمير طمان مطمئن الجنان مُرَجَحنَّ الميزان، طيب الثناء صيّب الحباء، وأفضى الى مخدومه بسرّ مكتومه وفضّ مختومه واستفاضة معلومه. فافتتحنا[٦] بِكره ببكر الفتح وقد جليت، وراية النصر وقد اعليت، وآية الظفر وقد تليت، وعروس القلعة وقد جليت، والابواب قد فتحت والآراب قد نجحت، والاوزان قد رجحت، والاحزان قد سرحت، والصدور قد شرحت، والامور قد

٨١ أ

(١) لدى مفرج الكروب «سابع عشر»، جـ ٢، ص ١٤٢. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧.
(٢) ششن «عنا»، ص ١٠٧ وبهذه القراءة شعر ششن أن المعنى قد اختل فافترض سقطاً في المتن.
(٣) الإضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٢.
(٤) ششن، ص ١٠٨ «باذكاء».
(٥) ششن «وعامله وآدبه بآداب...»، ص ١٠٨ «وآدبه» ليست من الأصل.
(٦) في السنا، ص ٢٥٥ «فأصبحنا».

صلحت. وعرف الامراء فمنهم من خجل، ومنهم من وجل. وكل منهم ندم على ما ندّ من إبائه، وعدم ما أعده ليوم بلائه، وحسب انه يذبّ عمن يشكر ذبّه[1]، ويحبّ من يذكر حبّه. فأرسل إليهم السلطان (و)[2] استزال روعهم وخوفهم، واستزاد طوعهم وشوقهم، ومدح لجاجهم والتجاجهم/ وأحمد ارتياجهم[3] واحتجاجهم، وشفع انكسارهم بجبرهم[4]، وقرظهم على صبرهم. ووعد كل معروف بمعروف، وبدأ بالاحسان الى كل شريف ومشروف، وحدثهم بما طيب النفوس بعد الحادث الذي شيّب الرؤوس، وأزال ببشره العبوس، وأطلع في مذاهب المواهب بعد غيّ الغياهب من انوار الرشد الشموس، وأوجد النّعمى واعدم البؤس[5].

٨١ ب

نكته: مدح القاضي محي الدين بن الزكي السلطان بأبيات منها:

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر	مبشّر[6] بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره، فكأنه من الغيب ابتكره. ففي صفر سنة تسع وسبعين كان فتح حلب، وكان فتح القدس سنة ثلاث وثمانين في رجب. ويشبه هذا انني في سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبي الاسطول المنصور في أبيات وهي:

يؤمل المملوكُ مملوكةً	تبدّل[7] الوحشة بالانس
تخرجه من ليل وسواسه[8]	بطلعة تشرق كالشمس
فوحدة الغربة[9] قد حرّكتَ	سواكن البلبال والمس
فلا تدع يهدم شيطانه	ما احكم التقوى من الأسّ
فوقع اليوم بمطلوبه	مما سبى الاسطول بالامس
لا زلت وهّابا لما حازه	سيفك من حور[10] ومن لُعس

---

(١) ششن، ص ١٠٨ «ربه». (٢) «الواو» مضافة لاقتضاء السياق.

(٣) في الأصل مشوشه والتصحيح من السنا، ص ٢٢٥ ولدى ششن، ص ١٠٨، «ارساجهم».

(٤) ششن، ص ١٠٨ «بخبرهم».

(٥) ششن، ص ١٠٨ «البؤوس».

(٦) في الأصل «مبشر» وكذا لدى ششن، ص ١٠٩ وابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٧ جاءت «مبشراً» في مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٥ وورد البيت في وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٣٣١.

وفتحك القلعة الشهباء في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

(٧) في الأصل «يبدل» والتصحيح من السنا، ص ٢٥٥، الروضتين، جـ ٢، ص ٤٦.

(٨) في السنا «وتواسيه»، ص ٢٢٦.

(٩) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٦ «فوحده العزبه».

(١٠) في الأصل: حوّ والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٦. وبشأن «لعس»، لسان العرب، مادة «لعس»، جـ ٦، ص ٢٠٧.

وانــي آمــل مــن بــعــدهــا   كــرائــم السبـي مـن الـقــدس

فجاء الامر على وفق الامل كما قلت، ووهب لي تلك السنة ما سألت واعطاني عام فتح القدس من سباياه ما أمّلت.

عاد الحديث في فتح حلب وتسليمها وتصحيحها بعد السقم بتقويمها وتسقيمها

وخرج عماد الدين زنكي الى خيامه التي ضربها، وشرع في استنجاز الموعد في البلاد التي طلبها، ولم يزل وزيره شمس الدين بن الكافي وهو من الكُفاة، متردداً في الطلب مع العُفاة. وأمرني السلطان بانشاء عهد(1) وانجاب(2) عقد، يتأكد به الميثاق ويتمهد به الوفاق فلازمني أياما وأنا أزيد تارة وانقص، وأغلي مرة وأرخّص، حتى حررت نسخة حكمها المُحْكم لا ينسخ، وعقدها المبرم لا يفسخ، وعلمها في السرائر يرسخ، وثوبها(3) بالمعاير لا يتوسخ. وأنعم عليه ببلدة سنجار، وآن لمطالبه ان تروج(4)، وزيد الخابور ونصيبين والرقة وسروج. واتخذ التحدى وتعدّى التعدي، وتهدّا التهدى، وتأيّدت/ الايدى وشمل الاسلام الجود المجدي، وعلا(*) الاشراك البأس المردى. ٨٢ ب

فصول من كتب انشأتها في فتح حلب

كتابنا مبشّر بفتح حلب الذى وقعه في الفتوح كوقعها في البلاد، وعزته في النفوس كعزتها في المراد. وقرنت الينا الشهباء، وسكنت بحركتها اليها الدهماء، وانجلت الظلماء وتجلّت النعماء وكشفت الغماء، وفتحت أبواب جنانها من باب الجنان، واعتمدت باحياء الشان إماتة الشنان، ولم يغل في الخطبة عندنا مهر حسنائها، ولم يصلح لركوبنا صهوة شهبائها، وكانت لنا وديعة في يد من بها، فأدى أمانتها ورأى بنا دون نفسه صيانتها، وما خلب حلب الا بارق عزمنا الذي ليس بخلّب، وما تركت يدها الا في يد حُوّل في تملك البلاد قلّب، وعوّضنا ابن اتابك عنها بلادا سلا باعدادها عن الفذّ، فحصلنا على الارفع الأمنع وحصل على الأمتع الالذّ(5). وحلف لنا وحلفنا له وحصل منّا له مناله وظفر بالمغنمين من ودادنا وبلاده(6)، وأظهر الحسنتين من طاعتنا وسداده. ولقد كانت الشهباء

---

(1) في السنا، ص ٢٢٦ «عهده».

(2) ششن، ص ١١٠ «ايجاب».

(3) ششن، ص ١١٠ «وتربها».

(4) في الأصل «تروح» وكذا لدى ششن، ص ١١٠.

(*) في الأصل: على.

(5) في الأصل «الألد».

(6) غير منقوطة أصلاً.

علمت بما جرى على السوداء فأصحبت قبل الرياضة ونهض جناحها[1] في مطار النصر تفاديا من أجنحة تلك المناهضة. / ٨٣أ

فصل آخر في المعنى

ولقد كانت شهباء وهي جامحة، ولبعد عهد اهلها بالجهاد طامحة، الى من يلجمها ويسرّجها ليملكها الذى يتفرّع من أصله فتوح البلاد وينتجها. فلما وجدت كفؤها وهبت نفسها وأطلعت لساري القصد لها صبحها بل شمسها، وأحمدت يومها فذمّت أمسها ومدّت يدها الينا للمبايعة، وعرضت علينا متاع المتابعة، فاشتريناها بأعواض وقابلنا جوهرها بأعراض، وتفرقنا بعد اللزوم عن تراض، وصرف دينارها منا[2] بدارهم، وظنّ من سمح بها حيث أبذل فذه بالاعداد أنه حاز المغانم.

فصل آخر من انشائي وذكر إزالة المكوس بها

ان الله ببركة أدعية الصالحين استجاب منّا الدعاء، وحقّق الرجاء، ويسّر النعماء، وسكّن بحركتنا الدّهماء، وكشف بنا الغمّاء، وملّكنا اليوم الشهباء، كما ملّكنا أمس السوداء، وجعل لمن يذبّ عن كلمته العلياء[3] اليد البيضاء. وكتابنا هذا وحلب قد حلّت لنا/ عقدة اشكالها، وأدرّت لنا حلب منالها، وفتحت من باب الجنان ابواب ٨٣ب جنانها، وشرّعت أبوابها للدولة ظامئة الى شرعة عدلها وإحسانها. وقد أفضنا عليها سجال العوارض وسجام المواهب، واعفيناها من المظالم والنوائب، واصفيناها من الشُّبَه والشوائب، وأزلنا عنها رسوم المعاير والمعايب، ونقلنا عن اسواقها[4] أوساق المضار ومتاع المتاعب، فأنوارنا في آفاقها طالعة، وأشعة سنا سنّتنا في فضائها بفضائلنا شائعة، وأوامرنا في مملكتها نافذة، وأيدى أيادينا بأطواق شكرها آخذة، واحتاج من بها فباعها بالعوض، ونزل عن جوهرها بالعرض. ولما منّ الله علينا بالغرض وجب علينا ان نستفتح شكره في الجهاد بأداء المفترض. وقد ربحتْ الصفقة، وأعطيتْ بحلب سنجار ونصيبين والخابور وسروج والرقة، وما خرجتْ هذه البلاد عنا فقد استقرت لنا عساكرها المستحقة.

فصل آخر من انشائي في المعنى وذكر أبواب حلب

وقد من الله بفتحها سلما لم نكشف لحوبها[5] قناعا، ولم نقصر/ لها في مدها اليد ٨٤أ

---

(١) ششن، ص ١١٠، «جناحا».

(٢) ششن «منا دينارها»، ص ١١١.

(٣) ساقطة لدى ششن، ص ١١١.

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ١١١.

(٥) أنظر لسان العرب، مادة «حوب»، جـ ١، ص ٣٤٠.

بالاذعان والمصافحة بـاعاً. وكشفت غمّـاها وأفـرجت، وألجمت شهباؤهـا وأسرجت، وشرّعت أبوابها وفتحت، وسرّت قلوب أهلها بقبولها وروّحت، وزخرفت لنـا من باب الجنان جنانها، وما كان الا الحلبة سوابقنا ميدانها، وأرج من باب قنّسرين[1] نسـرينها، وصفا لنا والله المعين معينها. فهي جنة عدن مفتّحة الابواب للمتقـين، وقد أورثنـا الله اياها وقد سبقت كلمته بإرث الارض لعباده الصالحين. ووجـدنا فتـح باب انـطاكية[2] مبشّرا بفتح سمّيه، وكذلك الولي يكون بعدُ وَسَميّه، وقد عرضنا من كان بها بلادا لنا ما لا نسمح به وهو عسكرها، وله مالاً نضنّ به وهو دينارها ودرهمها. وقد بقيت تلك البلاد بأيدينا فقد اعطيناها من يساعدنا على الغزو المفروض، ويقوم في إقامة واجبه بالنهوض. والحمد لله على الكلمة المتحدة والسكينة المتّئدة والألفة المتجددة والنصرة المتوحّدة.

فصل من انشائي في كتاب بشرح الحال الى خطلًبا والي زبيد [3]

وأما أحوالنا فقد تناسقت في النصر وتناسبت في حمد الله والشكر/ . وقـد سبقت ٨٤ب المكاتبات اليك بشرح ما سناه[4] الله من الفتوح وسبّبه، وقرّبه لنـا من الامور وهـذّبه، فبلاد الجزيرة قد استقرت في خدمتنا عساكرها، ودانت لطاعتنا أكابرها، وأمّر فيها امراؤنا وولي بها أولياؤنا، وأصحب ريّضها لرضا اصحابنا، وانصرفت نوائبها بتصرّف نـوّابنا، وعنا ذوو عنادها، وساد ذوو سدادها، ومجّدنا كرامها واكرمنا أمجادها، وروّضنـا بآلائنـا مواحلها[5] فما ضرّها أخلفها الحياء أم جادها. وديار بكر لما قصر أمد آمدها، وطالت يد أيدينا بالطول على معاهدة معاهدها، وفتحت سـوداؤها، واخضـرت ببركـة اقدامنـا في الاقدام غبراؤها، بعدما أغبّرت من مثار النقع عنـد نزولنـا عليها خضـراؤها، سكنت دهماؤها وانكشفت غمّاؤها واصحت سماؤها وصحّت اسماؤها، ووطيء بساط الخدمة ملوكها الصيد، وأقر بالعبودية لنا احرارها الصناديد. وجئنا إلى حلب وقد اسرجت لنـا والجمت شهبـاؤها، وزيّنت لتـزفّ علينا حسنـاؤها، وقـامت بعـذر خفـرهـا في تمنّعهـا عذراؤها، ودانت لأرَضينا في ارضائها سماؤها، وتحقق في عرفنا رجاؤها وأرجت بعرَفنا أرجاؤها، وظهر حقّها وخفي باطلها، وتروّض ماحلها وتحلّى عـاطلها، وعقـل جاهلهـا وغنم عاقلها، وانتظمت في سلك الممالك حصونها ومعاقلها، / وانضمّت الينا عساكرها ٨٥أ

---

(١) كوره بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص أي جنوب حلب. ياقوت، جـ ٤، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) مدينة على الساحل الشامي كانت قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. أنظر بشأنها ياقوت، جـ ١، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

(٣) بفتح الزاي وكسر الباء اسم واد باليمن به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون سنة ٢٠٤هـ. ياقوت، جـ٣، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٤) ششن، ص ١١٢ «مناه».

(٥) ششن، ص ١١٣، «مواجلها».

واستفاضت بنا مغافرها، وأطاعت عواصي عواصمها، وامتلأت المغاني بمغانيها وظهرت المعالي في معالمها[1]. ولم يبق الا التوفّر على الجهاد بالاجتهاد من سائر الجهات، وانجاز عـدات الله في النصر على العـداة، والسعي في تملّك القدس وافتتـاحه وتحصيـل مـراد الاسلام والنزول على اقتراحه.

فصل من إنشائي، من أخرى

ولما تسلّمنا حلب وتسنّمنا[2] قلعتها وفرّغنا شهباءها وسكّنا دهماءها، باكرنا بالايلاف فألفيناها على البكارة واجتلينا عروسها افقيّة الانارة، روضيّة النضارة، وزفّت الينا حسناء لم يغلها المهر، وعقيلة لا يسمح الا لنا بها الدهر. فقرّ بهـا سريـر السرور، وصفا لأهلها حبير الحبور، وتأصلت فيها أرومة الامور، وتـوالت النعم من الله في وفود الوفور، وتبلّج صبح اليسر ووجه البشر بالاسفار والسفور. وغضّ الظلم طرفه، وكفّ العسف كفّـه، وقبض الخَوَر يـده، وأوضح العـدل جدده، وحطّ الحظ لثـامـه، واخـذ بـالامر[3] نـظامه، ووجـد الشرع احكـامـه، وانجـابت الـظلماء، وطلعت الشمـوس، وانفـرجت الغماء وطـابت النفـوس، وأسقـطت/ المـظالم وأطلقت المكـوس، واهتـزت الاعطاف من سكر الشكر حين طافت من الطاف الله على الأمة الكؤوس. ٨٥ب

ذكر تسنيّ فتح حارم[4]

لما فتحنا حلب ودانت لنا معاقلها، وزفّت علينا عقائلها، بقيت حارم مع احد المماليك الصغار النورية (يقال له سرخك)[5]، وقد طمع فيها وظنّ انه يحميها.

وذكرت شرح الحال في فصل من كتـاب انشأتـه، وأبدعت مـا أفضى اليه الامـر وأبدأته:

وكانت اذ ذاك حارم باقية في يد واليها، حامية بنار حاميها، وهو مملوك نوريّ لا يُسرّ بمثله ثغر، ولا يُشدّ بكفايته أزر. وهو يراسلنا ويشترط ويشتط، ويرتفع في سومه ولا ينحط، ويبالغ ويغالب ويباعد ولا يقارب، ولم يدر أن له في حارم حارما، وأنه لا يجد فيها اذا عثرنا عشا ولا راحما[6]. وكان من ألطاف الله بها أنه في اثناء سومه ورومه ودورانه

---

(١) ششن، ص ١١٣، «معهاليها».

(٢) في الأصل «وتستمنّا».

(٣) ششن، ص ١١٤، «الأمر».

(٤) حصن حصين وكوره جليلة في شمال الشام تجاه أنطاكية. أنظر ياقوت، جـ٢، ص ٢٠٥.

(٥) الإضـافـة من مفـرج الكـروب، جـ٢، ص ١٤٦ وبشـأن تـوليـه قلعـة حـارم أنـظر ابن الأثـير، جـ١١، ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ أنظر أيضاً نفس الجزء، ص ٤٩٨.

(٦) في الأصل «راحما» بشأن راخماً أنظر لسان العرب، مادة «رخم»، جـ١٢، ص ٢٣٣.

حول حمى الطلب وحومه، وسباحته في بحر الغرور وعومه، دهمه من خطر البلاء ما لم

٨٦أ يخطر بباله من قومه. فان أجناد حارِم/ اتّهموه بمراسلة الفرنج ومداخلتهم، فأخرجوه واكرهوه على النزول ونزل به المكروه، واعلنوا بشعارنا، وكشفوا ليل لبسهم بنهارنا، فسرنا اليها وتسلّمناها ودبّرنا أمرها وأحكمناها. ووفرنا من الاحسان حظ أولئك المسلمين وتلونا في حقهم ﴿ان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[1]. فحينئذ صفت الشرائع وأضاءت المطالع، ورجفت انطاكية رعبا، وأثارت من رهج اختلاطهم ووهج اختلافهم سحبا، وأيقن الفرنج بانتهاء مدّتها واقتضاء عدّتها، واقواء قواها، وقطع مناياهم طريق مناها، فراسل صاحب انطاكية ضارعا، وللعجز عارضاً، والى الانقياد مسارعاً، وسيّر إلينا من اسارى المسلمين عدة[2] وافية، واظهر استكانة لاسباب الايقاع فيه منافية، وانخذل الفرنج في جانب القدس وربضوا وانهاضوا فما قدروا لخواً[3] فيهم من الخوف ان ينهضوا.

كتاب آخر من إنشائي:

صدرت المكاتبة مبشرة بما منّ الله به من الفتح العزيز والنصر الوجيز والنجح الحريز، والموهبة الواهبة قوة الاستظهار والعارفة المعرّفة زيادة الاستبصار، والنعمة التي جلت النعماء فجلّت، وحلت في مذاق الشّكر حلّت، وعلت بإعلاء كلمة الدين فانهلّت

٨٦ب وعلّت، وطالت يدها بالطّول وبأديها أظلّت. وذلك فتح حلب الذي/ درّ حلبه، ونجح طلبه، وبلغ أمد الفلج غلبه، ووضح لحبّ هذه الدولة القاهرة لَحَبه[4]. فإنه قد سكنت الدهماء منذ سكنت الشهباء، وبشرت بها بالأمس أختها السوداء، لما كان لنا من فتحها اليد البيضاء، فاخضّرت الغبراء، وآلت إلا تغبّر بعدها إلا في سبيل الله الخضراء. وتلاها فتح حارم الذي انحلّت به الداهية الحمراء، وعلت بالعواصم لقمع بني الأصفر راياتنا الصفراء، واهتزت طرباً إلى الجهاد في أيدي شائميها ومعتقليها البيضاء والسمراء، فقد زال الشغب وأسفر عن الراحة التعب، وخمد[5] اللهب وأخذت للغزاة الأهب، وسقت غيمة[6] الرأي بالري حلب، وقد اتحدت كلمة الإسلام وعساكره وصدقت زواجره[7] وربحت بالتنقل في الأسفار متاجره. والحمد لله الذي ضاعف المِنن وأضعف عن شكرها المُنن، وشمل بالألفة وألفّ الشمل، وأفضل بظهورنا وأظهر الفضل.

---

(١) سورة التوبة، اية «١٢٠».

(٢) في السنا «جماعة»، ص ٢٢٧.

(٣) ششن، ص ١١٥ «لخوافيهم». أنظر بشأن (خوا) لسان العرب، جـ ١٤، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٤) اللحب: الطريق الواضح. أنظر لسان العرب، مادة «لحب»، جـ ١، ص ٧٣٧.

(٥) ششن «حمد»، ص ١١٦.

(٦) في الأصل «عيمة».

(٧) في الأصل «رواجره».

ومن إنشائي أيضاً في فتح حلب:

كتابنا وقد أوضح الله في الخير السبل، وأملّ في النَّجح الأمل، وأعذب للرأي والري والعلّ والنهل، ونقع الغلل وشفي / العلل، وسدّ الخلّة وسدّد الخلل، وأدرّ لنا حَلْب حلب وأنجح فيها الطلب، وسلّم إلينا الشهباء مسرجة ملجمة، وألبسنا النعماء مطرّزة معلّمة، وجلا علينا رياض الرضا بعرف العرف فاغمة، وحياض المنى باليمن والمنّ مفعمة. وكادت تتمنع فأغلينا مهرها وأعلينا قدرها، ورغبنا في خطبها وما رعبنا بخطبها[1]، وتقرّبنا إلى أهلها فتأهّلنا لقربها، وفتحت أبواب جنانها من باب الجنان وحصلنا على المحامد الحسان بالإحسان. ثم شرّعت الأبواب وأحكمت الأسباب ونقعت اوامرنا أوامها[2]، وشفت أقسام عدلنا سقامها، وكشفت أشعة مشايعتنا ظلمها وظلامها، وسدّدت اراؤنا وآلاؤنا مراميها ومرامها، وخصصنا عامة الرعية بالرعاية، وأزحنا عنهم غيابة الغواية، وزالت المكوس وطابت النفوس، وأضربت عن الضرائب ووفّرت الرغبات بالرغائب، وفاضت أمواه المواهب، وفاضت مهج الأعداء، وغاضت لجج الاعتداء، وغاظت مواطؤنا الكفّار وملأت أنصارنا الأمصار وهيبتنا وهباتنا[3] القلوب والأبصار. والحمد لله الذي بلغ الإيثار ونعش العثار وحسّن الآثار.

٨٧ أ

فصل / من انشائي فيه

٨٧ ب

قد حقق الله لنا الارب، وأنجح الطلب، وأوضح المذهب المُذهب، وقطع الشغب، وأوصل الالفة بين اهل الاسلام السبب، وأخمد اللهب، ووفرّ للمؤمنين الرُّغب، وفي قلوب اهل الكفر الرّهب. فإنه أدرّ لنا حَلْب حلب، وملّكنا شهباءها التي جازت الشهب، وجمّل بسير[4] ايامنا التواريخ والكتب، وذلّل لنا كل ما صعب، وأدنى لنا كل ما بعد من الفتوحات فقرب، ولم يبق لنا إلا أن نأخذ في الجهاد الأهب، ونقوم بما علينا من جهاد اعداء الله (الذي)[5] وجب، والحمد لله الذى ملك وأعطى ووهب، وأعلى للعالمين كلمة الرّتب.

فصل آخر منه

كتابنا وقد افضل الله علينا ومنّ بما منحه، وبسط به الامل وفسحه، وأظهر به نهج النُّجح وأوضحه، ووهب للرجاء ما اقترحه، ووهب للزمان ما اجترمه من خُلف اهل

---

(١) «وما رعبنا بخطبها» ساقطة لدى ششن، ص ١١٦.

(٢) الأوام: العطش أو شدة العطش. لسان العرب، مادة «أوم»، جـ ١٢، ص ٣٨.

(٣) ششن، ص ١١٦ «وهيآتنا».

(٤) في الأصل «يسير».

(٥) غير واردة بالأصل وأضيفت لمواءمة السياق.

الاسلام واجترحه، وفتح باب الخير بما سهّله من أبواب الفتوح وفتحه، وأحلى حلية حلب لاجراء ضوامرنا[1]، وشفى اوام رعيتها في رعايتها بأوامرنا، وجلا علينا الشهباء في شهب سمائها، وانزل الى طاعتنا الملك الاشم/ من شمّائها، وملّكنا قياد كل أبيّ، وتواضع في افق مملكتنا كل حصن في السموّ كوكبيّ. ٨٨أ

فصل آخر منه

صدرت هذه المكاتبة وقد تضوعت ارجاء الرجا بأرج النَّجح، وأعقبت ليلة سرى العزم من النصر سفور الصبح، وفازت متاجرنا في سبيل الله بالربح، واجزل الله لنا نصيب المنّ والمنح. وذلك بما يسرّه لنا من فتح حلب سلماً أبدينا فيه صفحة الصفح، وسفرت وجوه المسلمين كافة بما وقعت السفارة فيه من هذا الفتح. وهو حتف عاجل للأعداء، وتحف الطاف للاولياء، وبانت شهب السماء بملكنا لها دون محلّ الشهباء، وجعل الله لنا اليد البيضاء في تسكين الدهماء، ولم يبق الا تصميم العزم على الجهاد في سبيل الله مشحوذة فيه مضارب المضاء، وقد دانت لنا بلاد[2] الشام بأسرها، وتضاعفت نعم الله التي لا نقوم بشكرها ولا نعرفها حقّ قدرها.

فصل آخر

ونعم الله دارّة، وفرص الجهاد ممكنة، والأيدى والآمال من الظَّفر والنّجح متمكنة، وللاسلام بتألف عساكرها المنصورة قوة لأهل/ الكفر مُوهِنة، وألسنة المحامد لنا بشعار الدولة معلنة، والمتجدّدات الموافقة لكل ما يؤذن بحصول المرام مؤذنة. وحلب قد حلّت لنا هديها، وحَلَت[3] لّما حلّت ثمرتها وطاب جنيها، وجلّت فجلت علينا عروسها لما كمل من عدلنا واحساننا حُليّها. وقد علت اعلامنا الصفر عليها كأنها علم في رأسه نار، وعزّت شهباؤها بنا عزّ الابلق الفرد فما لها غير حلبة عزّنا مضمار. وقد أخلى الله منا للجهاد الذّرع، ومهّد لاعدائنا الضرّ ولاوليائنا بنا النفع. ٨٨ب

كتاب آخر من إنشائي فيه: صدرت هذه المكاتبة مبشرةً بما منّ الله من الفتح الاغرّ، والنّجح الابرّ، والمنح الادرّ، والصبح الاسفر الاسرّ. وهو فتح حلب الذي حلا لنا لريّ الرأي حلبه، ووضح لحب وضوح دولتنا بالأدالة لَحبه، وانارت في سماء شهبائها الشمّاء بنموّ السموّ شهبه، وأضاء في فضاء الفضائل على علم العلا لهداية العاشين إلى نار الهدى لَهَبه، فالدهماء ساكنة والشهباء مسكونة، والرعايا آمنة والأذايا مأمونة، والايدي

---

(١) ششن، ص ١١٧ «ضوامرها».

(٢) في الأصل «البلاد» وسلامة السياق اقتضت التصحيح.

(٣) في الأصل «وحلب».

بأيدها للبلاد مستفيضة، والايادي بفيضها في العباد مستفيضة، وعدّ العدل غزير وجود الجود/ مطير، وقلوب القبول مبتهجه ومطالع المطالب مُتبلِّجة، والألفة شاملة والشمل ٨٩أ آلف والفضل وافر والظلّ وارف، ولمضارب نصل[١] النصر مضاء ولسنا افق التوفيق سناء، وعودُ الوعود بثمر الظفر مورق، وطائر الوطر بجناح النجاح محلّق، والجنى دان والدين جان والهدى هاد والندى مناد. وفتح الاسلام حتف الكفر، وربح الحق هو للباطل حقيقة الخسر، فلم يبق الاّ الاعداد لقمع جمع الاعداء والاضداد، والاجتهاد في صدق قصد الجهاد، وايقاظ الجفون من غرارها، فطالما قرّت بالاغماض في الاغماد، ونقل من قراب الهدى الى رقاب العدى وإضعاف الاعداء بتضعيف الاعداد. والغزاة قد شغل حقّها وبطلت شواغلها، ووليمة النصر على الكفار من ظمأ الظُّبى إلى طِلا دَم الطُّلى قد ورش[٢] واغلها، وقد آن ان يملأ بالأعنّة والأسنّة ساحل الساحل، وينزل الدين ويرحل الكفر، فما أوفر راحة المقيم واصفر راح الراحل، وان كان امس حد المسجد الأقصى فاليوم الادنى بنا يوم وفائه ووفاقه، وان ظهر شرّ الشرك فيه آونة فهذا اوان إخفائه وإخفاقه. والقدس قد سرّ سرّه منا بعزّ عزمنا، فقد جرينا في تعفية رسم البغي والغيّ على رسمنا. والحمد لله الذي بحمده/ تثمر الطاعات وتنزل البركات. ٨٩ب

ومن الإنشاء العالي الكريم المولوي الفاضلي كتاب إلى الديوان العزيز النبوي بفتح حلب

أدام الله سلطان الديوان ممتثلة مراسمه، متأثّلة مكارمه، متبارية رياض فضله وغمائمه، متكشفة بأنوار فضله ظلم الدهر ومظالمه، معليا للاقدار لثم ثراه فينال السماء من هو لاثمه، مخشية مباسمه، مغشية مواسمه، مقوّية ربوع اعدائه، فكلها الرّبع الذى أشجاه طاسمه. صدرت هذه الخدمة وقد تسلّم مدينة حلب ممتثلا للأمر الوارد عليه، واقفاً حيث وقف به الاختيار له وهداه اليه، وعوّض من كانت في يده ما اشترط فيه خدمة عسكره في الغزو الذي هو مراده، والجهاد الذى فيه اجتهاده، وقد كان الخادم أشرف على مدينة حلب عاجلا وقلعتها اجلا، الاّ انّه لما امر بالمصالحة والمصلحة سلك إليها هذه الطريق من الطريق وسلّم الأمر إلى وليّه بجمعه[٣] بين فريضة المطاع وفضيلة الشفيق. وقد نشر لبصيرته من أنوار الولاء ما لم يكن عنها/ انطوى، وعلم أن الآراء العالية مهما ٩٠أ ارادت فيه اتاه ومهما زوت عنه انزوى. وهو الآن مستقبل[٤] بمشيئة الله ما بورك له في لزومه، ولا يملّ العزم المستثير ولا يميل الى جثومه. ويستأنف من قتال الكفر ما كان اليه ظامئاً، ويسوم حظه من ثواب الغزاة التي ما زال طرفه اليها ساميا. ولو كان من ناضله

---

(١) في الأصل «تصل».

(٢) أنظر لسان العرب، مادة «ورش»، جـ ٦، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) ششن، ص ١٢٠ «بجمعه».

(٤) في الأصل «مستقيل» وكذا لدى ششن، ص ١٢٠.

وناظره لحظ بالامر من اوله، وأخذ بالحزم من مستقبله، لكان قد قدّم ما أخرّ وأورد ما أصدر. والله سبحانه يديم ايام الديوان لملك يصونه ويتيحه، ولطف يجريه الله على يديه ويبيحه[1] وضيم عن جهة الاسلام يزحزحه ويريحه.

ومن إنشائه الكريم في جواب شيخ الشيوخ

وصل كتاب حضرة سيدنا فأوصل الأنس إلى القلب، والنور إلى الطرف، وعقل الخاطر بالود وأطلق اللسان بالوصف، واستوحش لحظُه بعد استيحاشه لنظره، ورقع منه في روض كاد يمد يده لاقتطاف ثمره، ووقف على الكتاب الموصلي الموصل فيه القول، وعلى ما تلاه من فريضة رأى سيدنا التي لا حجب فيها ولا عول، وقد امتثل الأمر وقنع بما قنع له به ونزل عن البلاد لمن كانت حلب بيده/ وتسلمها، وعوضه عنها ببلاد الجزيرة إلا أقلها، واشترط خدمة العسكر في الغزاة التي مهما ملّ فإنه لن يملّها. وهذه المكاتبة صادرة وقد أحاطت اليد بحلب وكانت على الإحاطة برساتيقها وبلادها، وما كان يخاف إلا تأخُر أمر قلعتها، فعجّل بمشورة الآراء العالية وإرشادها، ومما يسّر من هذا الأمر ما كان مستصعباً، وأوجب من نجازه ما لم يكن مستوجباً، ما أشار إليه سيدنا من أن ينهض إلى هذه الجهة مع بعدها وحرّ القيظ فيها. ورأى أنه إذا جشمه الحركتين أزعج ذلك الجسم الذي يرفهه ويقنع من زيادته بالطيف، ولم ير أن يكلّفه الرحلتين رحلة الشتاء ورحلة الصيف، وهو يشكر الله على مصائر هذا الأمر، فالأمور لها مصائر ويسأله بلسان سيدنا وبلسانه أن ينوّر بصيرته في طاعته فيدعى بنور البصائر.

٩٠ب

ومن كتاب من الانشاء الكريم الفاضلي إلى الملك العادل

﴿ ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[2] وقد علم موقع حلب من البلاد، وموقعها من المراد، وفاتحة النجدة بها من الله في الجهاد، وفادحة فتحها في الكفرة والأضداد. وكتابنا/ وقد أنعم الله بها بسلم ما شفيت فيها للسيف غلّة، ولا ارتجت للردى علّة[3]، ولا أتى فيها ما يشق على أهل الملّة، ولا عدونا ما يبني للمسلمين العزّة ويورث عدوهم الذلة، وعوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والرقة وسروج والخابور، وهو صرف بالحقيقة أخذنا فيه[4] الدينار وأعطينا فيه الدراهم، ونزلنا عن المبيحات وأحرزنا العواصم، وسرّنا أنها انحلّت، والكافر المحارب والمسلم المسالم. وكتابنا هذا وقد تمكنت أعلامنا موفية على قلعتها المنيفة، وتصرّفت نوّابنا في مدينتها موفية

٩١أ

---

(١) في الأصل غير منقوطة ولدى ششن، ص ١٢٠ «ويتيحه».

(٢) سورة الحج، آية «٤٠».

(٣) «للردى علة» ساقطة لدى ششن، ص ١٢١.

(٤) أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٩٧.

بمواعد عدلنا الجليلة اللطيفة، وفرّقنا إقطاعاتها وبلادها وقلاعها على أهل الغَناء، وحصلت بيدنا وما فيها بالحقيقة إلاّ ما نرجو من آجله الأجر وعاجله الثناء. واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة، والحضور في مواقف العزم والمصابرة، وانتظم الشمل الذي كان نثيراً، وأصبح المرء بأخيه كثيراً، وذهب الكلال وأرهف[1] الكليل، ونزع[2] الغل وشفي الغليل. والحمد لله قولا يَسْترهن النعمة ويستزيدها، ونيّة تبدي العارفة وتعيدها، ونسأله إيزاع شكر ما بنا من مواهبه التي أحرزنا أولها في التعداد وأولاها بالاعتداد/. ٩١ ب

ومن الإنشاء الكريم المذكور: أولى ما انطلقت الأقلام والألسنة بذكره، وتجردت الخواطر لقضاء حق شكره، وهَني الإسلام فيه بيوم ضامن لما بعده من أيام نصره، ما كان لشمل الأمة جامعا، ولعدوّه كلّما همّ قاصراً وكلّما قام قامعا، وذلك ما منّ الله به من تسلّمنا مدينة حلب وقلعتها بسلم وضعت بها الحرب أوزارها، وبلغت بها الهمم أوطارها، وأحسنت فيها التقيّة أثارها، وعُوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لأنه مشترط عليه الخدمة بنفسه وبعسكره، ومختلط بالجملة فهو أحد الأولياء في مغيبه ومحضره. وكتابنا هذا وقد ظفر الساري بفجره، وحمد الصابر عقبى صبره، والأحكام في مدينة حلب جائلة، والأعلام على قلعتها محمولة بل حاملة، فالسيوف التي كانت لها مُبيحة هي التي كانت بصونها كافلة، وقد حقق الله الخير وزواجره، وصرف الضّير وأخرس زماجره، والألفة واقعة، والمصلحة جامعة، وأشعة أنوار الاتفاق شائعة.

فصل آخر منه

صدر إليك هذا الكتاب والاوامر بحلب نافذة والرايات بأطواق/ قلعتها آخذة. ٩٢ أ وجاء اهل المدينة يستبشرون، قد بلغوا ما كانوا يؤمّلون وأمِنوا ما كانوا يحذرون. والحمد لله على هذا المصير وعلى ما منّ به من هذا الطّول الطويل[3] في الزمان القصير، ونحن نستنصر بالله مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

فصل آخر من انشائه الكريم

ان الله سبحانه يسوق مقاديره إلى مواقيتها، ويؤلف بين قلوب اهل طاعته على طواغي الكفر وطواغيتها، ويتمّ ما سبق في مشيئته من جمع كلمة هذه الملة وتأليف شتيتها. ومن ذلك ما أنعم به من فتح مدينة حلب سلما سفر فيها وجه الاسلام، ورقي قلعتها سلما بمشيئة الله تعالى الى دار السلام.

---

(١) ششن، ص ١٢٢ «ارهب».

(٢) ششن، ص ١٢٢ «ترع».

(٣) ساقطة لدى ششن، ص ١٢٣.

آخر من الانشاء الكريم

يشعر الامير بما منّ الله به من فتح مدينة حلب التي هي مفتاح البلاد، وتسلّم قلعتها التي هي أحد ما رَسَتْ به الارض من الاوتاد. ولله الحمد وأين يقع الحمد من هذه المنّة[1]. ونسأل الله تلك الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية الموهوبة، فتلك الجنة. فانتظمت ٩٢ب الامور ونفذت الأوامر وسرّ أهلها سيرنا فيهم / ونرجو أن نسرّ به يوم تبلى السرائر.

عبرة

كان السلطان قد عينّ يوما للضيافة العمادية وأعدّ له من الألطاف الودادية ما يربى على التحف والهدايا العادية. وكان ذلك في المخيم قبل انتقاله إلى البلد، وصوّر له من نظائر جنّة الخلد ما لم يخطر بالخَلد. وجلا بها عرائس المحاسن ونفائس المزاين، وكملت لها أسباب وشروط[2]، ونظمت للسماط سموط، وترنّم الشادى[3] وترنح النادي، وأدى حق الطرب ذلك الوادي، فالنّغم[4] هزجه والنّعم ممتزجه، والارجاء أرجة والافاق متبلّجة، والالحان فصيحة والاوزان صحيحة، وفي نصب الخوان خفض عيش الاخوان، وكأنما اجتمع القمران بجلوس عماد الدين بجنب السلطان، والمجلس في أسرّ[5] مجلى، والدهر قد افاض علينا من انواره وانوائه سجلا. فبينا هم[6] في أحظى حضور وأحب حبور، وأسفر بهجه وأبهج سفور، وأتم نشاط وأنمّ اغتباط. إذ جاء بعض الحجّاب وأسرّ إليه بنعي أخيه تاج الملوك، فما تنكّب عن نهج ثباته المسلوك، ولم تتغير[7] طلاقة وجهه بانقباض قلبه وحزنه، وأمر سراً بتجهيزه ودفنه، وأعطى تلك الضيافة ٩٣أ حقها، / وبسط بسنا انبساطه أُفقها. فكان في ذلك اليوم ضدان، وليمة حسن وألم حزن، وموسم هناء ومأتم عزاء، وشجو نادب وشجو آدب، وفي جانب نائحة[8] نوح وفي جانب رائحة روح، وما وَفَى ذلك الفتح بذلك الحتف، ولا ذلك الرفق بذلك العنف. وجاءت البلّية منتشرة في طي النّعمة، والمنيّة تقضي والأمنية تقضى، والعمر يمضي والعمارة تمضى، والترح يمهي الغروب والفرج يلهي القلوب، والدنيا تعدي وافي مرّها والأخرى تدعو[9] الى أجرها، والموت ينقض ابرام الحياة، والليل ينسخ اية الاناة.

---

(١) في الأصل «المتة».

(٢) ششن، ص ١٢٤ «شرط».

(٣) في الأصل «الشاذي».

(٤) بالأصل «فالنعم».

(٥) ششن، ص ١٢٤ «أمر».

(٦) في السنا، «وبنياهم»، ص ٢٢٧ وهي تصحيف.

(٧) ششن «يتغير»، ص ١٢٤.

(٨) في الأصل «ناحية» والسياق يقتضي التصحيح. أنظر أيضاً ششن، ص ١٢٤.

(٩) في الأصل «تدعوا» ولدى ششن «يدعو»، ص ١٢٤.

ولـلانفس انفاس معـدودة وآساس مجـدودة، وطلولها أدراس وربـوعها أرمـاس. فكان السلطان في طرف من العثرة ينعش وأخوه العاثر في طرف ينعش، وهذا يضحك وذاك عليه يبكى، وهذا يحكي اصاباته وذاك مصابه يحكى. وها هنا دعوة الزهر وهناك عدوة الدهر، وها هنا عود يشعل وهناك عود يحمل. وانقضى ذلك اليوم أنسا ووحشة، ونعشا ونعشة، وضيافة وآفة وملكا وهلكا، وسعة وضنكا، وكرها وطوعا، وروحا وروعا، وعزا وعزاء، ونعمة وبلاء، وتواردت كتب الملوك بالتعزية والجري على رسم التسلية.

فصل/من انشائي في جواب كتاب صاحب ماردين بالتعزية

٩٣ ب

ورد الكتاب الكريم والبر العميم فجدد الابتهاج واجدى، وأعاد من الإحسان ما أبدى، وأتحف بما هدى إلى الكرامة وأهدى، وأولى المعروض وأسني وأسدى، فألفاه من الروض في السحر أبهج واعطر واندى. فأما ما تضمنه من اقامة سُنّة التعزية فهذه سبيلٌ كلنا على جددها، وغايةٌ لا بد من بلوغ أمدها، وشربـة لا ظمأ إلا في ريّهـا، ولهجة لا فصاحة إلا في عيّها، ورقدة لا يقظة الا في نومها، وساعة لا مقام في ليلتها إلا القيام في يومها، ومحجّة لا عبرة الا في عبورها، وحجة لا خفاء الا في ظهورها، وطريقة لا حقيقة إلّا في مجازها(١)، ومفازة لا مَفاز إلا بجواز أجوازها، وفناء لا بقاء الا في فنائه، وقضاء لا لزوم إلّا في اقتضائه. ولله عز وجل في كل حكم حكمة، وفي كل بليّة نعمة، وفي كـل عبرة موعظة، وفي كل قدرة آية من السّنة موقظة. فالحمد لله على السراء والضراء والتنبيه على التأهب من دار الفناء لدار البقاء. والسعيد من اغتنم الحياة الفانيـة للحياة البـاقية وأخلص الله عمله بالعقيدة الصادقة والسريرة الصافية. /

٩٤ أ

فصل من كتاب إلى صاحب السويداء في جوابه وقد توفّي أيضاً ولده

فأما ما أقامه من سنّة العزاء فنحن معزّوه في المصاب الذي نحن فيـه مساهمـوه، ولنصيب التفجع لُلمّه المؤلم مقاسموه، فعظّم الله لنا وله الثواب الصافي الاثواب، واجرى لنا وله الأجر الموعود به على الصبر والاحتساب، وان العاقل من لا يسخطه ما جرى من القَدَر بل يرضيه، ولا يفارق يقظته لما يقضيه. وما الأعزّة الا ودائع الله فاذا استردها فلا يعدّ ذلك من الفجيعة، والمودع الأمين لا يجزع لرد الوديعة، والاسى المفاجىء لا يتولج معاقل العقول المنيعة، والروعة الحادثة لا تلهى(٢) عن التحدث بما سلف من الصنيعة. وان الله عز وجل قد يبتلى عبده بنعمته، وقد ينعم عليه في ضمن بليّته. فيجب أن يكون المرء في الحالتين لا يميل به الخوف فيأسى، ولا يبطره الرّجا فيتناسى، ولا يأسف على ما

---

(١) في الأصل «مجارها».

(٢) ششن، ص ١٢٦، «يلهي».

فات فيهلك يأسا، ولا يفرح بما أوتي فيطلب في دار الوحشة إيناسا. والموت طريق إلى الآخرة لا بد من انتهاجها، والحياة حلّة ان راقت جِدّتُها فمرّ الجديدين يسرع في ٩٤ب إنهاجها[1]، وآية نفس تسكن/ الى قدرتها وقوتها والقدر المحتوم جارٍ باعجازها وازعاجها. انّا لله وانا اليه راجعون وبقضائه راضون ولقدره مستسلمون، لا مردّ لمراده ولا معاذ من معاده، وبهاء الدين يحافظ على بهاء دينه بما يلزمه من سنّة الصبر المؤذن بتسليته وتسكينه، والله يخصّه بتوفيقه وتمكينه.

ذكر القضاء بحلب

وعوّل في الحكم والقضاء بحلب على قاضي القضاة محي الدين بن الزكي أبي المعالي محمد بن علي القرشي[2]، فقضى وحكم ونقض وأبرم وعقد وألزم، وأنفذ وأمضى وأغضب في الله وأرضى، واستناب فيها القاضي زين الدين (أبا البيان)[3] نبأ بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسي.

ذكر دخول السلطان إلى مدينة حلب ومقامه في قلعتها واحسانه إلى رعيتها

ثم انتقل السلطان إلى حلب وأقام بالقلعة، مستوياً على عرش السمّو والرفعة، فأدار العدل في داره، وأفاض الفضل بأنوائه وأنواره، ووظّف المكارم وكشف المظالم، ٩٥أ ودفع النوائب/ ورفع الضرائب، وأسقط المكوس وأغبط النفوس، ووفى لمن وعده وان لم يكن له كما شرط في الفتح صنعٌ بعداته، وسعى القدر له في اعلاء اقدار سعاداته. وكتب الى أصحاب الاطراف والاوساط، لاجتماع[4] عساكر الجهاد من جميع الجهات عنده للرباط، وتم[5] له ملك الشام وسرّ سرّه بالتمام، وحالفه عماد الدين في الموافقة[6] في

---

(١) ششن، ص ١٢٦ «انتهاجها».

(٢) وهو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى، ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان، لقب بمحيى الدين ويعرف بابن زكي الدين. تولى قضاء دمشق سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. كانت له عند صلاح الدين منزلة عالية. وتسلم قضاء حلب بعد فتحها فاستناب فيها زين الدين نبأ بن البانياسي. وهو الذي خطب بين يدي صلاح الدين في أول يوم جمعة في القدس الشريف ـ المسجد الأقصى ـ بعد استعادته من الصليبيين. ولد سنة خمسين وخمسمائة بدمشق وتوفي في سنة ثمان وتسعين فيها. أنظر لترجمة ابن خلكان، الوفيات، جـ ٤، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٦ والصفدي، الوافي، جـ ٤، ص ١٦٩، السبكي، طبقات، جـ ٤، ص ٨٩، الذهبي، العبر، جـ ٤، ص ٢٠٥، الحنبلي، الشذرات، جـ ٤، ص ٣٣٧.

(٣) الإضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ٢٣٠، وبقي على قضاء حلب حتى سنة احدى وتسعين وخمسمائة. أنظر وفيات، جـ ٧، ص ٨٩.

(٤) في السنا «باجتماع»، ص ٢٢٧.

(٥) في السنا «ويتم»، ص ٢٢٧.

(٦) ششن، ص ١٢٧ «بالموافقة».

سائر المرام. وأمرني بكتب المناشير لأكابره وأماثله، بعدما خصّ أرباب الفضائل بفواضله. ومَرَت حلبُ حلْبَ مروّته، واعتصمت العواصم بعصمته، ووقفت القلوب في القبول بين مهابته ومحبته، وأسلى أهلها بحبائه عن حبّ من عداه، وعادوا أولياؤه على عداه، وأحسن رعاية محسني الرعية، وأعاد القضاء والخطبة إلى اهل مذهبه[1] الشافعيّة، وأعلا سنا السُّنّة، ولكم قلّد الاعناق من المنّة، وتباعد في ندى الندى عن مظان الضنّة، وترجح بعلاه على موازين الموازين المرجحنّة[2].

ذكر القلاع وما رتب من وجوه الاصطناع

أبقى عين تاب[3] على صاحبها وخصّه بايادي يده ومواهبها. وأما تلّ خالد[4] فإنه أنعم بها على بدر الدين دُلْدُرم[5] بن بهاء الدولة بن ياروق[6] / مضافة الى تل باشر[7] ٩٥ب قضاءً لحقّ مسابقته الى الخدمة التي بادر اليها وباشر. فهدم قلعتها وتصرف في أعمالها، واستبد بارتفاعاتها وغلالها. وأما قلعة عزاز[8] فان عماد الدين زنكي (بن مودود صاحب حلب)[9] كان قد هدمها لتوفّر قوتّه على حفظ حلب وما خطر بباله أنه ان ضويق سلّمها، فأقطعها[10] وأعمالها للأمير علم[11] الدين سليمان بن جندر، وكان قد أورد من المناصحة[12] وأصدر، فأعاد عمارتها أحسن ما كانت وظهرت آثار كفايته وبانت. وسلّم حارم الى احد الخواص من اهل الولاء والاخلاص[13]. وولّى القضاء بحلب محي الدين أبا المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي فرتّب عنه نائبا[14] وجعل له من رأيه راتبا.

---

(١). في السنا «مذهب»، ص ٢٢٧.

(٢) ششن، ص ١٢٧ «المرجحة».

(٣) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها وكانت من أعمال حلب. أنظر ياقوت، جـ ٤، ص ١٧٦.

(٤) قلعة من نواحي حلب. ياقوت، جـ ٢، ص ٤١.

(٥) الأصل: ذلدرم. جاءت في السنا، ص ٢٢٧، وفي مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧ «دلدرم». أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٥٣٠.

(٦) مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧ «بهاء الدين ياروق».

(٧) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب. ياقوت، جـ ٢، ص ٤٠.

(٨) وربما ذكرت «إعزاز» وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمال حلب. ياقوت، جـ ٤، ص ١١٨، ولدى ششن، ص ١٢٨ «عزار».

(٩) «بن مودود صاحب حلب» إضافة من مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧.

(١٠) أى السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(١١) أنظر مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧.

(١٢) ششن، ص ١٢٨ «المصادرة».

(١٣) ذكر اسمه في مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧ وهو «إبراهيم بن شروة».

(١٤) هو القاضي زين الدين نبا بن الفضل بن سليمان المعروف بابن البانياسي. أنظر ص ٩٤ب من الأصل.

وأقام في قلعة حلب سيف الدين يازكوج واليا[1]، بأوصاف الفضائل حاليا، ولانوار المحاسن جاليا. وولّى الديوان العميد ناصح الدين اسماعيل بن العميد، ووصل وجمع به حبل التسديد[2]، وشمل ما شملته يد التبديد. وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى [3]، وقد جلّ في صفات جلاله وسمات كماله عن الموازِن والمُوازي، وكان قد استصحبه من مصر عند وصوله إلى الشام، وعادت الامور بسيرته السّارة الى النظام. وما برح السلطان من حلب حتى استقامت احوالها علىٰ جدد الصلاح، / واستنامت آمالها الى مدد النجاح، واتسقت عقودها واشرقت سعودها، وقضيت حقوقها ونقضت حقودها، وسعد بوجوده وجوده وجودها، وتجدّدت بحدوده جدودها، وعادت نضرتها ونضر عودها، وضرب باسمه درهمها ودينارها، وأنارت معالمها وعلا منارها، وصدحت بالادعية منابرها وصدق لارعاء الرعية منّا برُّها، وسفرت وجوه الصنائع ووفرت جهات المنافع، ونابت أياديه مناب المنابع، ونجزت عدات الأنوار فكفينا مطال المطالع، وقطف مجانى المناجح مناحى المناجع، ودرّت في مسارح المسارّ ومبارك المبارّ رواتب الرواتع، ووصلت كتب المحبّين بدمشق باهتزاز أعطاف الاشواق ومزج مدام المدامع، فشرعنا في اصفاء المشارع واصفاء المدارع وجمع الأمراء للأمر الجامع، وسيأتي ذكر كل شيء فيما نبيّنه من المواضع.

٩٦أ

ذكر بعض المناشير التي كتبتها لأهل حلب.
منشور من إنشائى للشيخ الامام علاء الدين الكاساني
مدرس المدارس الحنيفية بحلب

٩٦ب

الحمد الله ذى المنن المتضاعفة المتظاهرة والمنح المتناصرة المتضافرة/، والنّعم المتكاثفة المتكاثرة والقسم المتوافرة، نحمده على نعمه الباطنة والظاهرة، ونسأله أن يصلي على سيدنا نبيّه محمد هادي وشفيع الآخرة، وعلى آله وأصحابه ذوي المفاخر العلية والمعالي الفاخرة وبعد، فان من شَرُف بالعلم قدره وشرح لشرح صدور المستفيدين بافادته صدره، وسما في سماء السنا لكشف ظلمات الشُّبَه بسنا هداه بدره، وسفر لتفسير معاني الشرع وتحقيق وجوه أدلته وجهُه، وأسفر فجره، وطاب في نشر مطاوي العلوم واحياء معالمها وإنشار مواسمها نشرُه، كان جديرا بتوفير الهمم على اعزاز جانبه، وابداء

---

(١) في ابن خلكان، وفيات، جـ ٧، ص ١٧٠ ـ ١٧١ وابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٥٠١ يازكج وهو من أكابر الأمراء الأسدية وورد الاسم صفحة ٤٣٠ «يازكش».

(٢) ششن، ص ١٢٨ «التشديد».

(٣) جاء في مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٧ «وجعل الملك بحلب لولده الظاهر غياث الدين إيلغازى بن يوسف».

انوار المناجح في مطالع مطالبه، وإصفاء مشارب الانعام له وإعذاب مشارعه، وإضفاء[1] ملابس الاكرام عليه واسباغ مدارعه، وتفويض مدارس العلم الى نظره وتصفية مورده به من رنق الشوب وكدره. والشيخ الامام العالم علاء الدين أبو بكر بن[2] مسعود بن محمد الكاساني ادام الله توفيقه ذو الفضل الواسع والعلم الجامع، والبرهان القاطع، والدليل الصادق الصادع، وهو البحر الطامي عبابه، والغيث الهامي سحابه، والعالِم الذي هو أوحد العالَم في عصره، والحبْرُ الذى حبّر علم الفقه بذكر وضوحه وايضاح ذكره، وهو مالكُ قلم الفتيا وسالكَ/ لَقَم العليا، وموضح المذهب الى رفع الخلاف، والموضع في ٩٧ سبيل الافادة بفضل الاسعاد والاسعاف، والمتحلّي من الفضائل بأحسن الحلى وأشرف الأوصاف. وقد أقررناه[3] على المستمرّ من عادته، والمستقرّ من قاعدته فيما هو مفوض إليه ومعوّل فيه عليه من تولّى المدارس التي تحت ولايته، ونظره ورعايته بمدينتى حلب والرّقة للحنفية وفقهم الله، وهي المدرسة النورية غربي الجامع عند باب الحلاويين، ومدرسة الحدادين ومدرسة جاولي وخزانة الكتب بالجامع، والمدرسة النورية بالرقّة على الفرات، وتولى أوقاف ذلك جميعه على الاستقلال والاستبداد. وان يستنيب في هذه المدارس من الفقهاء مدرسا ومعيدا ومفتيا ومفيدا. واليه العزل والتولية والتبديل، والعطاء والمنع والتسوية والتفضيل، وترتيب كل منهم في منزلته التي يستحقها بأهليّته والتنزيل[4]. فمن قبله فهو المقبل المقبول، ومن حرمه فهو المحروم المرذول، فانه ما يعتمد امرا الا بدليل مستنده المشروع والمعقول، وهو الذى دلّت على الفروع ببيانه الاصول، وصح بروايته واسناده المسموع والمنقول. وسبيل النواب اعزاز جانبه وانجاح مآربه، والشد على ايدى نوّابه، واظهار[5] جاه اصحابه، وتفريغ سرّه/ فيما هو بصدده ٩٧ وترفيه خاطره لإفادة العلم وإيضاح جدده، وكف أيدي معارضه في ولايته، واقامة حرمة الشرع به فانه نافعُ روايته ورافعُ رايته.

منشور من انشائي أيضاً لمحتسب حلب وهو شريف، متضمنا شروط الاحتساب

الحمد لله الآمر بالعدل والاحسان الناهي عن الظلم والعدوان، نحمده على ما قلّده من الامتنان، وهدى اليه من الايمان، ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد نبيّه واضع الميزان بالقسط الواضح البرهان، وعلى آله وأصحابه اهل الرحمة والرضوان. وبعد، فإنّا

---

(١) في الأصل «اصفا» وما أثبتناه اقتضاه السياق

(٢) هو مؤلف كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، والمتوفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة، و (ابن) ساقطة من الأصل.

(٣) ششن، ص ١٣٠ «اقررنا»،

(٤) ششن، ص ١٣٠ «والتزيل».

(٥) ششن ص ١٣٠ «واظهاره».

لما يفترض من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجراء أمور الرعية على وفق أحكام الشرع المطهّر، وأخذهم في معايشهم ومعاملاتهم ما يحظر[1] عليهم ملابسة الخطر، ويقيم الوزن بالقسط للبدو منهم والحضر، حتى تدوم المعاهد بالعدل آهلة، والمحافل بالفضل حافلة، والرعية في ملابس الرعاية رافلة، وسيدان[2] الأذايا وسراحينها عن سراح أمنهم جافلة. نرى أن نولّي الاحتساب من يكرم محتده ويسمو سؤدده، فيضح في

٩٨ أ النباهة بالفضائل والنزاهة عن الرذائل جددَه، ومن/ تقوى بالتقوى نفسه ويشرق في افق دينه بالتوفيق رشده، وتنبسط في الحق بالأيد يده، ويخلص لله في الاستقامة عن سنن العدل مقصده، ومن يستقيم في الديانة مذهبه ويصحّ فيها معتقده، ويعرف بالتوحيد توحّده، فيتحقق لنهج[3] سبيل الهدى تجرّده، ويصفو من شبه الشوائب مصدره ومورده.

ولما كان فلان أدام الله توفيقه جاريا في نزاهة النِّجار ونباهة الفخار على سنن شرفه، متّبعا في كرم المحتد وصحة المعتقد سنن سلفه، شافعا متّلده في الاحسان بحسن مطّرفه، مغضيا عن مطامح المطامع بعين عزوفة وأنفه، مهيبا لفضل وقاره، مصيبا في إيراده وإصداره، مجيلا قداح النظر في اختياره، مستطيلا على ذوى التقصير والاستطالة بانتصافه وانتصاره، عارفا بأحوال الناس في المعاملات والمعاش، ثابت القلب في ملابسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رابط الجأش. عوّلنا عليه في[4] تولّي الحسبة بحلب حرسها الله وفوّضنا اليه أمرها، ورفعنا به قدرها، وقلدناه عملها، وحلينا به عطلها، استنامة الى أمانته، وسكوناً الى صيانته وديانته، ومعرفة بشرف نفسه وعزوفها، وصدود همّته عن كل ما تأباه المروءة وصدوفها، واعتماداً على امانته التى على التقوى اعتمادها، (و)[5] استناداً

٩٨ ب إلى حَزَامته[6] التي إلى/ التوفيق استنادها، وثقة بسريرته التى بتأييد الله ثقتها، وفي مرضاة الله مقتها ومِقّها[7]، وعلما بسيرته التي لمح سنا محاسنها، وموالاته للدولة التي أبهجت الانام ايام أيامنها، فليتولّ ذلك بنهضة تامة، وكفاية لشمل المصالح ضامّة، وسياسة لشُعب الشَعب المُلِم لامّة[8]، وفي تهذيب الخاصة والعامة خاصّة وعامّة، ونظر

---

(١) في الأصل غير منقوطة.

(٢) جمع سيد وهو الذئب. أنظر لسان العرب، مادة «سيد»، جـ٣، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٣) ششن، ص ١٣١ «لنجح».

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ١٣١.

(٥) غير واردة في الأصل.

(٦) في الأصل «خرامته».

(٧) ششن «مقها ومقها»، ص ١٣١ والأصل مقتها ومقتها. أنظر لسان العرب مادة «ومق» والمقة المحبّة، جـ١٠، ص ٣٨٥.

(٨) في الأصل «لأمّة». وأنظر لسان العرب مادة «شعب» ج ١ ص ٤٩٨.

يذلل الجوامح ويروضها، ومنّة تستقل بالامانة نهوضها (١)، وفطنة ينكشف بها من الخافيات غموضها، وعدالة تقام بها من المعدلة سننها وفروضها، وهداية تنفى الضلالة وتنسخها، ودراية تحلّ عقد الشبهات وتفسخها، وصرامة تلبّى دعوة المستصرخ وتصرخها، وسيرة يثبتها كاتب اليمين ويؤرخها، وسطوة تدمّر الغواية وتدمغها، وشهامة تنتهي في حفظ الاعتدال الى الغاية وتبلغها، ورأفة بالمتوّرعين في المعاملة توسع عليهم المعيشة وتسوّغها(٢)، وعفة عن المطاعم والمطامع تضفي عليه حلل الثناء وتسبغها، ومحافظة على خلقه عند الانكار يحفظه فيما يحفظه، ومراقبة لله في السرّ والجهر تبهضه بما لا يبهضه، وتفكّر في الحوادث يحدثه بالغير ويعظه، وخشية لله في سائر احواله تنذره بالمخاوف وتوقظه. وليشرع في حفظ المعاملات على جدد الشريعة ومنهاجها/، وليصن ٩٩ حدتها بتجديد دعاء الناس اليها من انهاجها، وليعتمد في زجر الفجرة ما يؤذن باعجازها وازعاجها، وفي البر بالبررة ما يفضي باغتباطها(٣) وابتهاجها. وليعتبر اهل الاسواق فمن ألفاه أَلِفاً للسداد ألّفه، ومن عرفه جاهلاً بالمشروع عرّفه، ومن وجده متجوزا في امانته أوجده وخوّفه، ومن صادفه مائلاً عن منهج النصيحة صدفه وثقفه. وليتّبع المسكر باراقته، وليقم الحد على شاربه في حال افاقته، ومن ذاق منه من اهل التحريم ولو جرعة فليجرّعه من الحد مرّ مذاقته، ومن استوجب التعزير فلا يبلغن به حدّ الحدّ ولا يحمّله من العقوبة فوق طاقته. وليردع مقترف الذنب ولا يخل بنصيحته، ولا يتجسس على المسافر فيفضي اشاعة الفاحشة منه الى فضيحته، ومن التبس عليه أمره فليتوقّف فيه حتى يسفر بالكشف عنه ليل الارتياب عن صبيحته، ومن تفرّس فيه حالا فلا يقطع فيه بها دون ظهور اماراتها، ووضوح بيّناتها بفراسته وقريحته، ولينْهَ عن الغش في العروض والنقود، وعن الربا في المقروض والمعقود، وعن التطفيف في الكيل والوزن والذرع، وعن التنكب في المقادير والمعايير والمكاييل عن العرف المعتبر في الشرع. وليبحث عن اهل الصناعات كل البحث/، وعن المصنوعات جديدها والرّث وسمينها والغث، فمن شهد له أهل المعرفة بالبراعة أقره على ما يتعاطاه من الصناعة، ومن رآه مقصّرا نهاه عن التقصير، أو ٩٩ مغررا ردعه عن التغرير بالتعزير، أو مفرّطا عاقبه على التفريط، أو مخلّطا أدّبه على التخليط. ومن عرفه جاهلاً بصنعته منعه، ومن أبصره غير بصير بحرفته قدعه. وليمنع الطرقيين والمتعاطين للطب على التخمين(٤)، وليصدّهم عن مداواة الامراض ومزاولة الاعراض ومعالجة العيون ومعاجلة الادواء بالظنون، وبيع الادوية المغشوشة والمجهولة،

(١) العبارة «ومنة . . . نهوضها» ساقطة لدى ششن، ص ١٣٢ .

(٢) ششن، «يوسع» «ويسوغها»، ص ١٣٢ .

(٣) في الأصل «اعتباطها».

(٤) الأصل: المتجمين وششن، ص ١٣٣ «المتخمين».

ووضع اساميها على غير المقولة والمنقولة، ولْيَزَع المتلبسين بالتنجيم والشعبذة والكهانة، وليُهن القائلين بها والقاطعين بحكمها كل الاهانة، وليصن المساجد وبيوت العبادات، من اتخاذها حوانيت لذوي الصناعات، وحلفا لذوي الخرافات ومخازن ومساكن لذوي الصنائع والتجارات، ولْيُنْكِر غاية الإنكار كشف العورات لا سيما في الحمامات. وليكف صوت المتحدثين في العقائد بما يوتغها[1]، ويقطع الالسن عما يطلقها في اعراض السلف الصالح ويولغها، وليلتزم كل ما يتعين على المحتسب ويَلْزمه وليعمل بما يعرفه من الصواب والصلاح ويعلمه من اطايب المعايش/، وازالة الفواحش، واصلاح المكاسب وايضاح المذاهب، وتبطيل الملاهي وتعطيل المناهي، وتحسين العوائد وتمكين الفوائد، وايجاد المراشد واعدام المفاسد، وحفظ الاسعار والقيم وصون الاموال والعصم، وابعاد اهل الرِّيب والتُّهم[2]، وإبعاد أهل الظِّنن وإخماد نار الفتن. ومن جملة ما يلزمه عمارة الطرق وتنظيفها وتشييد جوانبها وترصيفها، فانه متولى أوقافها والناظر في مصالحها ومصارفها، ويجب أن يتولاها ويحافظ فيها على شروط واقفها مشمولا من الدولة بأنصّ[3] عوارفها، مجتنياً من النعمة من أغض مقاطعها، محتبيا من الحرمة في أعلى مراتبها، معتليا من الكرامة في أسمى مراقيها، مقتنعا بما قرر له عن الخدمة من وظائف المبرّة ورواتب النعمة. وسبيل الولاة والأمراء والشِّحن والنُّواب معاونته، على ما ولّيناه ومساعدته وتقوية يده على ما هو بصدده، وإقامة جاهه ومنصبه وإنجاح مقصده في إنالة إرَبه، وتنفيذ احكامه وتمكينه من نقضه وابرامه، وموافقته على حبس[4] من يراه وإطلاقه، وإرهاق حد من نبا عن الحق ليمضي فيه وارهاقه، وتلبية دعوته وإجابتها وإنالته بغيته وإصابتها[5]، وتقليده في مهذّب التهذيب، والتفويض اليه في مناهج التقويم والتأديب، والعمل في جميع/ ذلك بالامر العالي ومقتضاه والاعتماد على التوقيع فيه ان شاء الله.

١٠٠ أ — ١٠٠ ب

منشور من انشائي لطبيب بحلب

لما كان الحكيم فلان حرسه الله متفرّداً بصناعة الطب متوّحداً في علمه، منطلقا في تدبيره بدرايته وفهمه، مجرّبا لمداواة الامراض ومداراتها، واقفا على أدلّتها في مبادئها وغاياتها، عارفا بإماراتها، ماهرا في تشريح الاعضاء وحالاتها، عالما بالعناصر الاربعة واستقصاءاتها[6] ومتفطنا على الامزجة على اختلافها، في أوقات انحرافها واعتدالها،

---

(١) أي يهلكها. أنظر لسان العرب، مادة «وتغ»، جـ ٨، ص ٤٠٨.

(٢) العبارة «وأبعاد . . . التهم» ساقطة لدى ششن، ص ١٣٣.

(٣) لدى ششن: «مانص»، ص ١٣٣.

(٤) في الأصل مشوشة وما أثبتناه موافق للسياق ولدى ششن «جليس»، ص ١٣٤.

(٥) العبارة «وتلبية . . . واصابتها» مكررة في الأصل.

(٦) ولدى ششن «واستقصاتها»، ص ١٣٤.

متمرنا بالوقوف على ما يجب وينبغي لها في حفظ صحتها وإماطة اعتلالها، فارقا بين الطبائع الغريزية والغريبة، ناظراً في القوى الآتية منها والمجيبة، متوسلا في تسقيم السقيم وتقسيم الادوية بحسب العوارض على القانون المستقيم، وحماية الناقه بانقائه بالحِمْية حتى يعود بوفور حصة الصحة حالي[1] البهجة بهيج الحلية، ذا دراية بالجواهر وأعراضها والاجسام وأمراضها، صناعة طبية اكتسبها بتجريبه، ومهر فيها بحسن تدبيره وترتيبه.
وأمرناه بأن يواظب على الخدمة بقلعة حلب المحروسة لمداواة أهلها وحيازة مرضاة مرضاها، ومعالجة كل حالة بمقتضاها، ومداواة أهل البلد/ على حسب ما يكون فيه من الجلد، لمن لا بد من ملازمته، ولمن تتوفر الرغبات على حفظ صحته. وقد قرر له ما يعينه على استثمار صناعته، ويغنيه عن سواه بمواظبته. فليتولّ هذه الخدمة متوفرا على حفظ الصحة حاصلة، واسترجاعها بمشيئة زائلة، مقابلا كل مرض بوزانه من قوة الدواء، مستقلاً بمعرفة الادوية المركبة والمفردة على تغاير الادواء، صائغا في تركيبها ودفع ضرر بعضها ببعض، فارقا بين السريع والمتواتر والمتخلّف[2] والمنتظم في النبض، مشفقا على الأعضاء الرئيسة[3] والاجزاء النفيسة بإمالة الخلط عنها قبل استفراغه، والاضافة الى الدواء ما يعين على ايصاله وابلاغه. وترجيح الأمر في العرض الهائج هل يستفرغ أو يبدّل مزاجه، والفرق بين ما يدارى فلا يحرّك ساكنه وبين ما يبادر فيعاجل علاجه، ومعرفة الدواء الذى تنحل قوته بالطبخ أو الدق وما يصلح كيفيته بالتصويل والسحق، والاطلاع على ما يسهّل ويمسك أو يؤخذ أو يترك، والنظر في زيادة الخلط على[4] مقداره الذى ينبغي بتنقّص[5] ضده عما ينبغى بفطنته وذكائه، والاجتهاد في ملاطفة أخلاق المريض في دوائه وغذائه، مؤديا لامانته في كفايته موفيا بالمحافظة على القوانين الصحيحة حق صناعته.

واقتصرت على ذكر هذه المناشير الثلاثة/ لئلا يفضي[6] بطول الكتاب وفي كل واحد منها في فنّه ما يتشوف اليه ذوو الالباب.

ذكر بشائر بوقعات نصر فيها الاسلام ونحن بحلب، من ذلك

وقعة بريّة بالفرنج على ماء يعرف بالعسيلة، ووقعة بحرية في ظَفر الاسطول وذلك

---

(١) ششن، ص ١٣٤ «على».
(٢) في الأصل «المتحلف».
(٣) ششن، ص ١٣٥ «الرئيسية».
(٤) ساقطة لدى ششن، ص ١٣٥.
(٥) في الأصل (مسقض).
(٦) في الأصل غير منقوطة.

في محرم سنة تسع وسبعين، وشرح ذلك في كتاب من الانشاء العالي الكريم الفاضلي إلى الديوان العزيز يتضمن الوقعتين بعد ذكر فتح حلب ونسخته:

أدام الله أيام الديوان العزيز ولا زالت منازل ملكه (١) (منازل) (٢) التقديس والتطهير، وموالاته وسيلة التمحيص والتكفير، ومواقف الاولياء ببابه مواطن السجود والتعفير، والولاية من قبله علامة التمليك والتأمير، والوقوف بأقصى المطارح من ترابه (٣) موجب التقديم والتصدير، وآيات نعم الله في وجوده واضحة تغني (٤) فيها الالباب عن التبيين والتفسير، والأمة مجموعة الشمل بإمامته جمع السلامة/ لا (٥) جمع التكسير. والخادم ينهي ان الذى يحمله على ما يحمله الى الديوان العزيز من كتبه ويندبه (٦) من رسله ويجيب به داعي طبعه في الولاء المسترسل على سجيته المنبعث فيه على رسله أمران: أحدهما، أن الذى يفتتحه من البلاد ويتسلّمه إما بسكون التغمّد أو بحركة ما في الاغماد إنما يعدّه طريقا إلى الاستنفار الى بلاد الكفار، واما يحسبه جناحا(٧) يمكنه من المطار إلى ملابسة(٨) الكفرة من الاقطار. والثاني، إعلام أمير المؤمنين ان تقليداته وتقليد(٩) آبائه الطاهرين اذا صدرت عنه وعنهم قرئت وما عصيت ونفذت وما نبذت. فيعلم ان له عبدا ممتثل أمره ويلزم الناس بامتثاله، وخادما يطيع حكمه الجليل ويحكم على غيره بطاعته واجلاله، وإلّا فكان من الواجب ان يذخر بريده الذي يبرده، ويلجم(١٠) القول الذي يورده، ويدع الحديث الذي يصوغه سن القلم، والنور الذى يقتدح مما يقتضيه المداد من الظلم، لخبر عن الكافر لا تلغى شمس معجزته يدا في كافر، ولحديث عن البيت المقدس ينتظر الناظر بسفور صاحبه السافر، وذلك بمشيئة الله غير بعيد من لطف الله بديع، وغير عزيز عند قدرة الله الكافر بها غير عزيز. وعلى هذه التقدمة فهو يستفتح هذه الخدمة/ بذكر ظفرين للاسلام بريّ وبحريّ شاميّ ومصريّ(١١). أحدهما وهو البحرى عود أحد الأسطولين اللذين اغزاهما أخو السلطان(١٢)

١٠٢ أ ... ١٠٢ ب (هامش)

---

(١) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «مملكته».

(٢) غير وارده بالأصل والإضافة من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨.

(٣) في السنا، ص٢٢٨ «مرائه» وفي الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «أبوابه».

(٤) في الأصل «يغني» أنظر السنا، ص ٢٢٨.

(٥) في الأصل «على» والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨.

(٦) في السنا «ويبديه» وهي تصحيف، ص ٢٢٩.

(٧) في الأصل «يحبسه» والتصحيح والإضافة (يحسبه جناحاً) من السنا، ص ٢٢٩.

(٨) في السنا «ما لامسة الكفرة»، ص ٢٢٩.

(٩) كذا في الأصل والأدق «تقليدات». أنظر ششن، ص ١٣٦.

(١٠) في الأصل «لجم» والسياق يقتضي التصحيح ولدى ششن «ويجم»، ص ١٣٦.

(١١) في الأصل (مصري وتصري) والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨.

(١٢) في الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «الخادم».

أبو بكر بمصر، وكانت مدة غيبته من وقت[1] خروجه الى وقت عودته الى دمياط تسعة أيام لأنه غزا[2] منها في خامس عشر المحرم وقفل رابع عشرينه [3] فظفر ببطسة [4] مقلعة من الشام فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون علجا منهم خيالة ذوو شوكة وازعة، وتجار ذوو[5] ثروة واسعة، فأخذهم [6] الله بأيدى الاولياء برقابهم، ومكّن الحطم والقصم من صلبهم وأصلابهم، ومسخ عزّة إقدامهم بذلّة إحجامهم وسيوفهم التي في أيديهم سلاسل في أقدامهم، وملئت آمال المجاهدين أموالا وأثقالا، وانتقلوا بالقلوب خفافا وبالأيدي [7] ثقالا، وبرد مغنمهم بعد ما تقدّمه من حر الحرب، وعادوا عن البحر الملح شاكرين لما أوردهم من الشرب [8] العذب. والظفر الثاني وهو البري ما طولع به من مصر من نهوض فرنج الداروم [9] الى أطراف بعيدة. وهذه العصبة ملعونة مقبلة على القتال مذربة النصال مدرّبة على النضال، لا تزغ[10] الأعنّة ولا تنزع الأسنّة، تسري فتسبق الصباح وتدلج فتستصبح [11] الرماح، فنذر[12] بهم والي الشرقية، فركب الليل فرسا كما ركبوه جملا، وسروا ثقيلا وسرى رملا[13]، فتوافى الفريقان/ إلى ماء يعرف ٣ بالعسيلة سبق الفرنج الى موردته والسابق إلى الماء محاصر المسبوق، ووردوا زَرَقه فتعصب لأزرقهم فظن المؤمن أن الكافر مرزوق. واشتد بالمسلمين العطش وغلّ ايديهم الدهش، فأنشأ الله في ناجر الهواجر سحابة ماء[14] صيفي سقاهم[15] بها ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾[16] وأمسك به ايديهم فاستمسكت على أنصلهم فآبوا[17] إلى الفرنج بقوة انجاد

---

(١) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «حين».

(٢) في السنا، ص ٢٢٩ «غزاها» وأصلحها محقق السنا «غادرها».

(٣) في الأصل «عشريه».

(٤) السنا، ص ٢٢٩ «ببطشه» وأنظر الروضتين، جـ ٢، ص ٤٧.

(٥) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «أولوا».

(٦) السنا، ص ٢٢٩ «فأخذ».

(٧) في الأصل «بالأيدى وثقالا».

(٨) في السنا، ص ٢٢٩ «المشرب».

(٩) قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر أي أنها جنوبي غزة وقد أخربها صلاح الدين سنة ٥٨٤. أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٤٢٤. وردت لدى مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٤٠ «الدارون».

(١٠) في السنا، ص ٢٢٩ «ترع».

(١١) السنا، ص ٢٢٩ «فتستصبح».

(١٢) في الأصل «فبذوبهم» وفي السنا، ص ٢٢٩ «فنزل بهم» وما أثبتناه من الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨.

(١٣) في الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «وسروا يقتلا وسروا زملا».

(١٤) ششن، ص ١٣٧ «بماء».

(١٥) في السنا «شفاهم» وهي تصحيف، ص ٢٣٠.

(١٦) اقتباس من الآية ٦٦ سورة المائدة.

(١٧) في السنا «فثابوا»، ص ٢٣٠.

السماء بالماء وثاروا الى الملاعين الاعداء بالعزم الجري، ذاكرين معجزة اليوم البدري، يوم منّ الله على أهلة بالتطهير والري، فلم ينج من الفرنج الا رجلان احدهما الدليل والثاني الذليل. وانجلت الجلّى بعد أن صاروا معتفين[1] وتساقوا كؤوس الموت تحت ليل العجاج معتبقين[2] فقطّت[3] شوكة شديدة وفلّت شكّة كفر حديدة[4]. وعاد المسلمون برؤوس عدوهم في رؤوس القنا وقد اجتنوا ثمراتها وأرواحهم في صدور[5] الظّبى وقد أطفأوا بمائها جمراتها.

فصل من كتاب من انشائي في معنى الظفرين

١٠٣ ب ورددت إلينا موافقة لفتح حلب في صفر، بشارتان بما تم في مصر/ للاسطول في البحر والعسكر في البر من الظفر. فأما الاسطول المنصور فانه نهض في البحر مغيرا، فعاد بعد تسعة أيام بثلاثمائة وخمسة وسبعين أسيرا. وتجهز الاسطول الثاني فتواترت الاخبار بظفره وعوده حامدا لأثره. وأما المعسكر[6] المنصور فان فرنج الداروم خصّهم الله بالدّمور كانوا قد نهضوا نحو فاران [7] وجمع الطور في جمع محشود وحشد مجموع ومجرّ من الخيل والرجل رائع غير مروعّ فاشتد ضررهم واشتهر خبرهم، وتمكن من النفوس حذرهم ولقح[8] تلك الأرجاء شررهم. فأنهض اخونا العادل نصره الله وراءهم من العسكر رجالا منتخبين، وابطالا للحق من الباطل منتخبين، وقدّم عليهم سعد الدين كمشة وعلم الدين قيصر وسيّرهم لأهل تلك الناحية مصرخين، فعارضوهم على صوب طريق صدر وايلة(*) وصادفوهم وقد عادوا على ماء يعرف بالعسيلة. فترجّل الفرنج وآووا إلى جبل يعصمهم وما عرفوا ان الاسلام يأخذهم ويقذفهم، وان الكفر لا ينقذهم بل يُسلمهم، فأتى عليهم أصحابنا عن آخرهم قتلا وأسرا، واستملوا من صحائف الصفائح [9] لاثبات ايات الإسلام وتبيين سور سيره نصرا، والحمد لله الذي نصر التوحيد على التثليث وميّز الطيب من الخبيث، وألهانا عن التحدّث بنصره القديم بحديثه

١٠٤ أ الحديث. ولم يبق لنا الان/ أرب إلاّ في الجهاد الذي تعيّن فرضه، ولزم في الذّمة فرضه،

---

(١) في السنا «معصفين»، ص ٢٣٠.

(٢) في السنا «مغتبقين»، ص ٢٣٠ وكذا لدى ششن، ص ١٣٨.

(٣) في السنا «فقطعت»، ص ٢٣٠.

(٤) في السنا «جديدة»، ص ٢٣٠.

(٥) الروضتين، جـ ٢، ص ٤٨ «رؤوس».

(٦) كذا في الأصل والأصح هنا «العسكر» أي الجند وليس المعسكر وهو محل إقامة الجند.

(٧) بشأن فاران أنظر ياقوت، جـ ٤، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٨) ششن، ص ١٣٨ «خذرهم ولفح».

(*) أنظر ياقوت مادة «صدر» ج ٣ ص ٣٩٧.

(٩) ششن، ص ١٣٨ «الصفاح».

ووجب علينا حقه، وسهّلت لدينا الى اقامة واجبه طرقه، ففتح المسجد الاقصى أدنى الينا من كل فتح ورِبْح المسلمين فيه أوفر وأوفى من كل ربح، وليلة انتظار فتحه وان طالت فلا بد لها من صبح.

ذكر الرحيل من حلب والعود الى دمشق وقصده غزاة بيسان[1] منها

ولما تم الفراغ من شغل حلب وأعمالها وتسديد إختلالها، وردّها بعد اعتلالها الى اعتدالها، وكان صاحب انطاكية قد راسل بالصلح مذعناً، والى السلم جانحا، ولقياد الاستكانة مانحا[2]، وببرق التقرب بالاستئمان والترقب للاحسان سانحا، فوطىء مهاد المهادنة، وبذل بذلّ الاستخذاء الاخذ بالامعان في المعاونة، فشددنا حزم الحزم وعاودنا عزّ العزم، وخرجنا من حلب وقد حلبت لنا كل درّ وجلبت الينا كل برّ، وزودتنا بكل ودّ، وأراحتنا من كل لدّ، وشيعتنا[4] من المنائح بكل شيء، ووسعت لنا في المناجح كل سعي، ودعت لنا إذ ودّعتنا بكل صالحة، ولقيتنا بأوجهٍ باسرة من همّ فراقنا كالحة، وأبدت تقربها بالمرافقة، وتكرّبها بالمفارقة. وعبر بنا أعيانها بعيون مستعبرة، / وأنفاس ١٠٤ متسعّرة ونفوس مستشعرة، فشكرنا صدق الأصادق ووفاء الموافق، ووقرنا مرافق المرافق، وأصبنا مودة المودّع، وأجبنا مشية المشيّع، فمنهم من سوّغ خروجه لتسويغ خراجه، ومنهم من جاء برجائه[5] ووجد بعدم ارجائه وضوح منهاجه، وآخر قدم اطلاق شكره لاطلاق حكره، وآخر أخّر ذكر مطالبه لعلمه انها من السلطان على ذُكره، وأمّل ادرار[6] درّ أمله، وعاملٌ ضياع ما ضاع عمله، ونائب رفعة رفعت نوائبه، وطالب منحة منحت مطالبه، وعافي جود جيد عفوا، وصادي ورد رُدّ كدَر درّه صفوا، وبائع فضل ابتيع بافضال، ومدّعي قبول دعي باقبال، وسائل بوسائل اختصاص، ودائل بدلائل اخلاص، وباسط يده للايادي المبسوطة، وغابط صاحبه على صحبتنا المغبوطة، وناشد قصد بانشاد قصيدة، وعاقد صداقة بصدق عقيدة، ومستنيل نيل، ومستقيل أقيل، ومستعد أعدي، ومستجد أجدي، ومستهد هدى وأهدي، ومقتض بحق قُضي حقه، ومسترزق أجر أجري رزقه، وراغب في خدمة استخدم برغبته، ومبدع غريبة حظى

---

(١) مدينة بالأردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين، وإليها ينسب القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني وزير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومات بمصر سنة ٥٩٦هـ. أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٥٢٧.

(٢) ششن، ص ١٣٩ «مائحا».

(٣) ششن، ص ١٣٩ «جزم».

(٤) في الأصل «وسيعتنا» وهي تصحيف.

(٥) ششن، ص ١٣٩ «برجليه».

(٦) ششن، ص ١٣٩ «آكدار».

بحظوة بديعة غريبة، ومظهر فضيلة فضل بظهور، ومستعيد حباء عاد بحبور،
١٠٥ أ ومستسعف أسعف، ومسترهف/ أرهف، ومُقو من غنيٍ أغني وقوّي، وشاكي صدى أشكي وأروي، وراج أنطي، وراجل أمطي ومتألم كُفّت ملمّته، ومتظلم كشفت مظلمته، وموال وجد موالاة الوجد، وجال صورة الودّ، تال سورة الحمد. وقضينا الحوائج وأقصينا (١) الجوائح، وذلّلنا الجوامح، وعدّلنا الجوانحٍ، وأقمنا المائل وأسمنا النائل، وأزحنا العلل وأرحنا الغلل، ونهجنا السبل وأنهجنا النبل، وأفضلنا بالجميل وفصّلنا الجمل، وعصينا العذل واطعنا الجذل، ونَشّطنا العقل وبسطنا الامل، واستقمنا على الطريق بالتأييد من الله والتوفيق، واستصحبنا عساكر حلب والجزيرة، واجتمعنا في جموع كثيفة كثيرة، وحضرنا الحاضِر بقنّسرين بأسود اعتقلت العرين، وتلونا السلطان بتلّ السلطان(٢) مخيّمين، وعلى عزم الغزاة مصممين، فما وصلنا جباب التركمان، حتى وصلت قبائل التركمان مترنمة قسيّها الموترة لأوتارها بالارنان، وسار الجمع وأنار اللمع، وثار النقع، وتم لخرق السماء من الارض الرّقع، وعرت المجاهل ووعورت الهواجل وعرّت المناهل، فتفرّقت العساكر على الطرق، وأخذت في الخبب والعَنَق، وطرقت معاشر طريق المعشريّة وبرت عصائب البريّة، حتى ناطحتنا قرون حماه(٣) وصافحتنا
١٠٥ ب سعود قرانِها، وقرّت بنا عيون/ اعيانها.

ذكر الوصول الى حماة، ووصف القاضي أبي القاسم

فأول من تلقانا بأقسام بِرّه القاضي أبو القاسم قاسمُ المكارم وحاتَم(٤) الأكارم وحاكم المغانم، وكان هذا القاضي أمين الدين بن حبيش، قد أرغد لأهل حماة بمنائحه(٥) العيش، ولم يزل ذا سجيّة سخية وعيشة رخيّة ومبرّة مُبّرة، ومَسَرّة بالوفود معلنة بالمحامد مُسِرّة، وكنا اذا وردنا حماه تتباشر بنا غلمانه ويتبادر الينا احسانه، وتدرّ بالحفول لنا دارُه، ويتدلى علينا بالاثمار بستانه، وكم قيّدنا بحبال(٦) حبائه المتينة وامتنانه، واجتنينا جنى جَنَابه (و) جَنانه، وطنّت بأوطارنا اوطانه، وغنّت مغانيه بغنانا، ودعانا موقد قراه ودخّانه، فكأنما ضيفانه اخوانه، متنوعة لهم الوانه، مسموط سماطه مبسوط خوانه، فاذا وصل الى حِماهُ سلطان أو أمير أو معروف أو كبير دعاه الى ربعه

---

(١) ششن، ص ١٤٠ «وأقضينا».
(٢) موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. ياقوت، جـ ٢، ص ٤٢. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٢٧.
(٣) أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٣٠٠.
(٤) ششن، ص ١٤١ «خاتم».
(٥) ساقطة لدى ششن، ص ١٤١.
(٦) ششن، ص ١٤١ «بحال».

وأجراه على كريم طبعه، فإن لم يزره زارته تحاياه، وقرّته في مخيّمه تحفه وهداياه، وله من القلوب اتمّ قبول، ولكل نازل به من جانبه أهنأ نُزل وفي جنابه أكرم نزول. ولهذه/ ١٠٦ الشرائع لم تردّ له عند السلاطين والاكابر شفاعة، ولم يُعنّ[1] شيئا من حقوقه المصونة اضاعة، وجرى بمراده مدار افلاكه، وزاد الاملاك في املاكه. ولم يكن هذا القاضي متوليّاً لعمل ولا قضاء، ولا حكم له في إنفاذ ولا إمضاء، وكان قانعاً بجدى[2] مَلَكه وسديً سَلَكه، ويستثمره بفضل جاهه ويفوق المعروفين بتيقظه وانتباهه.

ذكر الملك المظفر تقي الدين

وكان الملك المظفر تقي الدين بن أخي السلطان صاحبُ حماه ومالكها، وقد تولى بالعدل والأمن ممالكها ومسالكها، فأنار لنا من مطالع سعوده ضياء ضيافته، وألفينا رزانة حَصًا حصافته، واجتلينا انوار طلعته من منار قلعته، وجلا لنا سنا جلالته، وجُلنا في مكر مكرمته، وحضرنا في مقارّ مقاريه، وحظرنا ذكر مبارّ مباريه[3]، ووشّع ذراه ووسّع قِراه، ورحّب نديّه وحبّر نداه، وأجلى جناه وأعلى سناه، وحسن الحصن الذى بحماة حماه، وسُرّ ببشره ونشره سرٌ من ساءه أساه، وما[4] قصر نظرنا في قصره الناظر الذى بالقلعة اعتنى به وابتناه، وما ابهج وأبهى بهوه وبهاه، وأعظم/ ايوانه واكرم ايواءه. فانه ما أوى ٠٦ اليه الاّ من صانه، وأعداه على زمانه وأعانه، ونظرنا كل نضير بلا نظير، وعبرنا بكل ما عبّرنا فيه عن ريّا عبير، وطنّ النادى وغنيّ الشادي، وتروّح الغادي وتروى الصادي، وطاب الوقت وغاب المقت، وانزاح البؤس وارتاحت النفوس، وراقت الاغاريد وشاقت الاناشيد، وشملت الارواح وكملت الافراح، واهتزت الاعطاف واعتزرت الاطراف، واشتملت الدعوة على كل صالحة، وصدر كلّ صدرٍ بشارة سالكة (و) بشارة شارحة، وما زلنا نُصيب من النوال كل نَصيب، ونُجيب حتى أصبحنا نَعيبُ كل نعيب. وتفرقنا بعد الاجتماع وجدّ بنا[5] زمام الازماع، وشاقتنا عند الاسفار مشاق الاسفار، وألهانا الجواز بالاجْواز عن أوطان الأوطار، واستنّ العسكر سكر[6] الرستن[7]، واستقاموا على المنهج الأبْيَن، وعبرنا نهر العاصى في طاعة الله بقصد الغَزاة، والجُرد تحت المرد والكُمت تحت الكُماة، وجالت العراب وسالت الشعاب، فالبر بحر من موج العرمرم المَجْر، والنقع

---

(١) في الأصل غير منقوطة، أنظر لسان العرب، مادة «عنن».

(٢) في الأصل (بحدى).

(٣) ششن، ص ١٤٢ «مباديه».

(٤) ساقطة لدى ششن، ص ١٤٢.

(٥) في السنا «وجذبنا»، ص ٢٣١.

(٦) السنا «سَنَن»، ص ٢٣١.

(٧) بليدة على نهر العاصي بين حمص وحماة. ياقوت، جـ٣، ص ٤٣.

رقع لخرق الفجر، وردّ وصل الصباح بظلامه إلى الهجر، وللدوّ دويّ من صهلات الخيل
١٠٧ أ وجهلات الزجر، ولإيناس رشد الحوافر [1] في القصد كف الحجر بفك الحجر/،
والسوابق في ميدان الاجراء سابقة إلى مدى الاجر. ومالت بنا أعناق الاعناق، وقصرنا
الى حمص اشواط الأشواق، وخيّمنا على عاصيها، وضاقت بجموعنا ادانيها واقاصيها،
وجئنا الى الزرّاعة [2] ثم اللبوة [3]، وحدود العزائم بتوفيق الله مصونة من النّبوة،
ووصلنا إلى بعلبك بعد أن قطعنا الهواجل وعبرنا المراحل، وشافهنا الفدافد [4] وشفهنا
الموارد، واحمدنا العوائد وعاودنا المحامد، ذاك وصباح السّرى محمود، ونجاح المنى
معهود، وحوض الافضال مورود، وروض الاقبال مجود، وريض المقصود مقود، وللمع
البارق ومض، ولجفن الغرار غمض، ولِيَدِ الدولة بَسط وقبض، ولعيش الرعية من رفع
نصبها خفض، ولعين الحدثان غضّ، وللأيام بأيامنها على كل حظّ حضّ، وقربنا من
دمشق وخرج اهلها لتلقّينا وترقّوا بترقّينا، وقلنا وقاية الله خير من توقّينا، ودخلنا إليها
وهي ببشرانا مستبشرة، وعن صباح سفورنا مسفرة، وعلى الولاء الخالص والدعاء
الصالح لنا متوفرة، واستجلينا وجوها غَرًّا وألسنةً مديمة شكرا. ولم نطل بها المقام وعجلنا
الرحلة [5] لشوقنا إلى أن نعجّل من أهل الكفر الانتقام ، واتممنا لله الاعتزاء، وصممنا
١٠٧ ب للجهاد في سبيل الله الاعتزام، واغتنمنا/ حضور العساكر المتضاعفة العَدد، المتظاهرة
العُدد المتضافرة المدد. فخرجنا نحو العدو متوجّهين في رياض مراضي الله متنزهين،
وللقاء الكريهة محبين غير متكرّهين، ولسلب غَمض الأعداء بتقديم جيش الرعب إليهم
منتبهين، والى غاية كشف عناية ذوي الغواية في نهج النهى منتهين، في جمع شاكٍ وجمر
ذاكٍ، ومجرٍ لنسج النقع حوّاك، وغريد باعداد الأعادى فتّاك، وحديد برقاقه للرقاب
الغلب الغلاظ بتّاك، وباشراقه لستر القتام الداجي هتّاك، في صواهل طالما صدرت عن
أوراد الأوردة نواهل، وجحافل قلّما احتفلت بالزحف واستكثرت للحتف الاّ أبت النصر
حوافل، وأسادٍ تحمل غاباتها وتبثّ وثباتها، وضراغم تعتقل غيلها وتعتقد في ظلال
السيوف مقيلها، وقساور تسير في خيسها وتعرس من القنا العراض في عريسها، ونارُ
بيض تَقِدُ وتقُدّ البيض، وماء زرق من النصال تغيض في عيون العدى الزرق فتغزر في

(١) مكررة في الأصل.

(٢) اسم لعدة مواضع بالشام من فلسطين والأردن وأخرى قرية من حران وزراعه أخرى شرقي الموصل، وزراعه زفر من أرض حلب. ياقوت، جـ٣، ص ١٣٥.

(٣) وهي بالقرب من بعلبك إذ عندها تكون العين الرئيسية التي تمد العاصي بمياه منبعه وتسمى عين اللبوة في منطقة الهرمل، شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٠٧.

(٤) والفدافد جمع فدفد: وهي الفلاه التي لا شيء بها أو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع أنظر لسان العرب، مادة «فدفد» جـ٣، ص ٣٣٠.

(٥) أضاف ششن بعد «الرحلة» كلمة «عنها»، ص ١٤٣.

متتجع النجيع الفيض، وصحاف صفاح تطوف بطلاء الطلى، وثعالب اللهاذم[1] تصيح وترتع في كلأ الكُلَى، وذِباب شفار تطنّ في لوح هجير الهياج، ونجوم حرصان تلوح في ابراجها من العجاج. فأول ما وقع البأس/ ببيسان فقد اختلط فيها الغبار والدّخان لما اطلقت للغزاة فيها النيران، وجاء الفرنج فرابطهم السلطان على عين الجالوت[2] وأوقع باعداء الله اولياء الطاغوت. ١٠٨

وقد وصفت غزوة بيسان في فصل من كتاب انشأته عن السلطان وذلك فى جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين

وأقرب غزواتنا عهدا للفرنج[3] غزوة كان من حديثها المبهج، أنّا سرنا بعساكرنا المنصورة وجحافلنا الموفورة في مجرٍّ مجرٍ على المجرّة ذيل عجاجه، ويضيق على الافق واسع فجاجه. وقطعنا الاردن في اشرافنا عليه بقواطع المشرفية والردينية وعبرنا مخاضة الحسينية[4] بخلوص الضمير في سبيل الله وحسن النيّة، وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة، فلما وصلنا إلى بيسان قد وجدنا بأسنا قد سبق إليها بالبؤس وهتك فيها ستر عصمتها المحروس، وقد أخلاها أهلها وخلّوها وأذالوها بعد الصون وأذلّوها، واستقالوا من الذى حلّ بهم وعرفوا التي يستوجبونها من عقوبة النار فاستقلوها، فعاجلها الأصحاب/ بما أجّل لأهلها الكفار من النيران، وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان، وتقارنت بينهما نجوم السرار ونجوم الخرصان حتى عفوا اثارها وأثاروا عفاها[5]، وعاد ليلها بالضرام ضحوة، ونهب العسكر منها من زادٍ وقوتٍ ما زاد به قوة، وكانت بهذه المقدّمة نصرته مرجوّة، وألحقنا به مُدناً معمورة وقلاعا حصينة ودياراً وأبراجاً كانت على بلاد الكفر من الأسواء اسوارا، فلم نترك لشيء منها أثرا وأضرمناها نارا، ولم نذر بها من الكافرين ديّارا[6]. ووقعت مقدمة العساكر المنصورة في أول يوم على خيل ورَجل للفرنج عابرين من نابلس فأوقعت بهم وسدّت عليهم طريق مهربهم وقتلت راجلهم، وأسرت جماعة من الفرسان فبدوا[7] في الأقياد، وتوغّل[8] الباقون في الجبال ١٠٨

---

(١) ششن ص ١٤٣ «اللقاذم». أنظر لسان العرب، مادة «لهذم»، جـ١٢، ص ٥٥٦ والثعلب هنا هو: طرف الرمح الداخل في جبة السنان. أنظر لسان العرب، جـ ١، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. ياقوت، جـ ٤، ص ١٧٧.

(٣) في السنا «بالفرنج»، ص ٢٣١.

(٤) وهي موضع في أعمال طبرية تقع في واد. ياقوت، جـ ٤، ص ١٨.

(٥) ششن، ص ١٤٤ «أعفاها».

(٦) الإشارة إلى سورة نوح آية رقم «٢٦».

(٧) كذا في الأصل ولدى ششن، ص ١٤٥ «قيدوا».

(٨) في الأصل «وتوقل» والتصويب من السنا، ص ٢٣٢.

بحزازات القلوب وحرارات الاكباد، وكان مقدمهم ابن هنفرى[1] ففرّ، وطلب طريق الخلاص قبل ان يعثر بذيل العثير فما قرّ، ووصل الخبر بأن الفرنج قد وافوا بجمعهم المحشود وحشدهم المجموع، مائحين بالسوابح السوابق في بحار السوابغ والدروع. وكانوا في الف وخمسمائة رمح ومثله تركبُلّي[2] وخمسة عشر ألف راجل ما بين طاعن وضارب وناشب ونابل[3]، وزحفوا كأنهم أسود الشّرى في آجامها، / وهضاب شروری باعلامها. فبعثنا اليهم الجاليشيّة[4] فجالت أمامها وجاشت قدّامها، وألهبت نصالها في ماء الوريد ضرامها، وعبيّنا[5] الاطلاب للموت طلابا، وللنصر بلسان النصل خطّابا[6]، وحلّقت أجنحة الرايات فاقترنت بها في الجو أجنحة امثالها من العقبان الكواسر، ونزلت عساكر الملائكة منجدة لما استصحبناه من العساكر، وكثّر الله المؤمنين في أعين الكافرين فعادوا بعد الأنس نافرين، فلما رأوا بأسنا أخلدوا إلى الأرض مهطعين، ووقعوا عليها للهلاك متوقعين، وخندقوا حولهم واسندوا الى الجبل بالذلّ لائذين، وركزوا قنطارياتهم في مركز دائرة الخذلان، ورضوا بما كانوا يأبونه وهو أن عزّوا بالهوان، وطلبوا ربح سلامتهم من الخسران. وأقاموا كذلك خمسة أيام آخرها الاربعاء خامس عشر جمادى الآخرة في دائرة السوء، وعليهم دِيمَ السهام ماطرة النوء، ونحن كل يوم نتوقع منهم الحملة التي هي عادتهم، والمبادرة في اللقاء التي هي في الصدمة الاولى سورتهم، فنكلوا عن اللقاء، وما هاجوا الى الهيجاء، وعساكرنا المنصورة حولهم حائمة، وفي بحار السوابغ في بلاد الساحل دونهم عائمة، والملازمون المنازلون لهم يُثخنون فيهم جراحا، ويعاودونهم مساءً وصباحاً ويُسمعونهم ركزا، ويَسمعون[7] / منهم صياحا،

١٠٩ أ

١٠٩ ب

---

(١) من مقدمي الفرنج كان أبوه هنفرى يضرب به المثل في الشجاعة ووصفه ابن الأثير بأنه بلاء الله على المسلمين وقتل على يدي فروخشاه سنة أربع وسبعين وخمسمائة. ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٥٣ وأما ابنه هذا فقد أسر بعد حطين. أنظر الكامل، جـ١١، ص ٥٣٧.

(٢) هذه كلمة يونانية الأصل تعنى أبناء وسلالة الترك وأطلقها البيزنطيون على فرقة من جيشهم تلي في الأهمية فرقة الفرسان ويقال أن أفراد هذه الفرقة ينحدرون من أب تركي وأم يونانية. ويبدو أن الصليبيين عندما مروا بأراضي بيزنطة أثناء الحملة الأولى اقتبسوا تنظيم هذه الفرقة وأعطوها نفس الاسم. أنظر مفرج الكروب، هامش[1] جـ ٢، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ فقد وفى المحقق شرح هذه الكلمة.

(٣) لدى ششن، ص ١٤٥ «ونسائك».

(٤) الجاليشية: هم رجال الطليعة أو المقدمة في الجيش ووردت في السلوك، جـ ١، قسم ٢، ص ٦٢٨ الجاليش وهي مقدمة القلب أو الطليعة والدليل ما ورد في جـ ١، قسم ٣ من الكتاب أثناء الحديث عن ترتيب العساكر «وجعل في رأس الميسرة التركمان بمجموعهم، وعسكر حصان الأكراد وجعل في الجاليش ـ وهي مقدمة القلب ـ الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر». ص ٦٩٢ ـ ٦٩٣. أنظر شرح المصطلح في النوادر السلطانية لابن شداد، ص ٦٢ هامش رقم «٤» تحقيق جمال الدين الشيال.

(٥) في السنا «وعينا» وهي قراءة خاطئة.

(٦) في الأصل «حطابا».

(٧) ششن، ص ١٤٥ «ويسمون».

والفرنج قد يبست ايديهم على الأعنّة، وغلّت في صدورهم وخزات الرعب على صدور الأسنّة، والمغيرون في بلادهم يسنّون لها الغرار، ويشنّون فيها الغوار ويكثرون القتل والأسار، ويحكّمون بين الغمد والزند والسيف والنار. فلما رأيناهم لا يبرحون، ولا يخرجون على انهم يقتلون أو يجرحون، رحلنا عنهم يوم الخميس لخناقهم منفّسين، ولمستوحشهم عن الحملة بضرب المصاف مؤنسين، ولجنانهم بأنواع العزائم مستخرجين، ولناكليهم عن الحرب الى الحرب والنّكال مستدرجين، فما صدقوا حتى اجفلوا أجفال النعام، وتوقّلوا في الجبال وهم أضلّ من الانعام، وتصاعدوا في العقاب ونكصوا على الأعقاب، ونحن قد بلغنا النكاية فيهم غايتها، وجلونا بسنا البيض والسمر غيابتها، والغنائم والاسارى قد ملأت الايدى وثقّلت الظهور، وعجّل الله للاسلام وعسكره النصر والظهور، وعدنا سالمين سالبين غانمين غالبين ظاهرين ظافرين والحمد لله رب العالمين. وقد شرعنا الآن في غزوة ثانية لِغَرب الكفر ثانيه، والمسير بالعسكر الذى عدنا به إلى الكرك[1] والالتقاء بالعسكر الواصل من مصر عليها. فإن الفرنج قد بان لنا هوانها وهذا وقت منيّتها وأوانها، فما نزال بتأييد الله نتبع اليهم الغزوات/ ونوالى النهضات، ١١٠
حتى يأذن الله من فتح الارض المقدسة ويطهرّها من رجسهم بدمائهم النجسة.

فصل من كتاب آخر من انشائي في المعنى

كتابنا هذا صادر بعد العود الحميد من الغزو السعيد، فانا دخلنا بعساكرنا المنصورة الى بلاد الفرنج ثامن جمادى الآخرة وخرجنا منها في تاسع عشره، وكان قصدنا ان يخرجوا الينا كما جرت عادتهم فنضرب معهم المصافّ. فلما أقدموا أحجموا وحصروا انفسهم في عين الجالوت فما تأخروا ولا تقدموا وأحطْنا بهم خمسة أيام وهم إلى الجبل مسندون وإلى الأرض مخلدون، وعساكرنا تأخذ منهم يمينا وشمالا وتوسعهم إدالة وإذلالاً، حتى رحلنا عنهم وقلنا لعلهم يتبعوننا فنعود عليهم دَرَك العائد، أو يطمعون ويقعون في شَرك المصائد. فرجعوا على الحافرة وآبوا الى الناصرة[2]، وباءوا بالصفقة الخاسرة، وفي خلال المدة خرّبنا بلادهم وعفّينا آثارها وأحرقنا ديارها وعجّلنا دمارها وأضرمنا لاحراقها نارها، فكم أسير سير به وقيد وقيذا[3]، وكم مستعيذ من البلاء بالبلاد/ لم يجد معيذا. ولما بلغنا النكاية فيهم أسرا وقتلا وفتكا، وفي ديارهم اخرابا ١١٠
واحراقا وهتكا، واستكثرنا من الأسارى والغنائم، وتصرّمت الايام عن حطم القنا في

---

(١) وهي قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها. ياقوت، جـ ٤، ص ٤٥٣.

(٢) هي مدينة الناصرة القريبة من مدينة طبرية ومنها اشتق اسم الناصرى، أنظر ياقوت، جـ ٥، ص ٢٥١.

(٣) ششن، ص ١٤٧ «وقيدا» والوقيذ: الشديد المرض الذي أشرف على الموت. والوقذ في الأصل: الضرب المثخن والكسر. أنظر لسان العرب، مادة «وقذ» جـ ٣، ص ٥١٩.

الأعداء وثلم الصوارم، وعدنا ظاهرين وبالنُّجح ظافرين، وشرعنا في غـزوة اخرى الى الكرك، تقرن أمل الاسلام من الم الكفر بالدَّرك، والله تعالى كفيل بالنصر المنتظم السلك الواضح المسلك.

كتاب آخر من انشائي في شرح هذه الغزوة وصفة نكولهم عن الحرب، وإنما كرّرت ذكر هذه الكتب ليُعرف منها جليّة الحال

كنا افترضنا بعد فتح حلب ونجح الأرب أداء شكر الله سبحانه على ما حقّقه من الرجاء وأسبغه من النّعماء. فلم نر عملاً أجمع لأشتات الشكر من الغزو الى بلاد الكفر، فإنّه يجمع بذل النفس والمال ولذلـك كان الجهـاد أفضل الأعمـال، فنهضنا بعسـاكرنـا المنصورة المصرية الحاضرة والشاميّة وعساكر حلب وبلاد الجزيرة، وسرنا في مجرّ مُجرٍ على ١١١ أ المجرّة[١] ذيل نقعة المثار، ويسدل عجاجه دون عروس/ الشمس سـترا على الاقـطار، وضوامرُ ما أردن ماء الاردن إلا ليَردن من أهل الساحل بحرَ الدم، وبواتر بواتك كأنها في ايدى الدارعين بوارق السحب تتألق في جنباتها لفحات الضّرم، وعبرنا مخاضة الحسينية يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة في الخميس العرمـرم، وكان قصـدنا لقـاء الفرنـج في مجتمعها وإخراجها إلى مصرعها وإلجائها إلى ضرب المصاف، حتى إذا صحّ كسرهم بإذن الله تصرفنا في بلادهم في الاوساط والاطراف. فلما وصلنا الى بيسان وجدناها وقد اخليت وخليت، وعرّاها الجيش فعريت، وأمتار العسكر منها علوفة وأقواتا، وفرقنا اجزاء مبانيها وجعلنا شملَها أشتاتا، وكذلك[٢] فعلنا بما حولها من قرىً حصينة وقلعة ومدينة. وكانت مقدمة العسكر قد وقعت على خيل الفرنج ورجلٍ، فأوقعت بها ايقاع الآساد بالنقـاد، وقتلوا معظمهم وقادوا من عافه السيف في الاقيـاد، وجاء الفـرنج وقـد جمعوا من حـد الداروم إلى حد الروم بكل فارس وراجل ورامح ونابل، وحرب حق وحـزب باطـل. ورجفت الأرض لرجفهم وفتحت السماء لحتفهم، وأغرينا الجاليشية بهم، فجالت شيئاً وشوتهم بنار النصال شيّا، وعبّينا أبطال الروع أطلابا، للموت طلابا وفي كسر اصلاب ١١١ ب عبدة الصليب صلابا، فما جاءوا حتى/ ماجوا للّقاء وهاجوا للهيجاء. ولما وقعت العين في العين عاينوا حَين الحين، وأيقنوا بالموت في الإقـدام وأبوا إسلام انفسهم إلى الاسلام، فحامت عليهم من السهام المرّيشة حمامُ الحِمام وأشار حجاهم عليهم بالإحجام، وكـثّر الله المؤمنين في أعينهم فقلّوا، وأعز الله عساكرنا المحيطة بهم فذلّوا. ولما نازلناهم نزلـوا ومن خوف الحرب والنّكال عن الحرب نكلوا، وأخلدوا الى الارض وأسنـدوا إلى الجبل وخندقوا حولهم في ذلك المضيق فضـاق عليهم مجال الخيـل، وصار الـراجل لهم سـورا

---

(١) ششن، ص ١٤٧ «الجرد».

(٢) في الأصل «ولذلك».

يحميهم بـالطوارق من الـطوارق، ومطرتهم من رواعـد المنايـا التي هي الحنـايـا بـوارق البوائق، فأقمنـا على مقـابلتهم بالمقـاتلة ومجاولتهم بـالمصاولـة، ومباسـطتهم بالقبض، ومراوضتهم للقسر بالرضّ، ومرابطتهم بالربط والاسر، ومصابرتهم للقهر والاسر. وهم في مركز دائرة الخذلان، وسرحهم مذعور من السرحان، وللجراحات فيهم اجتراحات، وللقروح منهم اقتراحات، ولطيور السهام من حبّات قلوبهم سهام، ولأفواه الكلام من ألسنة الأسنّة كلام، وكلهم ضاق بالروع ذرعا، وأساغ عن كأس المنيّة جرعا، وتجبّب[1] من القراع وتجبّن، يديم لباب النجاة بل لسنّ الندم قرعا، وحقّ لهم ان يتمثلوا لقومهم/ ١١٢ «استنّت الفصال حتى القرعى»[2]، فقد عرفوا أنهم إذا برزوا وبارزوا صاروا على الملتقى صرعى، فمكثوا كذلك خمسة أيام بلياليهن محصورين محسورين، تخالهم في ذلك المضيق مسجونين مأسورين، ورجالنا من الجبل ترومهم وترميهم، وتديم عليهم رش المريشات وتدميهم، وخيلنا تغير يمينا وشمالا، وتوّسع في ساحات سواحلهم مجالا وتسبي عقائـل وتعقل سبايا، وتجبي[3] نقود آجالهم وكانت نسايا، وتحصل على مرباع الغنائم والصفايا، وتستخرج من زوايا ذخـائرهـم الخبـايا. وهم في مقـامهم الذى بـرّح بهم لا يبرحـون، ولقذى اليغالق في الحمالق منهم لا يصرخون. ورحلنا عنهم يـوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة لاستخراجهم من مكانهم، واستدراجهم ليبرزوا الى أقرانهم، فما صدّقوا بتنفيس خنـاقهم وتخلّص أرمـاقهم حتى نكصـوا عـلى الاعقـاب[4]، وتـوقلوا في تلك العقاب. ورأينا النكاية فيهم قـد بلغت غايتهـا وجاوزت نهايتهـا، والأيدي قـد كلّت، والسّمر والبيض تحطّمت وانفلّت، والازواد قـد تعذّرت وقلّت، وفي الغنـائم ما أوجب ثقل الظهور وفي عدد الاسرى ما تعـدى حد الـوفور، فعـدنا بـالنصر والحبور، ووجـه الإسـلام بادي السفـور. وقد شـرعنا في غـزوة أخرى الى الكـرك قبل دخـول الشتـوة وانطلاقها/ ورجوع العساكر الى مواطنها وافتراقها. ونأمـل من الله (أن)[5] يجرينـا من ١١٢ نصره على أحسن العوايد ويوردنا من الظّفر عذب الموارد.

---

(١) ششن، ص ١٤٩ «وتجنب».

(٢) استنت أي سمنت. وهو من أمثال العرب يضرب لمن تعدّى طوره وادعى ما ليس له. أنظر لسان العرب، مادة «قرع»، جـ ٨، ص ٢٦٣ كما يضرب لمن يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. الميداني، مجمع الأمثال، جـ ١، ص ٣٣٣.

(٣) في الأصل غير منقوطة.

(٤) العبارة «فما صدقوا. . . الاعقاب» ساقطة لدى ششن، ص ١٤٩.

(٥) إضافة يقتضيها السياق.

ذكر الغزوة[1] الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتولى حلب واستنابة الملك المظفر تقى الدين وشرح السبب في ذلك والبداية بذكر الملك العادل

كان الملك العادل سيف الدين أبو بكر اخو السلطان على عادته فى تولّي الديار المصرية مستمراً، ولأمورها بفضل سياسته وحسن رعايته مُمّراً، ولإحلاف رفعته برفع الخلاف والمراء ومري أفاويق الوفاق مستدراً. وهو مستقل بالأمر والنهي والنجح في السعي، وابرام المعاقد وأحكام القواعد وصونها من الوهن والوهي، مستبد بالبر والبري والجر والجري والرأي الماضي المضي الوري والرفو[2] والفري، وسداد الرمي وامداد المري، مستفيض النهى فائض النهي، يولّي ويعزل، (ويعلي)[3] وينزل، ويسمّن ويهزل، ويسمّي ويحوّل، ويَصون ويبذل، ويُعين ويخذل، ويعقد ويحلّ، ويوقذ ويدلّ، ويكرم ويهين، ويبهم ويبين، ويصل/ ويقطع، ويضع ويرفع. فكل أمير بتأميره وتأميله، ١١٣ أ وكل أثير بتأثيره وتأثيله، وكل جمر بتأريثه، وكل جمع بتأثيثه، وكل إلف بتأليفه، وكل صرف بتصريفه، وكل شمل بنظمه، وكل شمول بضمّه، وكل شعب[4] بلمّه، وكل شعث برمّه، وكل حاكم بحكمه، وكل راسم برسمه، وكل خطير بخطره، وكل ناظر بنظره، وكل اقليم بِدَور قلمه، وكل ذي عَلَم يسير تحت علمه، وكل وال بتوليته، وكل عالٍ بتعليته، وكل حال بتحليته، وكل حساب في ديوانه، وكل كتاب بعنوانه، وكل منصب في إيوانه، وكل نصيب لجنابه ما نصب الا لجنانه، وكل عقد بشدّه، وكل شدّ بعقده، وكل أمر بأمره، وكل جار في نهره، وكل روض لزهره، وكل ثمر لَهجره، وكل ثمر لشجره، وكل دارة لقمره، وكل دارٌ لدُرِّه، وكل دارين لعطره. لا يد على يده، ولا ينكب عن جدده، ولا ذهاب عن مذهبه، ولا شراب إلاّ من مشربه، ولا سنا إلا لشمسه، ولا جنى[5] إلا لغرسه؛ ولا لقحات إلاّ لأشجاره، ولا لفحات الا لناره، ولا إرتسام الا لمراسمه، ولا اتّسام الا بالتسامي في مواسمه. وهو سلطان الديار المصرية على الحقيقة، ومرتب أمورها الجليلة والدقيقة،/ والسلطان بالشام في مهام الاسلام قد حمل ١١٣ ب بمصر عنه اخوه، وقد اذعن له ملوك الارض وأملاك السماء مصرخوه، وهو بأخيه كثير، وبحسن أثره أثير، وهو يمده بالمال والرجال ذخرى[6] الارزاق والاجال. فلما ملك حلب

---

(١) في السنا «العودة»، ص ٢٣٣.

(٢) ششن، ص ١٥٠ «والرفق». أنظر لسان العرب مادة «رفا» جـ ١٤، ص ٣٣٠، وأنظر مادة «قرا» جـ ١٥، ص ١٥٣.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) ششن، ص ١٥٠ «شعث».

(٥) لدى ششن «جناء»، ص ١٥٠.

(٦) في السنا «يجرى»، ص ٢٣٣.

كتب الملك العادل لها طالبا، وفيها وفي اعمالها وما يجري معها من البلاد والمعاقل راغبا، فكتب إليه لسؤله[1] مصيباً، ولسؤاله مجيبا، وواعده الى الاجتماع به على الكرك ليفوز من بغيته بالدّرك. واستصحب معه الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه ليوليه في مصر ويستنيبه، ويقدّم على أحسن الأحوال ترتيبه. وكل ذلك بمشورة الأجلّ الفاضل وعنايته بالسائر والواصل، فان السلطان لم يزل يبري ببريه ويفري بفريه، ويأخذ باشارته ويعطي، ويصيب ببركات ارائه في آرابه ولا يخطي، ويستمع في كفّ الملمّات قوله، وينتجع في كفاية المهمات طَوْله، ويتبع كلما يشير به أن شك أنّه عليه أَوْلَهْ، فيسفر بأحسن الوجوه عواقبه، وتزهر في أفق التوفيق ثواقبه، وتصح مذاهبه وتضحّ مطالبه، ويأتيه الله في الوقائع الآتية [2] من الغيب بالنصر فيحضر غائبه، وتنبو بنوب الدهر نوائبه[*].

ذكر الاجتماع على حصار / الكرك في رجب سنة تسع وسبعين

١١٤ أ

فلما آب السلطان من الغزوة، فائزا من الغنيمة الحلوة بالحظوة، جعل مآب الجهاد الى جهة مآب[3] من اقليم الشّراة[4]، وقد تلاقح بها من الفرنج شرار شرّ الشراه. ونزلنا بآدر أدر[5] فأدرنا على منازلها النوازل، وتركناها من ساكنيها الكفّار طلولا عواطل. واستأمن إلينا أهلها المسلمون فأذقناهم لحلية الايمان حلاوة الامان، وأولينا السكون لأولئك السكان، وساكنوا تلك الاعمال مسلمون في قديم الزمان، وتربّى أولادهم في حكم الافرنج فألفوا[6] ما ألفوه، وخافوا منهم على ظهور حبهم لنا فأخفوه. ثم خيّمنا على الربّة[7] رانين رضا الرب، وضاقت بعساكرنا أودية ذلك الفضاء الرحب، وتقدمت الى العدو قبل رعب جيوشنا جيوش الرعب، ثم حضرنا الكرك وحصرناها وعلى الاستطالة عليها بقتال المنجنيق قصرناها، فكانت المجانيق[8] تراوحها وتغاديها، وتعاودها وتباديها، وتجاوبها وتناديها، وتأخذ مآخذها وتهتم بواحدها، وتهجم منافذها، وتقرع بالحجارة حجارها، وتصدع بالاسواء اسوارها، وتناظرها بألسنة حبالها وتناضلها

---

(١) في السنا «لسؤاله» وهي تصحيفاً، ص ٢٣٣.

(٢) ششن، ص ١٥١ «الأبيّة». (*) في الأصل «ونوائبه».

(٣) هي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. ياقوت، جـ ٥، ص ٣١. أنظر أيضاً ص ٢٢٠.

(٤) صقع في الشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة. ياقوت، جـ ٣، ص ٣٣٢، وفي السنا «الشراوه» وهي خطأ، ص ٢٣٣.

(٥) تقع بالقرب من مدينة الكرك حالياً قرية باسم «أدر» ويرجح أن تكون هي المقصودة هنا.

(٦) ششن «فألفوه»، وسقطت عنده بقية الجملة «ما ألفوه»، ص ١٥١.

(٧) وهي قرية في طرف الغور بين الأردن والبلقاء. ياقوت، جـ ٣، ص ٢٦، وفي السنا كتبت «الربا» وهي تصحيف، ص ٢٣٣.

(٨) ششن، ص ١٥١ «المناجق».

١١٤ ب بأسنّة/ نصالها. وتحول السلطان إلى الربض [١] ، ملازما للغرض، ومواظبا على الجهاد المفترض، وأقام بدار الرئيس ليدنو من أخذ أهل الكفر بالعـذاب البئيس، ويقرب من المنجنيقات المنصوبة، ويشاهد مواقع النكاية في القلعة المحصورة المحصوبة [٢] ، ومطرها صوب الحجارات فناحت لها المصيبة في نواحيها المصوبة، وقامت الحرب من المنجنيق على ساق، وأقمنا من نصر الله عـلى أوكد ميثـاق. وكانت سبعـة قـد فتحت لأهـل جهنم سبعة [٣] أبوابها، وفغرت أفواهها وكشرّت عن انيابها، وأذوت ذوى العذاب بعذابها، وفصلت أوصال السور بسوء خطبها وخطابها. وقد رتب السلطان نوب الرمـاء [٤] على رجال الأمراء في الصباح والمساء. ولم يزل يُـرجم الحصن الزاني وتُهدم منه المباني، وعليه النوب متناوبة، والعقوبات متعاقبة، وحصاة الحصار لا تحصى والحماة الأدنون منهم من الشـراريف تقصى. فما أخـرج أحد رأسـه إلا طار رأسـه، وخـرجت نفسـه وإنقـطعت أنفاسه. والسلطان في اثناء ذلك مشتغل من جانب بتعمير البلاد وترتيب الممالك، ومن جـانب بتدمـير الكفر والتـدبير في المهـالك. ثم انقضى شهـر رجب، وقد قـارب العدو الشجى والشجب، وحصّ الحصار جناح المعقل، لكنّ أرجاء الرجا نجاح المؤمل. وعلم ١١٥ أ باجتماع/ الفرنج في الموضع المعروف الوالِه[٥]، وكلهم في طلب الثار في طيش الوالِه. قلنا هذا حصر يطول، ومسألته تعول، وقد أضعفنا الحصن، وهددنا منه الركن ومكّنا منه الوهن، وسلبنا اعماله قوّاتها وأقواتها، وهذه نصرة قد أحكمنا[٦] أسبابها ولا خوف من فواتها. وما نزال بعـون الله نعاوده بـالاضعاف، ونـزوره ببواعث الاتـلاف، حتى نفوز بالفتوح ونحوز ذخر الظفر الممنوح. وهذا جمع الفرنج ملتئم وجمرهم مضطرم، ولا يُفرق جموعهم الا جمعنا المنتظم، ولا يُغرق برّهم وساحلهم الا بحرنا الملتطم، وقد اجتمعـوا فنحن نقصدهم ونلقاهم ونقدم عليهم فلا نتوقّاهم. وسيأتي ذكر عودنا في موضعه.

ذكر وصول أيلبه مملوك سيف الاسلام اخي السلطان واخباره بتوجهه إلى بلاد اليمن من مصر في رجب من هذه السنة

قد سبق ذكر تعويل السلطان على اخيه سيف الاسلام باليمن قبـل خروجـه من مصر في سنة ثمان وسبعين، وكان قـد سيّر مملوكـه صارم الـدين خُطْلُبـة والي مصر إلى

---

(١) الربض: ما حول المدينة. أنظر لسان العرب، مادة «ربض»، جـ ٧، ص ١٥٢.
(٢) ششن، ص ١٥٢ «المحصونه».
(٣) ساقطة لدى ششن، ص ١٥٢.
(٤) في السنا، ص ٢٣٣ «الرملة».
(٥) قرية تقع على طريق المسافر من عمان إلى الكرك بين مأدبا وذيبان.
(٦) في الأصل «أحكمناها» أنظر السنا، ص ٢٣٤.

زبيد[1] لضبط/ بلادها وربط اجنادها، فمضى واخرج منها حطّان بن منقذ وقد حدّث ١١٥ ب نفسه بالاستقلال وتملّك تلك الاعمال، وأعانه الامير عز الدين عثمان الزنجارى والي عدن فضبطا تلك السنة اليمن. ثم قضى[2] خطلبه بزبيد نحبه، وترك بغير إمرةٍ[3] صحبه، فعاد الامير حطّان فاستولى على زبيد وفرق من بها من الاجناد عباديد[4]. فوصل رسول صاحب عدن ونحن على الكرك، يذكر ما يلزمه في الخدمة من الدّرك وانه قد استولى حطّان، وربما أغواه الشيطان، فتولّد من تولّي طاعته العصيان. فأجابه السلطان بكل ما أرهف حدّه وأسعف جدّه وقوّى أمله، وروّى بما ألجأه عمله. وقد كان كتب إلى اخيه سيف الاسلام يحضّه على حضه، ويحثه على المسير الى ملكه باليمن وحفظه. فخرج من مصر في رجب متوجهاً، ولاستدراك فارطه متنبّها، وأدركنا مملوكه حتى قضى له اشغالا، وأخذ له بانشائي مثالا. وسار حتى ادرك موسم عرفة وأدى فريضة الحج، ثم استقام الى البلاد اليمنية على المنهج، وملك وأجرى بمراده الفلك.

ذكر مسير الملك المظفر/ تقي الدين عمر ١١٦ أ ابن شاهنشاه الى الديار المصرية للنيابة بها

ولما وصل الملك العادل أظهر عن حب مصر سلوة، وطلب من حلب واقطاعها له مرجوّة، فعوّل السلطان على تقي الدين في تولي تلك الديار، ورد الى حكمه الصارم تلك الامصار، وزاده على اقطاعه بالشام في مصر اقطاعا، وفرع به من المكانة والمنزلة يفاعا[5]، وسما به على الأضراب وأحلّه فوق مراتب الاتراب، وانعم عليه في مصر بالاعمال الفيّومية وسائر نواحيها بجميع[6] جهاتها وجواليها[7]، وزاده القايات[8]

(١) مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون سنة ٢٠٤هـ. ياقوت، جـ٣، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) في الأصل «مضى».

(٣) ششن «أمير»، ص ١٥٣.

(٤) تفرق القوم عباديد وعبابيد، يقال صاروا عباديد وعبابيد أي متفرقين. والعباديد: الأشياء المتفرقة. أنظر لسان العرب، مادة «عبد» جـ٣، ص ٢٧٦.

(٥) اليفاع: المشرف من الأرض والجبل، وكل شيء مرتفع فهو يفاع. أنظر لسان العرب، مادة «يفع»، جـ٨، ص ٤١٤.

(٦) ششن، ص ١٥٤ «لجميع».

(٧) كذا في الأصل ولدى ششن، ص ١٥٤ «حواليها» والمقصود هنا جمع جالية بمعنى جزية.

(٨) في السنا «القبيبات»، ص ٢٣٤ وكذا أيضاً في الروضتين، جـ٢، ص ٥٣، ولا يمكن أن تكون هذه القراءة صحيحة إذ أن القبيبات اسم لبئر في طريق مكة أنظر ياقوت، جـ٤، ص ٣٠٨ ولم يذكر ياقوت القايات لكنها وردت لدى ابن الجيعان بهذا الاسم على أنها من الأعمال البهنساوية ويبدو أنها كانت قبل ذلك تتبع الفيوم وهي مع كفورها تبلغ ٦٧٦٥ فدان، ص ١٦٢.

وبوش[1]، وقاد باياليته هناك الجيوش، وابقى عليه بالبلاد الشامية مدينة حماه وقلعتها وجميع اعمالها. وحلّى به عطلَ احوالها وجمّله بصحبة سيدنا الاجلّ الفاضل المتفرّد بأجلّ الفضائل، حتى اذا وصل تقي الدين الى مصر اقتدى بالتدبير الفاضلي واهتدى بسنا رأيه الجليل الجليّ. وكان السلطان لا يؤثر مفارقته، ولا يحضره أنس اذا فارق حضرته، ويستوحش اذا حذر غيبته فقد أَلِف صحبة السعادة بمساعدته في صحبته، ومعاقدته على صحة مناصحته، ولم يزل يستأذنه ولا يأذن، ويسأله التمكين من السفر ولا يتمكن، ١١٦ ب / ويخاف على تشعّث أحوال مملكته ولا يأمن، وهو برأيه يرى وبوريه[2] يرى، وببريه[3] وفريه[4] يبري ويفري. فلما لم يجد من توجيه تقي الدين إلى مصر بدا، وأنه يكون بالأعمال مستبدا وكانت في تقي الدين حدّة لم تكن في العادل، احتاج في تقويمه الى تدبير الأجلّ الفاضل، فأذن له في السفر بشرط الإسراع في العودة، والمبادرة إلى الاجابة عند تحقيق[5] الدعوة، فسارا ساريّن وبمن في صحبتهما باريّن. وعاد السلطان بالعادل وكتبتُ لهما منشورين.

فأما المنشور التقوّي[6] بمصر فنسخته، وقد كتب في شعبان سنة تسع وسبعين: الحمد لله المتعالي جلاله المتوالي افضاله، القديم كماله العديم مثاله، نحمده على احسانه العظيم نواله، العميم أفضاله، ونسأله أن يصلي على سيدنا نبيه محمد المصطفى الفصيح مقاله، الفسيح في الشرع مجاله، الشفيع المقبول في الأمّة سؤاله، وعلى اله وصحبه الذين هم نجوم الهدى وأنصار الحق ورجاله. أما بعد: فإنّا منذ استودعنا الله ملك بلاده واسترعانا أمر عباده، ومكّن لنا في الارض وبسط في البسيطة[7] أيدى ١١٧ أ ايدينا/ بالبسط والقبض، وأقدرنا في ممالكه على العقد والحل والابرام والنقض، وملّكنا زمام الزمان بالامر والنهي، ونهج لنا وبنا سبل الرشاد وعفّى طرق الغي، وناط الهدى بتوفيقنا وأماط الضلالة عن ملكنا فهو للاحكام وهي للوهي. وأعزّ بنصرنا الاسلام وأداله، وأذلّ الكفر وأذاله[8]، وثبّت الحق ومكّنه ونفى الباطل وأزاله، نفترض[9] اداء شكر نعمته وان كنّا معترفين بالقصور عن ادائه، ونرعى[10] له في بلاده وعباده حق ما

---

(١) كورة ومدينة من نواحي الصعيد الأدنى في غربي النيل بعيدة عن الشاطىء، ياقوت، جـ ١، ص ٥٠٨.

(٢) استوريت فلاناً رأياً أن طلبت إليه أن ينظر في أمري فيستخرج رأياً أمضي عليه. لسان العرب، مادة «ورى» جـ ١٥، ص ٣٨٩.

(٣) في الأصل «وبيريه».

(٤) يقال للرجل إذا كان حاداً في الأمر قوياً والعرب تقول تركته يفرى الفرى إذا عمل العمل فأجاد. واصل الفرى القطع. أنظر لسان العرب، مادة «فرا»، جـ ١٥، ص ١٥٣.

(٥) ششن «تحقق»، ص ١٥٤ وبالأصل كما أثبتنا.

(٦) نسبة إلى تقي الدين.

(٧) ششن، ص ١٥٥ «البسطة».

(٨) أنظر لسان العرب مادة «ذيل».

(٩) ششن، ص ١٥٥ «يفترض».

(١٠) ششن، ص ١٥٥ «يرعى».

خصّنا به من عموم استرعائه، فلا يسترعبها من الولاة الاّ أولاهم برعاية الرعية وأثبتهم حجة على سلوك الحجّة المرعية المرضية، وأحسنهم طريقة في إجراء الامور على القواعد الشرعية، واكرمهم للتقوى التي تقوى بها المكارم وتوقّى المكاره، وحكمهم في الرأي الذي يصح ويضح به في الامور المحكم والمتشابه، وأقومهم على سنتنا في إقامة فروض العدل وسننه، وأعرفهم بحق إنعامنا في تقبّل منحه وتقلّد مننه، وأطولهم في الطول باعا، وأفضلهم اتساقا في المنائح واتساعا، وأسماهم في يفاع العلى ارتفاعا، وأولاهم لأبكار المحامد والمفاخر افراعا، وأجلاهم في مشارق السعادة طلوعاً وأجلّهم على واجباتها إطّلاعا، وأبذلهم في الجهاد اجتهادا، وأكثرهم/ في سِداد الثغور الاسلامية سَدادا، حتى ١١٧ ب تعود الولاية بايالته منتظمة العقود، والمملكة ببهجته مبتسمة السعود، والسياسة بنصره نضره مورقة العود، والمصالح بصوب صوابه مصوبة المعاهد مصونة العهود، ونَصْل النصر بمضاء مضاربه مغمود، في مفارق الاعداء مفارقا للغمود، وتمحو حسنات أيامنا البيض بتوليته سيئات الليالي السود. ولما كان ولدنا الأجلّ الملك المظفر تقي الدين أدام الله علوه وضاعف رفعته وسموه ذا المجد الشامخ والجد الباذخ والرأى الراجح الراسخ، والعدل المجيب المجير استصراخ الصارخ، والاصابة التي تقصر عنها خطى الخطوب الخاطئة، والقدرة المواتية التي لديها العظائم ذوات الاقدار المتوطية، والشيمة الزكية الذكية، التي[1] تضّوع نشرها المتأرّج، وتوضّح بشرها المتبلّج، وشيم عارض كرمها المتبوّج، وزُجّي[2] بحر سماحها المتموّج، والمناقب التي اشرقت زواهرها في سماء السموّ، وأنقت ازهارها في رياض النموّ، وتليت آيات مدائحها بلسان العدو، وجليت عرائس محاسنها في مطالع العلو، والبسالة التي فرّق جموع الاعداء بأسها الشديد[3]، وثَلَم حدَّ الكفر حدُّها الحديد[4]، وأعلا جد الإسلام جدّها الجديد/، وهد ركن النكر ١١٨ أ ركن عرفها المشيذ. وهو مقتد بسنّتنا العادلة في احياء سنّة العادل وتقوية منّة الفضل ورفع منار الشرع المنير، واعلاء معالم المجد الأثيل الأثير، وخفض جناح الرحمة للصغير والكبير، وإسعاف العافي وإعانة العاني وإغاثة المستجير. قلّدناه ولاية الممالك والبلاد والثغور والديار المصرية وعذقناها بكفايته، وأوليناها النظام بولايته. وحلّيناها بحلية أيالته، وعوّلنا عليه في سياسة مملكتها وحماية حوزتها والذبّ عن بيضتها، وفوضنا اليه نظرة أمورها، وجلونا في آفاق تدبيراته الموافقة الموفقة نورها. وأمرنا كافة الامراء والنواب والعساكر المنصورة المصرية على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم، بامتثال أمره

---

(١) في الأصل: اللذي.

(٢) في الأصل «رجى» ولدى ششن، ص ١٥٦ «دجى».

(٣) في الأصل «السديد».

(٤) ششن، ص ١٥٦ «الجديد».

والانقياد لحكمه والتصرف على رسمه، والحضور اذا طلبهم، والهبوب اذا ندبهم، فإنا قد عضدنا به سلطاننا وسددنا به مكاننا وبسطنا به على الرعية عدلنا وإحساننا، وجعلنا يده يدنا ولسانه لساننا، وأمضينا سيفه اذا اقتضته حدود الله في الآجال، وأطلقنا قلمه في الارزاق التي يجريها الله تعالى لكافة الاولياء والرجال. وفوّضنا اليه هذه البلاد تفويضاً

١١٨ ب ماضية أحكامه، متّسقا نظامه/ موصولة بمشيئة الله أيامه، وولينا إياه تولية من عرف قيامه بحق الولاية، وانتهاءه في مصالح الاسلام الى الغاية، وانتظام خلاله الكريمة بشروط الكفاية والكفالة، واضاءته في فضاء الفضائل بالحسن والحسنى من الحلية والحالة، وتوفّره على الجهاد في سبيل الله عز وجل بحرا وبرا بتجهيز أساطيله وكتائبه، واعتماده[١] كل[٢] ما يدل منه على مزيد الشكر في استمداد مزيد مواهبه، وقيامه بتوفيق الله المعدِّ له بالمعدلة، وكشفه بالرأى الثاقب مهمات الخطوب المشكلة، وبسط اليد والقول في العارفة والعاطفة للاولياء بالنيل واللين وانتضاء[٣] سيفه وسوطه في السطو على الأعداء لاقتضاء دَيْن الدِّين، حتى تعلو كلمة الاسلام وتثبت، وحتى تبتتّ عروق الكفر من أرض الله ولا تنبت، وحتى تكتب المذلّة على العداة فتكبت، وحتى تجتمع القلوب والالسنة على محبّته وشكره، وتتفق الكافة على الائتمار لطاعته وطاعة امره. ونحن نسأل الله ان يوفقه ويسدده ويعضدنا به ويعضده، ويؤيدنا بحسن تدبيره ويؤيده. والمستقر له من اقطاعاته ما اثبت في الديوان ذكره، وبيِّن في هذا[٤] المنشور قدره وهو ما سبق ذكره،

١١٩ أ فليتلق نعمة الله بالشكر الذى/ يرتبطها، وبسط اليد الذى ينشرها عليه ويبسطها، ونشاط الهمة الذي يطلقها من عقال التوقّف وينشطها، مستمسكا من التقوى بأوثق عروة، عاقدا بها من حبّ بذل الحباء اصدق حبوة، فائزا من النصر والنجح في مغازيه ومساعيه بأوفق حظوة، ساميا من العز الجلالة والمهابة على اسمق ذروة، مؤيدا من الله بالتسديد في صرف كل خطب وتصريف كل خطوة.

وكان رحيل سيدنا الاجل الفاضل من الكرك الى مصر في منتصف شعبان من السنة، وكتبتُ اليه عند الرجوع من وداعه

رجع المملوك من الوداع وداعي الأسى يحفزه، وعادي الاسف يزعجه، فعدم الشمس التي تفيض عليه، والظل الذي يفيء اليه، لا مجيب لاستدعائه، ولا مجير لاستعدائه، ولا مقيل لعثراته، ولا مُنفق لنقده، ولا موثق[٥] لعقده، ولا مروّج

(١) الأصل: اعتماد.
(٢) في الأصل «كلما».
(٣) في الأصل «انتظاء».
(٤) في الأصل «هذه».
(٥) في الأصل «نوثق».

لرجائه، ولا مورّج لأرجائه، ولا مرجي لإرجائه، ولا مرّجي لإنجائه. وأصبح مع عدم اللقاء الصبيح لقيّاً للعدم، وصار مذ ندّ من نادي الندى نِدّا للندم، وظل كـالضالـة لا ينشد، وكالضّال لا يرشد، وكالفقيد لا يفتقد، وكالزيف/ لا ينتقد، وكالـرميم يُرمى، ١١٩ ب وكالمرير لا يمرى، وكالمأيوس شفاؤه لا يطبّ، وكالمأنوس جفاؤه لا يحبّ، وكيف حال من حالت كيفيته أَيأسُه يأسوه أم نيّته امنيّته. يا ليت المولى قَبله صـاحبا لـركابـه وراكبا في صحابه، وترابا لمواطيء قدمه وتربا لمواطن خدمه، ومـاشياً في ركبـه ناشئـاً في صحبه، متلاشيا في أشعة آلائه متعايشا فيْ شائع لألائه. وضيعاً مع الشرفاء، ثقيلاً مع الظرفاء، سقيما مع الأصحاء، هجينا مع الصرحاء. والعقد الثمين ربما انتظمت فيه لمصرف العين الخرزة[1]، وشدّت بالسبحة ثلمتها المعوزة، على انه اذا اقامه في كنف الرعاية[2] مرعيّ الكنف، مكفيّ الكُلف منفي الكَلَف، غبطه السائرون وتحامـاه الضائـرون ولم يثر اليـه الثائرون، ولا غنى بالمملوك في كل وقت لاستزاده مقّة[3] واستـزالة مقت[4] عن تجـديد جاهه وتوجيه جدّه، واسعاد رجائه واجراء سعده، فالمغارس[5] تستثمر بالتربية غرْسه، والمؤسس يستعمر بالتقوية أسّه، ولا يضيّع المملوك الذى ملك رّقه باحسان عشر سنـين ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[6].

وتـولى الملك العادل سيف الـدين أخو السلطان حلب وقلعتهـا وجميع اعمـالهـا ومعاقلها ومدينة منبج/[7] وجميع قلاعها واعمالها، فكتبت منشورا أيضا في شعبان سنة تسع وسبعين، ونسخته:

الحمد لله ذى السلطان القاهر والاحسان الظاهر والامتنان الوافر والبرهان الباهر نحمده على انعامه المتضاعف المتضافر[8]، وإفضاله المتوافد المتوافر، حمداً يؤذن بالمزيد للشاكر. ونسأله أن يصلي على سيـدنا نبّيـه محمد المصـطفى ذى الشرع الـظاهر والنـور الزاهر، وآله الاكارم الاكابر ذوى المفاخر والمآثر، وسلّم تسليما كثيرا، أما بعد: فإن لله عندنا نِعَما ان نعدّها لا نحصيها، ومننـا قد جمـع الله لنا بشمـولها الـدائم شمل أعمّهـا

---

(١) في الأصل غير منقوطة، أنظر السنا، ص ٢٣٤.

(٢) في الأصل غير واضحة وما أثبتناه من السنا، ص ٢٣٤.

(٣) في السنا «محقه»، ص ٢٣٥.

(٤) في السنا «مقته»، ص ٢٣٥.

(٥) في السنا «فالغارس».

(٦) سورة هود آية ١١٥.

(٧) مدينة كبيرة واسعة، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. أنظر ياقوت، جـ ٥، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٨) ششن، ص ١٥٩ «المتضافره».

وأخصّها، ومواهب واضحة المذاهب في التواصل والتناصر، ومنائح متظاهرة الغوادي والروائح في التوافد والتوافر، وأيادي ملأت الأيدي والآمال نجاة ونجاحا، وعوارف عمرت منّا ومن اوليائنا الصدور والقلوب انشراحا وارتياحاً. ولقد أتانا من المُلك ما قامت لنا بالحق حجته، ووضحت في نهج السعادة بُنجح الارادة محجّته، وأيدنا عليه بالنصر الماضي النصل، والعز الجامع الشمل، حتى أذلّ لنا رقاب الاعداء، ومهّد لنا وبنا أسباب الولاء، وملّكنا قياد العباد وكفّ عنّا وبنا عنان ذوي العناد/، وجعل سيوفنا واقلامنا للاقاليم أقاليد، وفرّق جموع الكفر ببأسنا أشتاتاً عباديد. فالفتوح الأبكار بصوارمنا الذكور افتضاضها[1] واقتضاؤها، والحتوف نحو الكفار بعزائمنا الماضية المضارب في ضرب الهام وطعن النّحور انتهاضها وانتهاؤها، وثغور الاسلام عن ثنايا الثناء عليه ضاحكة الثغور، وأوامرنا في إعلاء أعلام الدين منتظمة الأمور، والجهاد من جميع جهات ممالكنا برًّا متسق الجموع، والتوحيد لقمع اهل التثليث ثابت الاصول نامي الفروع.

١٢٠ ب

والحمد لله عودا بعد بداء على ما ولاه من نعمة وأولاه، وأعاد من منحه بعد ما أبداه، ﴿ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وأن اعمل صالحا ترضاه﴾[2]. ومن جملة نعم الله وأجلها وقوعا وأجلاها في الجلالة طلوعا، وأجدرها منا بالاخلاص والجدّ، وأشرقها لنا في مطالع السعد، وأوجبها لفرض الشكر، وأحراها بدوام الاشاعة والنشر، أنه سبحانه وتعالى شدّ أزرنا بأخينا الملك العادل سيف الدين ناصر الدين أبي بكر ـ أدام الله علوّه ورفعته وسمّوه ونعمته وتسديده وأيد بسطته ـ ذي الباع الطويل والطول الجزيل، والصدر الرحيب والرأي الراجح المصيب، والجد المنيف المنير، والمجد الأثيل الأثير، والقدر الجليل الجلي والعزم الماضي/ المضي، والحلم والأناة والحزم والثبات، والقبول الذي وفّر له في القلوب مواد المودّات، والجود الذي ينهل جوده باسعاف العافين من سماء السماح، والمعاطفة التي تلحف الراجين جناح النجاح، والعارفة الفارعة، والمعرفة الصادعة، والهمة الصادقة، والمهابة الرائقة الرائعة، والسياسة الجامعة المانعة، والبسالة التي زلزل الكفر بأسها، وتقوضت بها قواعد البدعة وأساسها، والتدبير الموافق في حفظ الممالك ونظم عقودها، والنظر[3] الصائب الصادق في ترتيب المصالح وصون حقوقها وحدودها، والعدل الذى أوضح سَنَنه وأقام بين الرعية بالرعاية فروضه وسُنَنه، والسيرة التي تُحلّي التواريخ بأيامِن أيامها، ويسددها للدولة مرامي مرامها، والاعتقاد التي أنارت آفاقه من التوفيق بأنوار الخلوص، وتوفّر حظه من عموم تأييد الله اياه على الخصوص. فالملك بإيالته محكم القواعد مبرم المعاقد، مستهل العهاد

١٢١ أ

(١) في الأصل «اقتضاضها» أنظر لسان العرب، مادة «فضض»، جـ ٧، ص ٢٠٧.

(٢) سورة النمل، آية «١٩» في الأصل «التي أنعمت بها علي».

(٣) في الأصل «والنضر» وهي تصحيف ولدى شبشن «النصر»، ص ١٦٠.

أهل المعاهد، والدولة بإدالته شديدة السواعد سديدة المساعد، صافية الموارد صادقة المواعد، والدين بنصرته داني النصر سامي القدر عالي الامر نامي النشر، والاسلام منه بناصره زاهٍ والكفر من بأسه بقامعه واهٍ، والقدر بقضاء الله على موافقة أمره آمرٌ ناهٍ[1]، والشرع بمحافظته على احكامه وملاحظته/ أسباب نظامه ومفاخره مُباهٍ، فهو الشقيق ١٢١ ب الشفيق الذى لايثارنا يؤثر ولرضانا يقصد وعلى مُرادنا يجري. وهو كما قال الله تعالى عن موسى عليه السلام ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزرى وأَشركه في امرى﴾[2]. والحمد لله الذى (سُعِدْنا)[3] بمساعدته وأَسْعَدنا بمعاضدته، وأظهرنا بنجدته، وأنجدنا بظاهرته، وأظفرنا بموافقته، ووفّقنا لمضافرته. ولمّا أنعم الله علينا هذه السنة بالفتوح المستفاضة والممالك المستضافة، وحكم لنا في توسيع دائرة المملكة بالزيادة على الملوك والإنافة، وفتك لنا البلاد وأنجح المراد، وملّك من كل ما رمناه القياد. جرينا على أحسن الشيَم في إحياء سنّة الكرم، فما فتحنا معقلا الاّ ويدنا لها مالكة واهبة، والحازم من يكون ذا هِبَةٍ بالدنيا فانها ذاهبةٌ. وقد جعلنا لأخينا الملك العادل من الممالك التي تملّكناها والبلاد التي فتحناها والمعاقل التي استضفناها أوفى نصيب، وأصبح النّجح منّا لداعي رجائه أسرع مجيب، ورأيناه أحق بحقه من كل بعيد وقريب. وقلّدناه أمور البلاد والمعاقل والثغور وفوّضنا اليه فيها جميع الأمور، فبيده الحل والعقد والبسط والقبض، واليه الولاية والعزل والابرام والنّقض، وله القول الثابت والامر النافذ، والى فضله يرجع العائد وبعدله/ يلوذ العائذ، ونحن نرغب الى الله أن يوفقه ويؤيده ١٢٢ أ ويسدّده. وسبيل الولاة والامراء والنّواب والاعيان والرعيّة والاصحاب الانقياد لأمره المطاع، ومقابلة مراسمه بالامتثال والارتياع[4]. والرجوع الى بابه، والجري على حكم نوّابه، والنهوض إلى الغزوات في خدمة ركابه، والوفود في حالة الضراء والسرّاء إلى المرتع المريع والمنبع المنيع من جنابه. فانه فتحُ الاولياء بالآلاء، وحتف الأعداء بالاعداء، ولديه كشف الغمّاء بالنعماء، وفي مهابّ المحابّ منهُ نضوعُ أَرَج الارجاء، ومن شيمته الاقتداء بسنّتنا في بسط العدل والاحسان، وقبض أيدى الظلم والعدوان، وإسداء المعروف وإعداء الملهوف، وإعلاء معالم المعالي وتكثير حسنات أيامه لتكفير سيئات الليالي، والمجاهدة في سبيل الله. رابط الجأش لتأليف الآلاف من جيوش الرباط، وعمارة البلاد بحسن سيرته التي لم تزل مستقيمة على الجَدَدِ في الاقساط، ومشايعة الشريعة المطهّرة في جميع أحواله آخذا بالاحتياط، مؤيدا بالنصر من الله والتأييد والتمكين حتى[5] تُنسي في

(١) لدى ششن «آمروناه»، ص ١٦٠.

(٢) سورة طه، آية «٢٩».

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) أنظر لسان العرب، مادة «روع»، جـ ٨، ص ١٣٦.

(٥) ساقطة لدى ششن، ص ١٦٢.

تلك الثَّغور غزواتِ سيف الدولة غزواتُ سيف الدين، ويحقق[1] بجميع[2] المسلمين قمع المشركين، ويعلي كلمة الاسلام بما يوليه من النصر الظاهر والفتح المبين ان شاء الله. / وكتب له في اخر المنشور تفصيل ما أنعم عليه من حلب ومعاقلها. ١٢٢ ب

ذكر الرحيل الى الشام

ولما رأينا أمر الكرك يطول ودافَعَنا عن حقه القدر المطول، وأن شهر الصيام قد قرب وأن العسكر قد تعِب، وأنّا ما استصحبنا[3] هذه النوبة معنا من آلات الحصار ما يكفي، وأن أدواء الشرك ما يحسمها إلاّ الدواء الذي يشفي، جهز السلطان العسكر المصرى في الخدمة التقوّية التي بالصحبة الفاضلية تقويتها[4]. ومن آرائها في كل ما ينادى[5] له تلبيتها وتربيتها، وانصرف بعسكر الشام عائدا، ومن حمى الدين بجدّه وجهده ذائدا، وعدنا الى دمشق عود الحيا الهاطل الى الثرى الماحل، وقدمنا قدوم الصباح على الساري والضيف على القاري، والنجاح على الراجي، والفلاح على اللاجي. وألقينا بها العصا وأجرينا خيرات السّنّة وذكر من أطاع وعصى. وعدنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام، ووقع الشروع في إراحة العساكر عند استقبال العام واستئناف الجمع لنصرة الاسلام.

ذكر مسير الملك العادل إلى حلب وتسلمها في شهر رمضان/ سنة تسع وسبعين

١٢٣ أ

وسار الملك العادل سيف الدين إلى حلب وتولاها بمقتضى المنشور، ونشر المطوي من أعماله بضمّ المنشور، وأعاد سرّ الخفيات من المعاملات إلى الظهور، وترادفت وترافدت حوافلها بالدرور ومحافلها بالحبور، وأبدت وجوه أعيانها بعنايته وجوهَ البِشر وأسارير السرور، وتسلّط بها سلطانه وتمكّن فيها مكانه، وتجلّت[6] ولاته وتولّتها أحكامه، وشفيت بطبّه أسقامه، وأصفيت على حبه أقسامه، ونفذ بأوامره في أمورها نقضه وإبرامه، وأصحب حامها[7] بأصحابه وانصرفت نوائبها بتصرف نوّابه. ودرّت على مراده أخلافها وزال بوضوح مذهبه في الوفاق خلافها، وأجنى أجنادها قطاف

---

(١) ششن، ص ١٦٢ «تحقق».
(٢) ششن، ص ١٦٢ «بجمع».
(٣) ششن، ص ١٦٢ «استصبحنا».
(٤) في السنا «تقويها»، ص ٢٣٥.
(٥) في الأصل «يناوى» والتصحيح من السنا، ص ٢٣٥.
(٦) ششن، ص ١٦٣ «وتحكمت».
(٧) في الأصل: «حماحها».

إقطاعها، ورفع خصاصة خواصّها بغنى ارتفاعها، وقرّ قراره وسرت أسراره. وانصرف نوّاب السلطان الى دمشق في خدمة ولده الملك الظاهر، ظاهرين بصفو الموارد والمصادر.

ذكر وصول صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه شهاب الدين بشير[1] في الرسالة الشريفة الامامية من الديوان العزيز النبوى ووصول/ محي الدين الشهرزوردى[2] معهما رسولا من الموصل

١٢٣ ب

ولما استقر بنا في دمشق المقام، وتمّ الصيام وأُحمد الختام، وعمّ بالفتوح من أوله العام، واتسق النظام واتسع المرام، وظهر بظهور الدولة الاسلام، ونام في مهاد الدّعةالأنام، واستطاب الكرى بالامن في حرم الكرم الكرام، جاء من وافد نعم الله التمام، ووصلت رسل أمير المؤمنين عليه السلام فعمّت البشرى، وتمت اليسرى، ونمت بالحسنى، وعلت الدنيا، ودنت العليا، وأُمنت البلوى، وضُمنت الجدوى، وعدمت العدوى، ووجدت من الدهر العُتبى، ونَقَعت السقيا، ونفعت البقيا، وكرمت اللُّقيا، وأحمدت العقبى. واستقبلنا الرسل الكرام بارسال كرامة، وارساء فخامة، وابداء ترحيب، وإبداع ترتيب، وسفور بشاشة، ووفور هشاشة، واحتفال واحتفاء، واكتفال واكتفاء، وقبول واقبال، واعظام واجلال، وتلقٍّ بتعظيم، وترقٍّ الى تكريم، وتَوَقٍّ من تقصير، وتقوٍّ بتوقير، وتقديم حمول بغير تأخير، وتحفٍّ بتحف، وتكلّف بكُلف، وتهدٍّ لهدايا، وتسنٍّ لسنايا، وتقدّم ركوب ببكور القادمين ماجدين بآلاء أولئك الماجدين، /

١٢٤ أ

واجدين لكل أمنية غير عادمين. فوفيناهم في الاستقبال كل حق، وفزنا من الاسراع الى الاستسعاد بهم بكل سبق، ولقي السلطان الرسل فنزل ونزلوا، وأقبل عليهم وأقبلوا، ثم قدّم لهم المراكب التي أعدّت لهم فركبوا، وسايرهم السلطان واصطحبوا. ونزل صدر الدين شيخ الشيوخ بالرباط على المنيبع[3]، وبان به شرف الموضع. ونزل القاضي محي

---

(١) من خواص الخليفة الناصر لدين الله في بغداد. توفي سنة ثمانين وخمسمائة أثناء عودته من دمشق إلى بغداد. أنظر ابن الأثير، الكامل، جـ ١١، ص ٤٨٦، ٥٠٩.

(٢) هو أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين محمد الشهرزورى ولي قضاء دمشق ثم انتقل إلى حلب ثم عاد إلى الموصل فتولى قضاءها ودرس بمدرسة والده المدرسة النظامية بها. وفد رسولاً إلى بغداد من قبل صاحب الموصل مراراً. ولد سنة عشر وخمسمائة كما ذكر ابن خلكان وذكر العماد أنه ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة، الخريدة، جـ ٢، ص ٣٣٠. وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة في مدينة الموصل. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٤، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨، العماد، خريدة ـ قسم الشام، جـ ٢، ص ٣٢٩، السبكي، طبقات، جـ ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠، الذهبي، عبر، جـ ٤، ص ٢٥٩، الحنبلي، الشذرات، جـ ٤،، ص ٢٨٧.

(٣) في السنا «المنبع»، ص ٢٣٦ وقد ذكرها صاحب نزهة الأنام في محاسن الشام بقوله: «محلة وسويقة وحمام وأفران وبها المدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها ولها شبابيك تطل على المرجه وبها ألواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها... وهذه المحله من محاسن دمشق وشرفها» أنظر ص ٧٦ ـ ٧٧.

الدين بن كمال الدين الشهرزوري[1] في جوسق بستان الخلخال[2] حالي الحال حالاً في منزلة الكمال، ونزل شهاب الدين بشير جوسق صاحب بصرى[3] على الميدان سامي المكان نامي الاحسان.

ذكر وفاة ولد شيخ الشيوخ ثاني يوم وصوله

كانت بيني وبين شيخ الشيوخ قرابة قريبة، لدعواتنا في الحوادث والحوائج مستجيبة[4]، فإنه اتصل الى ابنة عمي الصدر الشهيد عزيز[5] الدين أبي نصر أحمد بن حامد، فقد كانت عقيلة بيت السؤدد وكريمة شرف المحتد. وقد كان من وزراء الزمان وعظماء دولة السلطان، يخطبونها رغبة في طيب النّجار وطهارته ونزاهة العنصر ونضارته.

١٢٤ ب واتفق حضورهما بالكعبة المعظمة في سنة/ خمس وأربعين، وتكررت منه الخطبة، وصحّت الرغبة، فأجيب لدينه وأصله وتقواه وفضله، وبارك الله منها في ذريته ونسله. وكان له منها أولاد نجباء استأثر الله بهم في ريعان شبابهم ونقلهم الى التراب عن اترابهم، وبقي الذى استصحبه في هذه الرسالة من انجابهم، وكان منعوتا مكنّى مسمّى بما كان جده العزيز أبي نصر أحمد أعزّ وأقرب وأحمد، فمرض عليه[6] في الطريق فاستشعر من اقامته حذر الوالد الشفيق، واستصحبه معه في محفّة، ورجا أن يعتاض ثقلاً بخفّة، فوصل ونفسه رهينة بِنَفَس، وناره ضنينة بقَبس، وحركته قد خضعت للسكون، وامنيّته قد اتضعت للمنون، وذماؤه قد خفر منه الذمام، وحِماه قد استباحه الحِمام، وقد جاء الاجل وذهب الأمل، وانقضى العمر وقضي الأمر، وضاق صدرُ الصدر بمصاب ولده، وانصدعت كبده للفجيعة بكبده، وجلس ثاني يوم وصوله للعزاء، وحضر عنده السلطان

---

(١) هو القاضي محيى الدين أبو حامد محمد بن محمد بن عبدالله الشهرزوري. تولى عدة مناصب في الشام وحلب والموصل ثم درس بالمدرسة النظامية بالموصل وتوفي فيها في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٥٨٦. وولد كما ذكر ابن خلكان في الفترة بين ٥١٠ ـ ٥١٩ بينما ذكر صاحب الخريدة أنه ولد عام ٥١٩ أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ٣، ص ٢٧٩ ـ ٢٨١، الأصفهاني، خريدة ـ قسم الشام، جـ ٢، ص ٣٣٠، الحنبلي، شذرات، جـ ٤، ص ١٢٣، الروضتين، جـ ٢، ص ١٨٢، السبكي، طبقات الشافعية، جـ ٤، ص ٩٩.

(٢) أنظر: أبو البقاء، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص ٧٦.

(٣) أنظر ياقوت، جـ ١، ص ٤٤١. والجوسق: الحصن، والجوسق: القصر أيضاً. أنظر لسان العرب، مادة «جسق»، جـ ١٠، ص ٣٥.

(٤) في الأصل «مستحنة».

(٥) في السنا «عز»، ص ٢٣٦ وهو عزيز الدين المستوفي عم العماد الكاتب الأصفهاني بلغ المنزلة العلية في الدولة السلجوقية إذ تولى في أخر أمره الخزانة السلطانية للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي. ثم حبس في قلعة تكريت وقتل فيها، قتله السلطان السلجوقي وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وخمسمائة. ومولده بأصبهان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. أنظر ابن خلكان، وفيات، جـ ١، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٦) ساقطة لدى ششن، ص ١٦٤.

وجماعة الأمراء، وصلّى عليه ودفن في المقبرة محاذية الرباط، وقطع هم الولد عليه طريق النشاط، وبردت حرارة الرسالة وحالت بهجتها لتلك الحالة، وشغلت حادثته عن محادثته، وخطبه عن مخاطبته، ونقشه عن/ [1] مناقشته، وبثّ همه عن الهم بمباثثته، حتى انقضت ثلاثة أيام موسم التعزية، ولم يقدر على غير التسليم للقدر والتسلية. ١٢٥ أ

ذكر السبب المقتضي لهذه الرسالة في هذه السنة

لما عرف صاحب الموصل ما تسنّى لنا من فتح آمد وحلب، وتيسر كل ما اراده السلطان وطلب، خطر بباله خطر البلوى وعود العدوى، واتساع خطب الخطوب اليه واتساق كرب الكروب عليه، فكّر فكره في خلاب الحِلاب، ومزج بماء التودد طِلاء الطلاب، ومال الى الاستعطاء والاستعطاف، وتنكّب بالاستكانة نهج الاستنكاف، وشرع في استسعاء رسله للاستسعاف، واستدعى من الديوان العزيز إرسال شيخ الشيوخ للاستشفاع، لعلمهم أنّا لا نرى الا الائتمار بالطاعة للأمر المطاع، وندب قاضي القضاة محي الدين أبا حامد محمد[2] بن محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري للرسالة من جانبه وناط بسعيه ونجح مطالبه، فجاء في جاه أنيق ولسان ذليق وأبهة وبهاء ورواية ورواء، وتكفّل وتكلّف وتطرّق وتظرّف، وترفّع وتعرّف وتقشع وتقشف، وتأرّج في مهابّ المهابة/ ، وتبلّج في صباح الاصابة، وتلقّ[3] لما ترفع من راية المجد بيمين عرابة، وترّق في ذروة الخطاب بجلوته[4] على منبرِ من برِّه الخطابة[5]، ولو تخلّق بخلق مرسله في الترفع [6] بالتواضع، وصلة احكام التواصل بقطع أسباب التقاطع، لكفي الغرض وشفي المرض، ولم يكن في بَلاغ بِلاغ، ولم يحدّث قلبه في المشغل شغل القلب، وهو يرى أنه مصحّ ونصعِ فراغ الى فراغ. فإنه لما وصل لزِم ناموسه واطال في محل تساميه جلوسه، وقطّب ببشر وجهه عند توجيه غرضه قطوبه وعبوسه، وأظهر كأنه الامين نزل بالوحي من السماء، وجاء بعطارد في بيته بالجوزاء، ولم يأخذ في طريق الاستخذاء [7]، وظن أن في ذلك لمخدومه نصيحة وخدمةٍ صريحة، وبغية صحيحة ونيابة في كف نائبته كافة مريحة. على أن السلطان قابل شدّته باللين، وأعطاه يمينه على أخذ اليمين. فاشتطّ واشترط وكلما قاربناه شحط، وكلما ارضيناه سخط، وكلما قوّينا رجاءه قنط، وكلما توخّينا ١٢٥ ب

---

(١) مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل «أحمد» والصحيح ما أثبتناه وأنظر ١٢٤أ من الأصل والسنا، ص ٢٣٦.

(٣) ششن، ص ١٦٦ «وتألق».

(٤) في السنا «بحلو آيه»، ص ٢٣٦.

(٥) في السنا «سريره نبره الخطابه»، ص ٢٣٦.

(٦) في السنا «الدفع»، ص ٢٣٧.

(٧) في السنا «الاستحذاء»، ص ٢٣٧.

أمرا جامعا للمصالح أبى الاّ مراده المارد، ولم توافق[1] مصادره الموارد، ولو انه تلطّف واستعطف وترفق وما عنف وعرف وما عزف، وتألف وما تأفف، وعفا ما عاف وما تعنّف، لوضحت/ المحجّة وصحّت الحجّة، وحصل المخطوب ووصل المطلوب، وأجدى المقصود ووجد المنشود، وبرح الخفاء ورجح الرجاء، وجلا الجناء وعلا السناء، وتأيدت المنى فتشيدت البُنى، وتأكدت العقود وتمهدت العهود، وتم الصلاح ونم الفلاح، وحسم الداء وسمح الدواء، وجزم الشفاء ولزم الوفاء، وامنت عادة الفتنة، وأمكنت سعادة القينة[2]. لكنه لزم ما لا يلزم، وجزم ما لا يُجزم، وعينّ شرطا لَهُ مانع، وبينّ قسطا فيه مُنازع. وكان قد استعان بقوم من خواص السلطان في تمشية الامر بقدر الامكان، فحسنّوا ظاهراً لهُ بؤاطن، وباديا لهُ كوامن، وحلفا يبقى معه الخُلف[3]، ورِفقا لا ينتفي به العنف، ووفاقا كلُّه خلاف، ووفاءً كله إخلاف، وعقدا ما فيه خيار، ونقدا ما له عيار، وعجماء جرحها جبار[4]، وعشواء خبطها عثار، وشعواء خطبها غوار، ومجازاً تتعوّر[5] به الحقائق ونجاراً تتوعر[6] به الطرائق، ومبادىء تخفي عواقبها وتظهر[7] على مر الايام عجائبها وغرائبها.

١٢٦ أ

ذكر كشف الحال في ذلك

كانت قد وصلت رسل صاحب الجزيرة وصاحب إربل[8] وصاحبي تكريت[9] والحديثة[10] يشكون من صاحب الموصل وتكليفاته واثقاله/ الكبيرة الكثيرة. فأما صاحب الجزيرة فهو معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود[11] بن زنكي، وهو خائف من صاحب الموصل عمّه، وأنه يلزمه أن يدخل تحت حكمه ويخشى أن يكشف ضياءُ حاله ظلمةَ ظُلمه. وأما صاحب اربل فهو زين الدين يوسف بن علي كوجك[12]،

١٢٦ ب

---

(١) الأصل غير منقوط.

(٢) ششن، ص ١٦٦ «الفتية».

(٣) في الأصل «الحلف».

(٤) بشأن عجماء جبار «أنظر لسان العرب، مادة «جبر»، جـ ٤، ص ١١٦.

(٥) في الأصل «ينعور».

(٦) في الأصل «يتوعر».

(٧) ششن ص ١٦٧ «يخفى. . . ويظهر».

(٨) قلعة حصينة ومدينة كبيرة، وهي بين الزابين تعد من أعمال الموصل. ياقوت، جـ ١، ص ١٣٧ ـ ١٤٠.

(٩) أنظر ياقوت، جـ ٢، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(١٠) المقصود هنا حديثه الموصل بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى وكان مروان بن محمد الخليفة الأموي هو الذي أعاد بناءها ويقال بل وهو الذي أحدثها. ياقوت، جـ ٢، ص ٢٣٠.

(١١) في الأصل «ممدود» والتصويب من الروضتين، جـ ٢، ص ٢٣، مفرج الكروب، جـ ٢، ص ١٥٣.

(١٢) في السنا «زين الدين يوسف بن بكتكين بن علي بن كوجك»، ص ٢٣٧ وفي مفرج الكروب زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين، جـ ٢، ص ١٥٣.

وهو أيضا مشفق[1] من أمره محترق بجمره. وكذلك صاحب الحديثة وتكريت يرهبان، وفي الاعتزاز بنا والاعتزاء الينا يرغبان، وكلّ اخذ من السلطان عهدا أن يحميه ويقيه ويسعده ولا يشقيه. وإنصرف رسلهم على هذا القرار، وشفعت شفاعاتهم في امورهم بالامرار. ثم كان وصول صدر الدين شيخ الشيوخ ومحي الدين الشهرزوري، ووقع الشروع في حديث حادثتهم وإجازة [2] دواعيهم وإجابة بواعثهم. وكان القاضي محي الدين الشهرزوري سالفا في المدرسة النظامية رفيقي، وآنفا في الأيام النورية صديقي. فصدفوه في هذه المرة عن مشاورتي وصرفوه عن محاورتي. ولو استشارني لعرّفته النهج، ولقّنته الحجة اذا احتج، وسلكت به طريقا للمصالح جامعة، وللعوائق رافعة. فصرت عن سرّه بمَعزِل وعن رسمه بمَعدِل، حتى استقرت قاعدته واستمرت عائدته ولم يبق الا عقدة للتأليف تحرر ونسخة للتحليف[3] تقرر. فاستدعاني السلطان ذات يوم غُدوة وقال: اكتب شرطا يكون/ لنا في الوفاق قُدوة، فقلتُ له: ‏١٢٧ أ
فكيف تستثني باولئك الذين توثقوا[4] بعهدك وسكنوا الى وعدك، وهؤلاء لا يرضون بالاستثناء ولا يأتون إلا بالاباء، وكيف تُنسب الى ترك الوفاء، وكيف تشيع هذا بين الأولياء والأعداء. فقال: اكتب ما تنزهني فيه عن الخلف وتنبهني به على صدق الحلف. فقلت: تحلف لصاحب الموصل على مُوصِله ونُجح مؤمّله وإصفاء منهله، وتجعل أمر أصحاب تلك البلاد الى اختيارهم وتجريهم على ايثارهم، فمن اختارنا تم له منّا مناله، ومن اختاره فله عنده[5] سؤله وسؤاله. وهو يشرع في استرضائِهم واسترغابِهم واستدعائهم على وفق آرائهم. فاذا صح لنا في عودهم اليه امرُهم، بُسِط عُذْرنا وقُبِض ذُعرهم. فقال لي[6]: امض الآن الى شيخ الشيوخ وعرّفه القضية، وارضِهِ بهذه الحالة المرضيّة، وما فيه من المصلحة المرعيّة للرعاة والرعية، والْمْ أيضاً بمحي الدين وأنّا قد أجبناه على هذه الشريطة إلى اليمين. فأما شيخ الشيوخ فانه عرف واعترف وأسعد بالمراد واسعف، وأما محي الدين فانه أبى الاّ الإباء وأنكر الاستثناء وقال: لا نقبل ولا نقيل وهذا مما يستحيل فلا ينجح به التأميل، ولا ينقطع به القال والقيل. واولئك في بلادنا نوّابنا وفي ولاياتِنا ولاتُنا واصحابنا، وفي خروجهم علينا ما لا خفاء به من تفريق الكلم/ ‏١٢٧ ب
وتشتيت الشمل المنتظم، وتبتيت الحبل الملتئم، واذا عرفوا انكم لهم توثقتم وعليهم

(١) في السنا «شفق»، ص ٢٣٧.
(٢) في الأصل «اجارة»، أنظر ششن، ص ١٦٧.
(٣) في السنا معكوسة «تقرر، تحرر»، ص ٢٣٨.
(٤) في السنا «وثقوا»، ص ٢٣٨.
(٥) ساقطة لدى ششن، ص ١٦٨.
(٦) ساقطة لدى ششن، ص ١٦٨.

أشفقتم خُرق إجماعهم، وطرقت أطماعهم، وزاغت عنا أبصارهم وأسماعهم[١]، فاتركونا واياهم ولا تدركوا بلواهم، واعتذروا إليهم بأنّا انما قبلناكم ايام السخط، وقرّبناكم في أوان الشحط[٢]. والان فقد كمل الصلح وشمل النّجح، فاجروا على العادة ولا تخالفوا في الارادة. فقلنا: تأخذ منا الان عهدا كما شرعنا وشرطنا وحفظنا به الجوانب واحتطنا، واشرعوا انتم في الاستمالة، وتنكّبوا طرق الاستحالة، فما قبل الرسول ولا تمّ بقبوله السؤل. ثم استأذنوا في الانصراف، والاستئمار على ما تقرر من[٣] الاستحلاف. فأكرم الرسل الكرام وقُضيت حقوقهم بكل تشريف وعطيّة وتحفة وهدية. وكان صدر الدين شيخ الشيوخ كبير الهمة أثيرا لا يقبل قليلا ولا كثيرا، فاذا حمل له الطعام فرّقه على الاجناد الذين معه من الديوان الامامي، وعصم أحواله بالخلق العصامي، فما زلت به حتى أجاب كل يوم إلى رغيف وباجة متخذة من دجاجة. فلما خرجوا من دمشق عازمين على السير وعرف السلطان انهم قد خيّموا بالقُصير[٤]، قال السلطان: قد استحييت من صدر الدين شيخ الشيوخ وانّه كلما ورد بالعقود صدر

١٢٨ أ بالفسوخ، وقد عوّلت على أن أركب لوداعه/ وأقرب لِاتْباعه وأقابل مثاله بامتثاله، وأقْبل مقاله لأجله ولاجلاله. ونحن نشتار[٥] أرْى رأيه وإشارته، ونكتب نسخة اليمين كما يمليه بعبارته. فسبقتُ اليهم بأمر السلطان وعرّفتهم بسرعة وصوله وشرعة قبوله. فلما وصل نزل في خيمة الصدر متضح البِشْر، ثم كشف له عن القَناعة بما سأله القِناع، وسأله بالرسول في عقد الاجماع الاجتماع. فأرسل اليه من يُعْلمه بالامر، ويقفه على السر، ويضيق عليه سعة العذر. ولما رأى تواضع السلطان ترفّع ونسي ما اقترح، ولم يذكر ما اخترع، وقال: أنا بعد ما جرى من الحال لا رغبة لي في الاسترسال، حتى أنهي الى من خصّني بالارسال. ولعلكم اعتقدتم انه ليس لنا مُظاهر ولا مُظافر ولا مُؤازر، بل لنا من يسأل عنا ويشتمل علينا ويعصمنا ويميل إلينا. ونحن نكاتبه ونستشير به ولا نتوخى خلاف مذهبه، واشار الى سلطان العجم البهلوان[٦]. فأذن هذا القول منه بنفار السلطان، وترك ما عزم عليه وودع وركب، وبعد الامر الذي كان[٧] قرب. وكان قد

(١) ساقطة لدى ششن، ص ١٦٨.
(٢) الشحط: البعد، أنظر لسان العرب، مادة «شحط»، جـ ٧، ص ٣٢٧.
(٣) في السنا، ص ٢٣٨ «في».
(٤) اسم لعدة مواضع، أحدها ضيعة بين حمص ودمشق وهي المقصودة هنا. ياقوت، جـ ١، ص ٤.
(٥) شرت العسل واشترته اجتنيته وأخذته من موضعه «والأريّ: العسل». أنظر لسان العرب، مادة «شور»، جـ ٤، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.
(٦) في الأصل «العجم والبهلوان» وفي مفرج الكروب «وأشار في كلامه إلى أن لهم من ينصرهم من جهة البهلوان بن ايلدكز ملك العجم»، جـ ٢، ص ١٥٦.
(٧) في السنا: قد قرب، ص ٢٣٩.

ارسل للإطفاء فأسعَر، وللإستخذاء فتكبّر، وللإخماد فأشعل، وللإرشاد فأذهل، وللتقليل فكثّر، وللإقالة فعثّر، وللإسترضاء فأغضب، وللإنباع [1] فانصب، وللإستلانة فاشتد، وللإستكانة فاحتدّ، وللإستعطاف فشَمِخ، وللاستعطاء فديّخ/[2]، وللأسو ١٢٨ ب فعقر، وللصفو فكدر. وكان السلطان فاتر العزم في العَوْد الى الموصل فهاجَه وحرف اليها مزاجه، وسدد لها منهاجه. فلو تمسّك منه بظاهر يمين لوضع يده في يدِ أمين، وفاز لُمرسله في مكانه بتمكين، ولوى ولم يعرّج وكوى ولم ينضج، وزاد ولم يخرّج وحاد ولم يفرّج. وكأنه ذكّر بما نسي واستعجل فيها أنسي، فخطب خطابه خطوبا، وزرّجوا به من الازورار جيوبا، وغيّر تغيّر قلبه قلوبا، وجرّ ذنب تجرُّئه ذنوبا. وحدثت كوارث وكرُثت حوادث كلُّها الى هذه الحالة منسوب، ومن هذه المعاملة محسوب. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه بشرحه وبيانه.

ذكر وصول رسول عماد الدين زنكي صاحب سنجار أخي صاحب الموصل، في معنى الموافقة بينه وبين اخيه وهو شمس الدين بن الكافي وزيره

ووصل رسول عماد الدين[3] صاحب سنجار فاتخذ[4] توخي المصلحة في المصالحة وغار، ولكَم سلك الأوعار ليُسلّ الاوغار. فعرّف ما افضى اليه من الامر من التقرير والتقريب والتربيب والترتيب، وما جرى عليه أمر خُلُق رسل الموصل من الإباء، والعود الى عادة الاعتداء، وإنّا في هذه / السنة المقبلة قد عزمنا على الكرّ إلى الكرك، وأنا ١٢٩ أ راغبون منه في جهاد اهل الشرك والثواب المشترك، وقوبلت تحاياه وهداياه بأضعافها، ويُبذل له من الابتهاج بمودته كلما يُؤذن ببهجة الدولة وهز اعطافها. وكُتب مع رسوله في جوابه كتاب من انشائي، بتاريخ ثلاث خلون من ذى الحجة سنة تسع وسبعين نسخته بعد الدعاء:

ورد الكتاب الكريم، والعرف العميم، سافرا وجهه الوسيم، شاملا فضله الجسيم، ساميا في العلى نهجه القويم، فتلقاه التبجيل والتعظيم والاجلال والتفخيم، وألفاه للكرم وللفخار حلفا، وهز للنّجح بموقعه الأثير ومطلعه الأثيل عطفا، وفضّه عن فيض ديمةٍ ربعية، ونشر لطيمة داريّة وزهرِ نضارة روضيّة، وشكر الله على ما تضمنه من الانباء الأرِجَة، والاحوال البَهجة والآلاء المبهجة، وتأملت فصوله ونصوصه،

---

(١) أنظر لسان العرب، مادة «نبع»، جـ٨، ص ٣٤٥.

(٢) الأصل غير منقوط. أنظر لسان العرب مادة «ديخ» ج ٣ ص ١٦.

(٣) في السنا «عماد الدين زنكي»، ص ٢٣٩.

(٤) في الأصل «فانحد»، أنظر السنا، ص ٢٣٩.

وحكّمت(١) في استنباط شكره ظواهره ونصوصه، وقوبل بالاخلاص في القبول خلوصه، وتؤمّل(٢) في الدلالة على إحكام أحكام الولاة وإبرام معاقد الصفا عمومه وخصوصه.

١٢٩ب فكل ما ابان به مجده عن سر المكارم، واغرب في الود له عن مضاء/ مضارب العزائم، فَيد الاعتداد باحسانه معتلقة، وانوار الابتهاج بمكانته مشرقة، ورواية الاسناد الى صحته بالصدق مستملاة(٣)، وطلعة الاغتباط(٤) بعارفته بسنا الشكر مستجلاة، ومواد التوفير على إحماده مستعذبة مستحلاه. والله عز وجل يديم سعادات المجلس السامي جديدة، وجدوده سعيدة، ودولته للدوام مستفيدة، ومكرمته للشكر مستزيدة. وقد حضر شمس الدين أيده الله وشافَهُ بكل ما شفى، ووصف ما عذب من مورد المصافاة وصفا، وأتى بكل ما تضمنه المقصود ووفى، وكفل إيراده البليغ بكل معنىٍ مُغنٍ وامل للنُّجح مدنٍ وكفى، وأورد ما ورد له بأحسنِ سفارة وافصح عبارة، وكملُ الاعتضاد بكل ما فاوض فيه وأفاض في ذكرِ معانيه، وقد شاهد الاحوال وعرفها، واستصلح اسرار الاستمساك بمودته وكشفها، وشوفه في جميع المعاني بما يُورده على المسامع السامية ويذكره وفُورض في جميع ما يولّده ويقرره. وهو يشرح كل دقيق وجليل، ويُوضح في مناهج المودة الخالصة كلّ سبيل. وجملة ما معه من التحميلات وافية من بلاغته بالتفصيل، والمؤثر من المجلس السامي الاتحاف بالمشرفات والتشريف بما يسنح من المقترحات والرأي أسمى ان شاء

١٤أ الله/.

ذكر كثرة الأمطار في شتوة هذه السنة والثلوج وتعذّر الحركة والخروج

فصل من كتاب انشأته الى الأجلّ الفاضل عن السلطان في وصف ذلك وعيد الفطر

هذه سنةُ قد قدّمت حَسَنتها، وفتحت عيونها، فغسلت بمائها أَسناتِها(٥) وسِنَتها، وطوّلت بطولها عوارِضُ بوارِقِها ألسنَتَها، ووضعت حواملُ السحبِ اجنّتها، وقد آن أن تزخرف الارض جنّتها. فلقدنزل الحيا فأغرق وأعرب، وسحبَ السحابُ ذيلَ سيله فشرّق وغرّب، واكتست رؤوس الجبال شعار الثلج للمشيب فشعرها الجَثْل شائب، والعارض بالبرق مذهّب وبالودق مفضّض، وله في فض ختم الشعاب للاعشاب

(١) في الأصل «وحلمت» والسياق يقتضي التصحيح.

(٢) في الأصل «وتأمل» والسياق يقتضي التصحيح.

(٣) ششن، ص١٧١ «مشتمله».

(٤) في الأصل «الاعتباط».

٥) ششن، ص ١٧٢ «أسنانها».

مذاهب. والجداول[1] قد صقلت من الجليد سيوف سيولها، والثلوج فصَّلت للآكام أكمام ملابسها المَروية(*). فجرت على الوهاد فضول ذيولها، والسماء قد غارت على غزالتها فسدلت سُجف المُزن دونها، وصانتها في خِدر الخَفَر فلم تبدل[2] مصونها، والليالي جادت على رائب التراب بعقود اللآلي بل بامثال شهبها، والافاق عقدت بالاقطار اوتاد القطار خوفا من تسحّب/ سحبها. والبدرَ يُحجب بالغيم فكأنما استسرّ بالسّرار، وعارضُ العارضِ اشتعلَ شيبا فترامى بالشرار، وفاضت الدِّيَم ودام فيضها، وتروّضت الرّبَى وأربى روضُها، وأحست ظهورُ الارضِ بالبرد فلبست الحواصلَ، وواصلها(**) لُحبي بالحيآ فلم تملّ الواصل، وما اصْحتِ السماء إلى أن أصحّت شهودَ العيد، فسفرت بطوق هلالها حالية الجيد، وانقضى الشهر عن تسع وعشرين ولم يبلغ الى اتمام وعد الثلاثين فكملت نعمتا الدجن والصحو، وزالت شُبهتا الجدب والشّك بالمحو، وأعربَ الزمان للأمّة عن بلاغة كلّ صبغٍ حسنٍ مبالغا بالغاء اللغة والنحوِ، فالتّصريف مصروف والعُرف معروف، ولمجاني النعم قطوف، وفي مسامع الرياض من الزّهر شَنوف، وعلى أعناق الافاق من الجليد سيوف، ودون حاجب الشمس من السُّحُب سجوف، والآن ألانَ الله الشدائد وأنال المقاصد، وأحلى المراشف، وأحلّ المراشد، وقوّى العزائم، وروّى الصرائم، ويسّر مناهج الفتوح، وأظهر مباهج النصر الممنوح، والعوائقُ زائلة، والمرافقُ حاصلة، والمنافع شاملة، والصنائع كاملة، والعساكر مجمعة على الإجماع، ونِداء الاستعداد للاستدعاء ظافر بتلبية الاستماع، علماً بأن العامَ عامُّ الخيرات تامُّ البركات، وأن السنة مخصبة/ . وأن أمور الغزاة مرتّبة، وان الأسود الربض في عرين الاسلام على ذؤبان[3] الكفر متوثبة، والفتح بمشيئة الله قريب، والنصر لدعاء المؤمنين مجيب.

١٤ ب

١٣٠ أ

ومن ذلك في المعنى بإنشائي صدرُ مكاتبة إلى تقي الدين واستدعاء العساكر للجهاد: قد تقدّمت المكاتبة إلى مجلس الملك المظفر ـ لا زالت أيامُه بالملك والظفر منعوتة، وصلاةُ صِلاته بالحمد والاخلاص موقوتة، وولاة ولائِه مَوْموقة[4]، وعداةُ آلائه ممقوتة، ومنايا مناوئيه مكبوبة، وشُناةُ شأنِه مكبوتة ـ وعرفناه ما شَمَل من نِعَم الله وفاض، واستنار من لألاءِ آلائِه واستفاض. وأن الله عجّل غياثه بغيوث رحمته وبعوثِ نعمته، حتى سالت أوديتُها، وسُفكت دماءُ المُحُولِ بسيوف البوارق فلا يقال قَوَدُهَا أو ديتُها،

(١) في الأصل «الجدول».

(*) «المروية» مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل دون تنقيط.

(**) الأصل: فاصلها، والسياق يقتضي هذا التصويب.

(٣) في الأصل «دوبان» جمع ذئب.

(٤) أي محبوبة فالوماق محبة لغير ريبة. أنظر لسان العرب، مادة «ومق»، جـ ١٠، ص ٣١٥.

فدم الجَدْب[1] مطلول، وروض الخصب مطلول، وسيف البارق مسلول، ونطاق الحياء محلول، وغَربُ المَحْل لضرب الوَبْلَ مَغْلول، والشمال مسحورة والسحر مشمول، والآمال ظافرة والظفر مأمول. وأن العزائمَ قد قويت، والصرائمِ قد رَويت، وزناد الهمم وَرتْ وآثارُ النصر قد رُويت. وهذه سنة قد هبّت حَسنتها من سِنتِها، وأثنت فيها عِهادها
١٣٠ ب على محاسن الرياض بألسنتها، ولو عادت/ سيئةً سنةُ الأسنات لإعتذرت إلى محسنتها.
فالعساكر تجتمع والمعاذر ترتفعُ والخيرات تتّسع والآمال تنتجع، والأعشاب تكثر وتكنَف، والبركات تكمَل وتكثُف. وقد أنهض الله إلينا أمدادَ آلائِه، وأقْدَمَها لينهضَ بقوادِمها إلى جهاد أعدائه. فلم يبق لنا عذر في ترك الجهاد يُقبلُ، ولا يقال[2] بعد هذا من أمر الغزو ما لا يفعل. وقد كاتبنا أمراء الأطراف باستعـدادهم لإستدعـائهم، وأن يجزمـوا بجمع العساكر أوامرهم لأمرائهم، فما منهم إلا من يسابق إلى تلبية النداء، ويسارع إلى إجابة الدعاء، ويعشق ولا عشق لقاء الأحبة لقاء الأعداء، وهم الآن ينتظرون شَتاتَ شمـل الشتاء. وإذا رأوا آذار مُقبلاً أقبلوا، فإنهم مذ شاهدوا ضَرع العارض حـافلاً احتفلوا، واجمعوا أمرهم قبل الإجماع بأمرنا فَعَلَوْا بما فعلوُا، والله عز وجل يمد الإسلام بفتوح تفوحُ أرجاؤها بأَرَج العز، ويُسمِي للمجاهدين في سبيله ما وعدهم به من دَرج الفوز. وقـد عزمنا مع خروج شباط المسير إلى حلب لأن هناك العساكر يقرب إجتمـاعها، والغنـائمُ تتحقق إتسـاعها، والمشـاورات الصائبـة يتدانى استمـاعها، والهيبـةُ في النفوس تُقحم، والصيتُ في الآفاق يعظُم، والهممُ الساكنة تتحرك، وحسابُ كلِّ راجٍ بما يناله من عطائنا
١٣١ أ الحساب يتفذلك [3]. وقد جاء الغيوث دائمة ديمها/ سابغةً نعمها، وأصحت[*] السماء ليلة العيد فضاهت نعمةُ الإصحاء لأصِحّـاء الدين نعمةَ الدجون، وعرج النور في السماء ليبين الهلال الذي بدا كالعرجون، فيا لله من قَطْر وَعيد أنجز للأوليـاء كلّ وعـدٍ وأعدّ للأعداء كل وعيد. والحمد لله على ما منّ به من إحسان عتيدٍ، وإفضال طارفٍ موصولٍ تليد.

ذكر نبذ من أحوالي في الغيبة الفاضلية واشتياقي إلى حضرته العليّة، وفصل ما كتبته في المعنى، وشكرُ ما يُسدِيه إليّ من الحسنى

ولما سار المخدوم الفاضل إلى مصر في هذه السنة من غزاة الكـرك، ودخلت من إنفرادي بالخدمة السلطانية والنيابة عنه في الدرك، وعدمت ما كنت أجده بحضوره من

(١) في الأصل: الجذب.
(٢) ششن، ص ١٧٤ «تقال».
(٣) في الأصل «ينفد لك».
(*) في الأصل: أصبحت، والتصويب يقتضيه السياق.

الرّفه والرفق. وأَظْلَم عليّ من قوادح الصبابة ولوافح الكآبة مضيء الافق، وبَهضَني ثقلُ الاستبداد، وآنهضني كلّ الاستعداد، وشغلني عن مهاميّ بهم الشغل، وتكلفت التّبرىء من الضّجر والملل في الأمر المُضجِر المملّ وشملتني بركة هُمته العليّة في تقـويتي وتربيتي، واجابني في مخطوب تلبيتي، وقمت بتسقيم المعتلّ، وتقويم المختلّ، وشمول/ النظام[1] ١٣١ ب ونظم الشمل، وواصلت تلك الحضرة بخدمات[*] مطالعاتي وبَرْح صباباتي وشرح مطالباتي وإذكاره من عدات مكرماته بعاداتي، وانني أتمنّى بِيُمن عودته عود أيام سعاداتي. وكنت قد كتبتُ اليه كتابا وشّعته وبلغت فيه الى مجال البلاغة ووسّعته، فَقُطِعَت طريقه واتيح من القضاء تعويقه، ونجا بالقائه في البحر عند لقاء العدو نجّابُه، وكاد يؤسر لّما خانه صحابه. فلما عرفت ما تم على الكتاب عقدت له مأتم الاكتئاب، وحبّرت رسالة في تعويقه وقطع طريقه بتاريخ محرم سنة ثمانين وهي:

أدام الله أيام مولانا الصاحب العالم الأجل الفاضل، ظاهرةَ المباهج، مبهجة الظهور، منيرة المطالع، طالعة النور، آمرة بالثبات ثابتة الامور، وافرة المزيد زائدة الوفور، سافرة بالحسنى حسنة السفور، محبورة بالحبا، حابية بالحبور، سارّة النّعمى[2] منعّمة بالسرور، قادرة على الاسعاف مساعفةٍ بالمقدور، مؤثرةٍ للافضال فاضلة المأثور، شاهرة للميامن ميمونة الشهور. وخلّد إنعامه وأنعم خلوده، وأحكم عهوده وأبرم عقوده، وأسعد علاه وأعلى سعوده، وأنْجَح مقصوده وأنجز موعوده، ورفع ودوده وقمع حسوده، وقيّض عدله وفيّض جوده، وأجرى على إيثار أيامه وآثار الجاري من أقلامه بيض الدهر وسوده. / ولا زالت الليالي بـلألائه مقمرة[3]، والوجوه بآلائه مسفرة، ١٣٢ أ والقلوب بقبوله مقبلة، واسود الممالك بأقلامه مُشبِلة، والكتائب بكتائبه مكتّبة، والمذاهب بمواهبه مهذّبة، والكواكبُ لمناقبه حاسدة، والفضائل إلاّ في سوق فواضله كاسدة، والسحب من بنانه مستعيرة، والشهب ببيانه مستنيرة، والصباحُ من صباحَته خجلا، والسماحُ من سمائه هَطِلا والحدّ بحدّه مشفوعا والمجد بحذائه[4] مرفوعا، ولا فتيء[5] بجود كفه الولي محبورا مجبورا، ويكفّ جوده العدو مكسورا محسورا، وبميسور شُكْمِه[6] الشّكر مَأسورا، وبمنشور أفضاله الفضل منشورا، وبتولية تصريفه الصرف

---

(١) كتب على رأس هذه الصفحة من اليمين العبارة التالية: «قوبل بلاصل ـ كذا ـ فصح من نسخة المصنف».

(*) الأصل: بخدماتي.

(٢) ششن، ص ١٧٦ «بالنّعمى».

(٣) ساقطة لدى ششن، ص ١٧٦ .

(٤) في الأصل «بحداه».

(٥) في الأصل غير منقوط.

(٦) الشّكم، العطاء. أنظر لسان العرب مادة «شكم».

معزولا، وبحدّ خطه الخطب مغلولا، وبأهل عهدِ ولائه معهدَ الموالين مأهولا، وبمحمود إسعاف رَفده لوفده حمدُ العافين اليه محمولا، ما وفى صدوقٌ وصَدق وفيّ، وصفا كريم وكرمُ صفيّ وكُفي هاد وهُدى كَفيّ.

فصل منه في وصف الرسالة التي قُطِعت طريقُها وكان قاطعُ الطريق يعرف بأبي سُنينة

كلما بكّر المملوك ببكر وجهّز ببنت فكر وسيّرها في مَحامد المحامد وضمنّها مصادق
١٣٢ ب المقاصد وحلّاها وأحلاها وغالى فيها وأغلاها وشطّ/ عقيلتها ونشّط عقلتها وقمع بنانها المخضّب لليمين، ورفع بيانها المهذّب للتأمين، ونثر لؤلؤ نرجسها على وردها، ونظم من أقاحي بردها نظير عقدها، وعود صبحها، ودجا بسورتي الليل والضحى، وأهدى لها نشوة من فطنته ونشأة من فطرته وصحّ لها وصحا، وجذب خيزرانتها بحقف وعذق خترواناتها بحرف، وروى مخدّمها وأظمأ موشحها، وأبدى لُمحها وأعاد مِلحها، وعلق قلبه بِقرطها المعلّق، ووفّق سهمَه من سهمها المفوّق، وغاص[1] لاستخراج درّ حُلِيّها التي صاغها، وورّد بجمر ذكائه وجناتها وسلسل اصداغها، ودبّ النمل إلى عقاربها وأنبت الرّمان في روض ترائبها، وأبرزها في فضّة قد مسّها ذهبُ، وجلاها في ماء مازجها لَهب، وحاك لها من خمر خاطره خِمارا، وأشعل في خدها من جمر قريحته نارا، وعقد من نطقه لها نطاقاً، وجعل من قيده لها اطلاقا، عراها بغارته الغيران وعرّاها، وفرّ خفيرها وأخفر ذمتها وفَراها، وبرىء من بحرها البر فبرّأها، وسرى اليها العدو فعَدى على سُراها، وجهل قدرها فلو عرفها رفعها ولو قرأها قراها. فَيالَها[2] مقبوضةً، صدَّ خبرُها اليقينُ عن جُهينة معضوضة، من كلاب الفرنج سين أبي سُنينة مفضوضة، وهي على عذرتها مهجورة، وهي في طريق هجرتها مأسورة من اسرتها، مأخوذة من أسرّتها، ما بالها
١٣٣ أ نبا لها/[3] فضّ ذلك الفض، ومالها لها عنها لحظة الحظ. قيل إن حاملها دفنها فدلّ طينها على موضعها، ونورها على مطلعها، وفيضها على منبعها، أما استحيى مستحييها، وما ضرّه لو كان يستبقيها، لكنه لمّا شَنَأها شنّ عليها ولو ودّها لما وأدَها، وتبا له حين كلم روحها، ولو أبصر رَوْح كلمتها لعبدها. أما سارت عيسها السيرة العيسوية، أما مرّيمها بنفحة النفخة المريميّة، أما هابوا إهابها، أما أصابوا صوابها حتى أخافوا سبيلها، وأخفوا سلسبيلها، وأراقوا مدامها وأداموا إرقاقها، وحوّلوا شقّتها وحاولوا شقاقها، ونبذوها بالعراء وهي سقيمة، وأقعدوها عن المسير فهي مع نَبوة المحل بها مقيمة، وما هي بأولى مودودة مؤوده، ومحلّاة مخلّاة عن الورد مصدودة، بل ثلاث بنات وئدن وما أعدن،

---

(١) في الأصل «وغاض».
(٢) في الأصل غير منقوطة.
(٣) «لها» مكررة في الأصل.

ولما أبدين وجوههن وتوجّهن الى البيد أُبدن. فلهذا قريحتُه كالثكلى الوالهة قريحةَ القلب بحريق الكَرْب تعول على انها تعوّل، وتتألم حين تتأمل اليأس مما تؤمّل. فان كبا زندُها أو خبا وقدُها فلأنها مذعورة معذورة مصدودة مصدورة. فهل آية تعوّذ بها عانية غانية، وماسورة تُفلّ بها مأسورة. وقيل انهم لما دخلوا بها الساحل عرفها البحر فاستعادها، ونشد ضالتها حين ألقيت في اليمّ فاستفادها، وفَتحت لها الاصداف أفواهها، واستنجدت أمواجه الزواخر أمواهها. وحقّ لها ان تفخر / فانها كانت بمعاني المعالي المولوية مملوءة، ١٣٣ ب وبحباء الحب الفاضلي محبوءة. ولقد كان يعتقد انها وصلت وصلّت الى قبلة الإقبال، وجدّت ووجدت كعبة الآمال، وردّت فوردت مشرع الفضل والافضال، حتى ورد المثال المعالي عنها مسليا، وعن اختها مسائلا، آيسا من الغرام بها ولغرامتها آملا. فعلم أن السّبية قد سبيت، وان البريئة بالبريّة قد بريت، وأن العقيلة قد عُقلت، وأن المتحلّية قد عطّلت، وأن الراحة قد عيقت، وأن الرّاح قد أريقت، وأن الصفيحة قد كسرت، وأن الفصيحة قد أسرت، والحصيفة قد وجبت، والصحيفة قد محيت، وأن الحسنة قد حبست، وأن المحجّبة[1] المحجوبة قد حجبت، وأنها راحت فحارت فغارت[2]، وإغتاظت ففاضت وما فاظت لو أنها بما فيها فاضت. ولقد اقسم القلم الذي زَبَرها وأبرزها وأعلمها وطرّزها وأحلّها وحرّمها وأجلّها وأكرمها ورضعها بمجاجه، وأرشفها من زجاجه، وأرشدها إلى منهاجه، ليَجُرّن على أحديها كل مجّرٍ لدمائهم مُجرٍ، وليجمعنّ بأساطيره وكتبه لغزوهم الاساطيل والكتائب في كل بحر وبرٍ، حتى ينزل نصُّ النصر على نصله ويقطع سبل قاطع سُبله، ويجري بحرا من دماء اهل الساحل، ويديل الحق بادراك ثأره من الباطل، ويلقح الحرب العوان من ذكوره بالفتح البكر، ويذكّر بتصديق ما وعد الله من النصر والظفر أهل الذّكر، أما عرفوا ان اليراع الذى يراعى ويروع لا يراع، وأن الصواع الذى يضيء ويضوع لا يضاع، وان الحرة التي تبوء وتبوع لا تباع، وان الكريمة التي تضيف وتفيض لا تجاع.

ومنها فصل في صفة القلم

فلا جرم ان الخَطّية الحَظيّة تخطب هدى الفتح للهدى، ولا تخطيء بالحتف في العدى، وتستعدي وتستدعي من الجهات للجهاد جموع الاجناد الانجاد للانجاد، وتجمع رأسها رؤوس الجمع، ويقمع بنانها لبناء القمع، وتُصيب وهي عامدة، وتصّوت وهي جامدة، وتُعسكر وهي واحدة، وتُزجر وهي راعدة، وتُغرق وهي بارقة، وتُحرق وهي صاعقة، وتَقِد وهي لافحة، وتَقِذ وهي فادحة، وتقود الاطلاب وتطلب القَودَ، وتحد

---

(١) ششن، ص ١٧٨ «المحجة».

(٢) مكررة في الأصل.

المنهاج وتنهج الجدد، وتثور بالثأر وتزور بالزأر، وتَشغَل بـل تُشغِل افكـار الكفار. فهي تقول للمريغ المغير والمريب المبير والسـارق القاسر والسـارب الباسرِ والقـاطع القـاطف والمخاطر المخاطف واللص الصلّ والمِلْط المطلّ ان تُقْتَ بمقتٍ وبنيتَ ببنتٍ ورميتَ رمية وأدميت دمية وبدأت بـأدبيّة وذهبت بـذهبيّة[1] واجهـزت على مجهّـزة وبرزت ذات بـزّة

١٣٤ ب وغمست بمينك في غموس وغرست لاغتيال عروس، فان اليتيمة/ لها أخـوات، وما أم هذا الصغير[2] عما قيل[3] بمقلات، والبنات نبات والخاطر ودود ولود، والاقلام في فرس المعاني البيض[4] أسود سود. وما يضر الرياض ذبـول زهره، والحيـاض عدول قـطره، والبحر خروج دُرّه، والبّر عروج ذَرّه. فأما الجاني عليها فوائد الفوائِد، وأما الجابي[5] منها فرائدُ الفرائد والمعين عِدّ والمعني مستعد، والصدف[*] ذو جواهر، والسدف ذو زواهر، والدأمـاءُ ذو امـواج، والسماء ذات أبـراج، والزعيم عـازم، والعريم[6] عـارم، والعبد المأذون له اذا أقبل في بيعه وإجارته بما في يده مال مالكُه بتجـارتـه، والمملوكِ من كُسي مالكه يكتسي، ومن كيسه يحتسب ومن كأسـه يحتسي، ومن ورد حمّياه وَرْد مُحيّـاه، ومن عُرفه وعَرفه ريّه وريّاه، فهو مليء بالاملاء مُنتشٍ من سكر الشكر للانشاء[7]، والخاطر العاطر ثاريّ داريّ، والضمير الضمين بوريّ دَرِيّ. على أن الدهر وإن جاء بـالسيئات فسيأتي بالحسنات، وما صُرف زمامُ صَرفِ الزمانِ في وثبات عظائمه عن ثبات العظماء الا بالثبات، وللطّرقِ آفات وللآفات طرقات. وما أخوف المملوك على هذه المسفرة المسفّرة، والميسـرة الميسّرة، والمغـربية المُغـربة، والعجيبـة المُعجبة، والـطبيبـة الآسيـة، والحبيبـة

١٣٥ أ المواسية، والرفيقة[8] الرقيقة، والرفيقة الرفيقة، والصديقة الصادقة، والموفقة/ الموافقة، والعاطية الطائعة، والخاشية الخاشعة، والوصيفة الموصوفة، والالفة المألوفـة، والعارفـة المعروفة، والماشقة الممشوقة، والراشقة المرشوقة، والعاشقة المعشوقة، والوامقة المومـوقة، والشائقة المشوقة، والعاسلة المعسولة، والواصلة الموصولة، والفضيلة العاقلة، والبخيلة الباذلة، والداهية الهادية، والغـانية المنـاغية، والسـاقية القـاسية، والسـاعية العـاسية، والساهرة الحاسرة، والفاتنة الفاترة، والحسناء اللسناء، والمجيـدة الجَيْداء. ولـو نجا بها

---

(١) العبارة «ورميت. . . بذهبية» ساقطة لدى ششن، ص ١٧٩.

(٢) في الأصل «الصعر» ولا دلالة لها هنا. أنظر لسان العرب، مادة «صعر»، جـ ٤، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٣) ششن، ص ١٧٩ «قليل».

(٤)، ساقطة لدى ششن، ص ١٧٩.

(٥) ششن، ص ١٧٩ «الجالي».

(*) الأصل: المصدف.

(٦) في الأصل الغريم: أنظر لسان العرب مادة: عرمَ.

(٧) في الأصل «للانساء».

(٨) كذا في الأصل وقد تكون «الرفيعة».

نجّابها، وأتى بجوابها جوّابها، لقلّد مننا وقُيّد مَننا، وأبدى جميلا، وأسدى جزيلا، واسترق من لهجته دُرا، واسترقّ من مهجته حُرا، ولا قرار للمملوك حتى يعرفَ ان سيلها بالغ الى القرار، وأن ليلها والغ في النهار، وأن نهجها خال من الشرار، وأن بدرها خالص من السرار، وان طرقها آمنة من الطوارق، وأن حقوقها ضامنة للحقائق، وأن بحرها يحمله البر وأن عذراءها[1] لا يعروها الذعر، حتى ينشط لتسيير أترابها الفِكْر، وينبسط لتحبير أخواتها السّر.

وأردفت الرسالة بهذه الأبيات:

«من الكامل»

عُذر الزمان بأيّ وجه يقبلُ ... ومُحبُّكم بالصدّ فيه يقتّلُ
مالي سوى انسان عيني مسعداً ... بالدمع انساً عليه أعوّل
والدهر[2] ليل كلّه في ناظري ... لا صُبح الا وجهُك المتهلّل ١٣٥ ب
خَيَّرتُمُ بين المنيّة والنوى[3] ... لا تهجروا فالموت عندي أسهل
ما كان مُنكِرُ فَضْلَ حقّي جاهلا ... إن كنتُ أنكرُ فضلَكم أو أجهل
يا غائبين وهم لفكري حُضّرٌ ... يا راحلين وهم بقلبي نُزَّلُ
ما للسّلوّ الى فؤادي منهج ... ما للصّبابة غير قلبي منهلُ
لا تعدِلوا عنّي فما لي معدل ... عنكم وليس سواكم لي موئل
كلُّ الخطوب دفعتها[4] بتَجلُّدي ... الا التفرّق فهو خطب مُعْضِل
إذ[5] لم يجدني طيفكم في زورةٍ ... فلأنني منه أدق وأنحلُ
لا صَبْر لي لا قلبَ لي لا غَمْضَ لي ... لا علم لي بالبَيْنْ ماذا افعلُ
إن تَذْهلوا عني فاني ذاهل ... بهواكم عن ذِكركم لا أذهل

فصل من مكاتبة أخرى قبلها انشأتها اليه
في جواب كتابه عند وصوله الى القاهرة

ورد المثال المتبلّجة أنواره، المتبوجة أنواؤه، المشرقُ سناه، المشرف سناؤه، المرويّة مواردُه، المرويّة فوائده، المقبّلةُ مراشفه، المقبِلةُ مراشده، المُسندة صحافه، الصحيح اسناده، المورِدة فصاحته، الفصيح إيراده، الطالعة صبيحته، الصبيحة طلعته المصطنعة مملكتهُ المملّكةُ صنيعته، المؤتمِرة طاعته، المطاعة أوامره، السافرة زواهره، الزاهرة/ ١٣٦ أ

---

(١) في الأصل «عذراؤها».   (٢) الروضتين، جـ ٢، ص ٥٤ «الدهر».
(٣) الروضتين، جـ ٢، ص ٥٤ «والمنى».
(٤) في الأصل «دفعته»، والتصحيح من الروضتين، جـ ٢، ص ٥٤.
(٥) الروضتين «أن»، جـ ٢، ص ٥٤ ولدى ششن «اذا» ص ١٨١.

سوافره، فشرّف المملوكَ وملكه الشرف، ووفّقه على العلى والعظمة فعظّمه، ووقف واسمى قدره وقدّر سمّوه، واعلى جاهه ووجّه علوّه، وأقدره على البسطة وبسط قدرته، ونشّط عقله ونشطُ عُقلته، وحلّى عقده وحلّ عقدته، واعتقد اخلاصه واخلص عقيدتَه، وأنجح أملَه وأملى نُجْحه، ونصح بالهداية واهدى نُصحه. فصحا من الشكر وفصح بالشكر، وصحّ من الكسر وأصبح من منّته في الاسر، وضجّ يعلن الدعاء ولعن الاعداء، وسُرّ بما سرى اليه من الآلاء، وعَرف بعارفته أنّ هضبة بنائه راسخة راسية، وأن حَسَدَة غَنَائِه(*) خاسرة خاسئة، وأن الحسود وإن نمّ ونمّق وزوّر وزوّق ورَوّى وروّق وورّى ووَرّق(١) وولّف ولفقّ وعرّى وعرّق واغرى واغرق وعمّى وعمّق وفرّى وفرّق واختلى واختلق وسوّى وسوّق ونافق ونفّق، فان المولى أعرفُ بِعَبْدِه(٢)، وأرفعُ لجدّه، واقبلُ لمجده، وأمجد بقبوله، وأدل على صدقه واصدق لدليله، واعلم بمملوكه وأملك لعلمه، واحكم بعافيته واعفى بحكمه، وأثبت على ودّه وأودّ لثباته، وأشبّ لسناه وأسنّ لشبابه، وأولى بحفظه وأحفظ لولائه، وأرجى لسماحه وأسمح برجائه. ومن الذي يباري المملوك في فضيلته ويبرّ عليه بوسيلته، ومالكُ رِقّة ما أنساه/ ولا نسيه، وجبى للحب حديقته ١٣٦ ب
وحدقته بالنّور والنور ليجتنيه ويجتليه، كيف وقد قرن كتابه الى السلطان بكتاب اليه فأصاره للسلطان قرينا، وأعاد رثّه جديدا وغثّه سمينا، وأوصله يوم الوصول الى القاهرة بعزّة الى العزّة القاهره، وأظهره على أكفائه بالكفاية الظاهرة. فما الهاه أهله بايناسهم عن ايناسه، وأرج في مهابّ المحابّ من أرجائه بأنفاس أنفاسه، فهزم جيش الهمّ من جأشه بكتيبة كتابه، وروّاه بما رواه من اثار مآثره بصوب صوابه. فما أسفر سفرا ما في تاريخه تأخير، وما أنجب نجّابا تسيرُ نجابه للنجاح بتيسير، وما احلى جنا لا لغوَ في جنانه ولا تأثيم، وما أعلى سنا لا تَهوين في احسانه ولا تهويم، وما أحلّ راحا أحلّت روحَ الروح، وما انفث سحرا نفثاتِ سِحْره ونفحات سَحَره تفوح بالفتوح، وما أرفع مضمونا مضمونة الرّفعة، وما انجح مختوما مختومة النجعة، وما اسمى درجا أَسْمى درجاتِه، وما أجدَّ نهجاً جَدّد منهجاتِه. ورأى المملوك ضمّ نَشره في نشرِ ضمّه، وختم رفعة في رَفع ختمه، فأضاء بفضّه له فضاءَ الفضائلِ، وأنشأ(٣) له من إنشائه الانتشاء بشمول الشمائل، ولَبى اللّب مُنادى نِداه، وانتهى بالنهى الى انتهاج جادّة جِداه، وانعم النظر فرأى نظرة(٤)

(*) في الأصل: «عنائه».

(١) في الأصل «وروّق» وأنظر ششن ص ١٨٢، ولسان العرب مادة: ورق.

(٢) ششن، ص ١٨٢ «بعبده».

(٣) الأصل: «نشأ».

(٤) ششن، ص ١٨٣ «نضرة».

النعيم/، وارتاح لعرف عرفه فقمعه نسيم التسنيم، ومثل مثلاً[1] بحميّاه جذلا بمحيّاه، ١٣٧ أ حيّا بتحاياه، سارا بسراياه، ساجدا لسجاياه، واجداً لمزاياه، حاظيا بحظاياه، مهتدياً بهداياه، مثريا بعطاياه، مثنيا بقضاياه[2]، وقد اشتمل على استرعاء قلبه واستدعاء كتبه وتقريب حبّه لحب قربه.

أَسائل الركب عنكم	وأنتم في فؤادي
وَقْفُ عليكم طريقي	في حبكم وتلادي
تَصبُّري في انتقاص	ولوعتي في ازدياد
قالوا مرادُك ماذا؟	فقلت أنتم مرادي
ما بالكم لم تلبّوا	وقد سمعتم أنادي
وكم لكم من أَياد	لم أنسها وأَياد
يا مالكي الرِّقّ رقّوا	فقد مَلَكْتُم قيادى
صَدَدْتُم الورد عنّي	عِلْما بأنيَ صاد
سرتم بقلبي وسرّى	وراحتي ورقادى
ما هكذا[3] لو عرفتم	يكون شَرْطَ الوِداد

والمملوك لما عجز عن المعرفة اعترف بالعجز، ولزم نسبة المعتزى ونصبه المعتز، ورجع الى رجائه وسمّي بأسمائه[4] وآلى بآلائه/ وعدا على اعدائه فوالله لهو[5] المحبور ١٣٧ أ المحبّو بالمحبوب والمجلوّ بالحمد المجبول لا المجلوب.

تم الجزء الخامس من البرق الشامي بحمد الله ومَنّه وحسن توفيقه وعونه والصلاة والسلام على محمد نبيّه وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل. يتلوه في الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين

وعلى هذه الصفحة كتبت هذه العبارات:

١ ـ ملك العبد الفقير الى رحمة ربه الغفير. محمد بن عبد الرحمن الأملح.. سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة.

٢ ـ قوبل بقدر الطاقة والامكان والحمد لله حق حمده.

---

(١) الكلمة مشوشة في الأصل ولدى ششن، ص ١٨٣ «ومشملا».

(٢) ششن، ص ١٨٣ «بقضائه».

(٣) في الأصل «هكذى».

(٤) في الأصل «وسمى بأسمائه» مكررة.

(٥) ششن، ص ١٨٣، «والله فهو».

٣ ـ طالع العبد الفقير. . .

وصفحة وترحم على منشئه اقل عبيد الله. . . محمد ابن عثمان. . . سلخ (العشرين) من شهر صفر سنة تسع عشرة وسبعمائة عفا الله عنهم.

٤ ـ وطالع فيه ايضا العبد الفقير. الله تعالى محمود بن محمد بن صفى العمادى سلخ سابع عشر رمضان المعظم من سنة تسع عشرة وسبعمائة بحرم (المولا) المولى الملك. . . رحم الله منشؤه ومصنفه ومن قرأه ودعا لهما بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين.

مراجع التحقيق

القرآن الكريم

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ.
الكامل في التاريخ، ١٣ جزءاً نشر دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦.

الأصفهاني، عماد الدين أبو عبدالله محمد بن حامد ت ٥٩٧هـ.
- البرق الشامي جـ ٥، تحقيق رمضان ششن، اسطنبول. ١٩٧٩.
خريدة القصر وجريدة العصر. القسم العراقي جـ ١، تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد. مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٥٥.
- خريدة القصر وجريدة العصر - بداية قسم شعراء الشام (شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيوب) - تحقيق شكري فيصل. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. ١٩٦٨.
- قسم شعراء الشام جـ ٢ تحقيق شكري فيصل. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٩.
- خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء مصر جـ ١. تحقيق شوقي ضيف القاهرة ١٩٥١.
- ديوان عماد الدين الأصفهاني. تحقيق ناظم رشيد.
نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. الموصل ١٩٨٣.

أبو البقاء البدري، عبد الله بن محمد البدري الدمشقي ت ٨٨٧هـ.
نزهة الأنام في محاسن الشام. نشر المطبعة العربية - بغداد، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤١هـ.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (توفي بعد ٢٧٩هـ).
فتوح البلدان. تحقيق م.ج. دي غويه. بريل - ليدن ١٨٩٥.

البنداري، الفتح بن علي البنداري (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أتم اختصار البرق سنة ٦٢٣هـ).
سنا البرق الشامي (مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني).
١ - تحقيق رمضان ششن. دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١.

٢ ـ تحقيق فتحية النبراوي . مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة ١٩٧٩ .

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٤٧هـ.
النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ١٢ جزءاً.
دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ .

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكتّاني ت ٦١٤ .
رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت . الطبعة الثانية، ليدن ـ بريل ١٩٠٧ .

ابن الجيعان، شرف الدين يحيى بن المقر (وضع كتابه سنة ٧٧٧هـ) .
التحفة السنيه بأسماء البلاد المصرية . المطبعة الأهلية . القاهرة ١٨٩٨ .

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد/ ت ١٠٨٩ هـ.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ٨ أجزاء . الطبعة الثانية .
دار المسيرة ـ بيروت ١٩٧٩ .

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (وضع كتابه ٢٧٢هـ) .
المسالك والممالك . تحقيق م . ج . دي غويه . ليدن ـ بريل ١٨٨٩ .
أوفست مكتبة المثنى ـ بغداد .

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء . تحقيق إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .

ابن الدهان، أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي ت ٥٨١ هـ.
ديوان ابن الدهان . تحقيق عبد الله الجبوري . مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٨ .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ.
العبر في خبر من غبر. تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد. دائرة المطبوعات والنشر. الكويت ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ .

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١ .
طبقات الشافعية الكبرى ٦جـ. المطبعة الحسينية ـ القاهرة ١٣٢٤ أوفست دار المعرفة ـ بيروت .

أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٦٦٥هـ.
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية جزءان .
أوفست دار الجيل ـ بيروت.. عن مطبعة وادي النيل ١٢٨٨هـ.

ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ.
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٤ .

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ت ٧٢٧هـ.
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. تحقيق م . مهرن .
أوتو هاراسوفيتس ـ ليبزج ١٩٢٣ . أوفست مكتبة المثنى ـ بغداد .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧١٤هـ.
الوافي بالوفيات . نشر هلمون ريتر ١٩٣١ ـ ١٩٥٩ سلسلة النشرات الإسلامية .

الفيروزبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨٢٣ هـ.
القاموس المحيط ٤ أجزاء القاهرة ١٣٣٢/ ١٩١٣.

المقدسي، محمد بن أبي بكر البشاري (وضع كتابه ٣٧٥هـ).
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق م.ج. دي غويه.
الطبعة الثانية ليدن ـ بريل ١٩٠٦ أوفست مكتبة المثنى ـ بغداد.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ.
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية جزءان. مطبعة بولاق ـ القاهرة ١٢٧٠/ ١٨٥٣.
أوفست دار صادر ـ بيروت.
ـ السلوك في معرفة دول الملوك الجزء الأول ـ القسم الأول والقسم الثاني تحقيق محمد مصطفى زيادة.
الطبعة الثانية. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكّرم بن منظور ت ٧٧١هـ.
لسان العرب. ١٥ جزءاً دار صادر ـ دار بيروت. دون تاريخ.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت ٥١٨هـ.
مجمع الأمثال. جزءان. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
دار المعرفة ـ بيروت ١٣٧٤/ ١٩٥٥.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ.
نهاية الأرب في فنون الأدب ١٨ جزءاً دار الكتب ـ القاهرة.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧هـ.
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. جـ٢. عصر صلاح الدين ٥٦٩ ـ ٥٨٩/ ١١٧٤ ـ ١١٩٣.
تحقيق جمال الدين الشيال. المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٥٧.

ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ.
ـ معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب جـ ٧.
تحقيق د.س. مرجوليوث. مطبعة هندية بالموسكي ـ القاهرة ١٩٢٥.
ـ معجم البلدان ٥ أجزاء دار صادر ـ دار بيروت، بيروت ١٩٧٩.

Brockelmann, Carl
Geschichte der arabischen literatur, 2 Grundbände., 3 Supplementbände.
Leiden. Brill 1937/1949.
Al-Barq al - Shämi; the History of Saladin.
Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Bd. 52 (1952/1953) Wien P. 93 - 115.
Kahle, Paul
Eine wichtige Quelle zur Geschichte des Saladin.
Die Welt des Orients, Bd. I (1969) Stuttgart, P. 299 - 301.

فهرس الأعلام

(١) الألقاب مثل امير، ملك، قاضي، الحاجب لم تؤخذ بعين الاعتبار هنا بينما اعتبرت الألقاب مثل نور الدين، قطب الدين، تقي الدين وما شابهها.

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

فهـــرس الجماعـــات والفئـــات والطوائف

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الراء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس الأماكن والبلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

٢ ـ فهرس الأعلام

حرف الواو

حرف الياء

فهرس المصطلحات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الآيات

ثبت المحتويات

الصفحة

